

شعراء النواذب

عرض

تحليل

دراسة

نقد

خصائص

امرو القيس

اوس بن حجر

زهير بن أبي سلمى

النابعة الذبياني

أحمد الكردي

حمد مطاع قباني

الشعراء النواذب

عرض . تحليل . دراسة . نقد . خصائص

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطه بديل < mktba.net

• امرؤ القيس

• اوس بن حجر

• زهير بن أبي سلمى

• النابغة الذبياني

أحمد الكردى أحمد مطاع قباني

المقدمة

يعتبر الشعر الجاهلي حجر الزاوية في دراسة الشعر العربي بجميع عصوره ، لا شيء إلا لأنه يمثل الأساس المتين لبنان الشعر العربي .
وعندما فكرنا باصدار كتاب عن الشعراء : امرئ القيس وأوس بن حجر وزهير بن ابي سلمى والنابغة الذبياني ، كنا نعلم أن الطريق الذي سنسير فيه وعر المسالك ، تمتلئ جنباته بالصعوبات نظراً لعدم وجود المصادر الكفيلة باخراج هذا العمل وقد ارتدى حلة الكمال من جميع النواحي الشكلية والموضوعية ... بالاضافة لفقدان الدراسات والشروحات الكافية التي يمكن الرجوع اليها ... وبالاختصار كان علينا ان نحقق معجزة فيما لو صممنا على اخراج الفكرة الى حيز الوجود .
وصممنا على تجسيد ما فكرنا فيه غير آبهين لصعوبات قلة المصادر ، وفقدان الشروحات الكافية ، وجفاف المادة التي اتخذناها محوراً

لدراستنا ، سيما وقد لمسنا ذلك الحرج الشديد والتعب العظيم الذي يلاقيه طلاب اللغة العربية عند بحثهم في مادة الادب الجاهلي ، وكيف انهم يضيعون اكثر اوقاتهم في دراسة غير مضمونة النتائج باعتبارها غير مستندة الى معايير ثابتة وشروحات مستفيضة تضع النقاط على الحروف ولا تدع الباحث يتخبط حتى يبلغ الطريق الموصل الى بر السلامة .

ولقد وقع اختيارنا على هؤلاء الشعراء الأربعة لأنهم يمثلون أبرز النقاط في خط الشعر الجاهلي .

كما وأننا في دراستنا لهم آثرنا الابتعاد عن العرض التاريخي مفضلين التركيز على الشرح والتحليل والنقد بأساليب متعددة تتيح لكل باحث التجاوب مع الطريقة التي تتلاءم مع ما ألفه ودرج على اتباعه خلال دراساته السابقة لقصائد الشعر كافة .

ثمّة رجاء نتقدم به من القارئ الكريم وهو ان يعتمد عند عزمة على قراءة هذا الكتاب الى الاستعانة بدواوين الشعراء وخاصة عند استعراض اغراضهم التي نظموا فيها لأن في ذلك فائدتين : اولاهما قراءة كامل القصيدة التي اختير منها النموذج ، والثانية تذوق وتفهم وربط كافة جزئيات القصيدة بمحورها العام .

نسأل الله أن يسدد خطانا وخطى جميع العاملين لما فيه ازدهار أدبنا العربي وهو على كل شيء قدير .

احمد مطاع قباني احمد الكردي

الملامح العامة للشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي كنز من المتع الفكرية والروحية ترجم فيه اهله عواطفهم ووقائع حياتهم . وقد اهتم دارسو الأدب ونقاده فيما بعد بنفض الغبار عن نفائسه وصيانتها ، ونحن قبل أن نعرض للشعراء الأربعة في هذا الكتاب يحلو لنا ان نقف بادية ذي بديء على الملامح العامة التي تميز الشعر الجاهلي عن أي شعر قيل في العصور التالية وذلك بإيجاز تفرضه صفحات الكتاب وموضوعه .

آ - بواعثه :

تنوعت بواعث الشعر الجاهلي والدوافع التي حدثت باصحابه الى قوله ، إلا انه يمكننا حصرها بما يلي :

- ١ - المشاعر الذاتية : كالحب والبغض والفخر الذاتي والشكوى
- ٢ - العصبية القبلية : كالفخر بالقبيلة ووصف أيامها ووقائعها
- ٣ - مراعاة التقاليد الشعرية : التي تفرض سلباً معيناً للقصيدة كالغزل والوقوف على الاطلال في مستهل القصائد .

٤ - الدوافع الاخرى : كالتكسب .

ب - القصيدة الجاهلية

والقصيدة الجاهلية تكاد تكون واحدة في هيكلها العام، وهي تتميز:

بما يلي :

١ - انها متوسطة الطول قريبة من القصر اذا قيست بالشعر

اليوناني القديم .

٢ - انها ذات صبغة غنائية

٣ - ان اغراضها الاساسية هي : الغزل ، الوصف ، المديح ،

المجاء ، الحماسة والفخر ، الحكمة ، الاعتذار .

٤ - انها تستعمل عادة بالغزل أو بالوقوف على الاطلال او بهما

معاً ، ثم نجد وصف الناقة او الفرس وبعد ذلك يجيء الغرض الاصلي الذي

انشئت من اجله القصيدة .

٥ - عدم وحدتها :

- لان القصيدة الواحدة تجمع عدة أغراض دون ترابط عاطفي

او منطقي بينها .

- ولان الانتقال من غرض الى آخر في القصيدة الواحدة يتم

بصعوبة بحيث يظهر انقطاع تام بين الاغراض .

- لان البيت الشعري مستقل استقلالاً تاماً عما يليه لولا شيء منه

الترابط .

- وأخيراً هناك عدم تسلل الافكار والمعاني بشكل متتابع ، منطقياً وعاطفياً .

ج - البحر الشعري :

١ - صب الشعراء الجاهليون قصائدهم في انغام شعرية سميت فيما بعد بالبحر واشهرها : الرجز ، الطويل ، البسيط ، الكامل ، الوافر ، الخفيف ، اولاً ثم باقي البحور الشعرية ، مع ملاحظة هامة وهي ان الشعراء الجاهلين قد اقلوا من استخدام البحور المجزوءة

٢ - ويلاحظ في القصيدة الجاهلية :

- وحدة البحر الشعري من البدء حتى الختام .

- التقيد بحرف روي واحد في القصيدة الواحدة .

٣ - هذا وقد اشترك الشعراء الجاهليون تقريباً بعيوب عروضية واحدة منها : الاقواء والاصراف .

د - التراكيب

امتازت تراكيب الشعر الجاهلي ب :

- الجزالة والمثانة

الابجاز

كما امتازت :

- بالعفوية حيناً (كشعر الصعاليك) أو بالصقل والتهذيب حيناً

آخر (كزهير ٠٠)

- باستعمال تراكيب مستكرهة ك : أبيت اللعن ، لا أبالك .

هـ - الصور والخيال

يلحظ في الصور المستخدمة في الشعر الجاهلي :

- ١ - كثرة الصور الحسية المبسطة المستمدة من البيئة البدوية
- ٢ - كثرة استخدام الحيوان وصفاته في التشبيه والاستعارة .
- ٣ - كما ان الصور المعروضة حركية تقارب القصة .
- ٤ - وهي صادقة في رسمها الواقع مع نزوع للمبالغة المستحبة حيناً والمستكرهة حيناً آخر .

و - الالفاظ

- ١ - تتلاءم الالفاظ على العموم مع الغرض الاصلي للقصيدة فهي عنيقة في الهجاء رقيقة في الغزل .
- ٢ - ومن الشائع في الشعر الجاهلي : كثرة الغريب الناجم عن اختلاف مسميات ذلك العصر عن عصرنا ، او لاختلاف لهجات القبائل . هذه كلمات قليلة في خصائص الشعر الجاهلي الذي حمل الينا قبل كل شيء عواطف اهل بصدق وامانة وعبر عن نفسية الشاعر الجاهلي باعتباره ممثلاً لقبيلته ومشاعرها اضافة الى تعبيره عن مشاعره الذاتية . ناهيك عن تعبيره عن الافكار السائدة في ذلك العصر : في الدين والاخلاق والعادات والسياسة مما كان له فائدة تاريخية كبرى .

امرؤ القيس

حياته

اسمائه ونسبه :

هو امرؤ القيس بن حجر بن عامر بن الحارث بن عمرو المقصور...
من بني آكل المرار من كنده . وامه كما قال بعض الرواة فاطمة
(أو تملك) بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب والمهلهل ابنا وائل
من نزار .

ويقال أن اسمه الصحيح : حندج ، وأن امرأ القيس لقبه الذي
غلب عليه .

ومن القابه : الملك الضليل ، وذو القروح ، والذائد .

ويكنى بأبي الحارث ، وبأبي وهب ، وبأبي يزيد .

حياته .

لا يذكر لنا الرواة تاريخ ولادته ، وإن كان من الثابت أنه ولد
بوشأ في نجد ، وأبوه حجر ملك كنده في أوج سلطانه ، فنعم بالرفاه

والجاه اللذين اتاحتهما له مكانة أهله من قبيلته ، وبدلاً من أن ينشأ نشأة قوة وزعامة ، انصرف الى اللهو انصرافاً عابيه عليه قومه ، كما أخذ في قول الشعر ، وهو أمر لا يليق بالملوك حسب مفهوم ذلك العصر ، فنهأ أبوه عن اللهو والشعر ، وزجره ، ثم طرده ، فغادر قومه من ديار الى ديار يعيش على الصيد والقنص ، ويستمتع بالشراب واللهو ، وبينما هو في شأنه ذاك جاءه من يخبره ، وهو بدمون من أراضي الشام ، أن بني أسد خلعوا ثوب الطاعة على ملكهم أبيه وقتلوه ، فقال قوله المشهور :

«ضيعني أبي صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، اليوم خمر ، وغداً أمر لا صحو اليوم ولا خمر الغد» ثم ما لبث أن أخذ يجمع الجموع للأخذ بثأر أبيه ، وبلغ ذلك بني أسد ، فأوفدوا اليه من يفاوضه ومعهم عبيد بن الابرص ، فأماهم امرؤ القيس حتى تضع الحوامل ، ثم تبدأ بعدها الحرب ، ومن ثم تحالف امرؤ القيس مع بني تغلب وبكر وهاجم أسداً ، فهربت هذه ، وتراجعت تغلب وبكر قائلتين ! لقد أصبت ثارك ، الا أن امرأ القيس لم يقنع بهذا الثأر التافه وأخذ يجمع الأنصار من جديد ، فنصرته قبائل اليمن من الأزد وحمر ، فسار بجيش منهم انضم اليه عدد من صعاليك العرب قاصداً بني أسد ، وفي طريقه اليهم استقسم الصنم (ذو الخلصة) ثلاثاً فخبى هذا الا انه اصر على طلب الثأر ، فلاحق بني أسد ، وأعمل فيهم القتل والنهب ، فهربوا.

واستجدوا بالمنذر ملك الحيرة ، فأغاثهم بجيش من أباد وبهراء وتنوخ
ثم أرسل أنوشروان كسرى الفرس جيشاً آخر لمحاربتة كان القصد
الحقيقي منه التدخل في شبه الجزيرة العربية ، وعلى أثر ذلك هُتفرق
أنصار امرئ القيس ، وأصبح هذا لوحده في الميدان ، تطلبه السيوف
الظلاء فأخذ في الالتجاء الى قبائل العرب ، فاستجار بالحارث بن شهاب
من بني يربوع ، ثم بسعد بن الضباب الأيادي ؛ ثم بالمعلّى
بن تيم ثم بجالد بن سدوس من بني زهران ؛ وغيرهم كثير ، حتى
ألقي رحله عند عمرو بن جابر من فزارة فدأه على السموئل ، ومن
هناك اتصل بالحارث بن أبي شمر الغساني الذي وعده بالمساعدة في إيصاله
الى قيصر ملك الروم ، ليتمكن من طلب النجدة منه ومن ثم ودع
امرؤ القيس أدرعه وابنته هنداً عند السموئل وانطلق الى الحارث
الغساني ومنه اتجه الى القسطنطينة ومعه عمرو بن قميئة الضبعي الذي
سمي فيما بعد بـ (عمرو الضائع) وهو الذي يقول فيه امرؤ القيس .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وادرك انا لاحقان بقيصرا
رحب القيصر بامرئ القيس ، ووعدته بالمساعدة والنصرة ، وربما تراءى
له ذلك فرصة سانحة يغتنمها للتدخل في شبه الجزيرة العربية واخضاع
قبائلها المتمردة الا ان القيصر لم يساعده ، وماطله ، واختلف الرواة في
تعليل ذلك ، فقالوا : بسبب الطماح الاسدي (من بني اسد)
الذي جاء القسطنطينية واوغر صدر القيصر على امرئ القيس .

وقالوا ايضاً بسبب تغزل امرىء القيس بابنة القيصر على كل
فان امرأ القيس يئس من مساءدة الروم له ، فقفل
عائداً يحمل معه خيبة امل عظيمة ، ولما بلغ انقرة اصابه مرض جلدي
قيل أنه الجدري ، كما قيل أنه بسبب حلة مسمومة أهداه اياها القيصر
فلبسها ، فلم يلبث ان مات . ويذكر بعض الرواة ان وفاة امرىء
القيس حزت في نفس القيصر فأمر له بتمثال رآه المأمون فيما بعد اثناء
غزوه بلاد الروم .

العوامل التي اثرت في شخصيته الشعرية

١ - شرف نسبه

من الثابت ان امرأ القيس قد نشأ من أصل كريم فأبوه حجر ملك كنده وامه اخت كليب بن وائل والمهمل (ملك تغلب واخوه الشاعر) وهذا النسب الذي ورثه أغناه عن التكسب بشعره وجعله يحب الفن للفن .

٢ - تشرده حين طرده أبوه ، اذ اضطر الى حياة الصيد والقنص وتفنن في وصف ذلك تفنناً بذ به معاصريه من شعراء العصر الجاهلي .
٣ - محاولته الاخذ بثأر أبيه وما ادى اليه ذلك من اضطرابه للالتجاء الى قبائل العرب وهو يتصور الابعاء التي عليه أن يقوم بها تحقيقاً لآماله في الثأر .

٤ - الاسفار التي رافقت حياته وساهمت في توسيع أفق خياله وتفكيره كما زاد احتكاكه بالناس من تجربته .

وهكذا نرى ان حياته الاولى وهو شاب ينعم بالجاه والمال واللبو جعلت منه شاعر الغزل وشاعر وصف الصيد والطبيعة وان اسفاره ومحاولته الاخذ بالثأر جعلته يقول الشعر المتنوع الاغراض في الشكوى والاعتبار والمجاء والمدح والحكمة الا انه لم يبدع فيها ابداعه في الغزل والوصف .

مَنْزِلَتُهُ

يعتبر امرؤ القيس في طليعة شعراء العصر الجاهلي لما في شعره من جدة ، وابتكار ، وإيجاز ، وجزالة ، وجميع الذين عنوا بالشعر الجاهلي جعلوه في الطبقة الاولى بين شعراء عصره الا انهم اختلفوا في ترتيبه مع زهير والنابعة . ويروى عن الرسول (ص) انه قال « امرؤ القيس ، صاحب لواء الشعراء وقائدهم الى النار .

وقال علي بن ابي طالب امرؤ القيس أحسن الشعراء نادرة واسبقهم بادرة وانه لم يقل لربهة او لرغبة .

وسأل الاصمعي بشاراً : من أشعر الناس ؟ فقال : اختلف الناس في ذلك فأجمع أهل البصرة على امرئ القيس وطرفة بن العبد ، وأجمع أهل الكوفة على بشر بن أبي خازم ، وأجمع أهل الحجاز على النابعة وزهير .

وقال أبو عبيدة : أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم : امرؤ القيس وزهير والنابعة .

كما عده ابن سلام الجمحي ، الشاعر الاول في الطبقة الاولى قبل النابعة وزهير والاعشى .

أغراضه الشعرية

لامرئ القيس شعر متنوع الاغراض منشور في كتب الادب، وقد جمع وطبع وشرح مراراً، واهم شراحه، البطليوسي النحوي المتوفي سنة ١١٠٠ م واشهر قصائده معلقته التي مطلعها :
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(١)
وهي اولى المعلقات، وقيل أنه نظمها بسبب حبه لابنة عمه عزيزة
في حادثة جرت له معها .

وستتناول فيما يلي كل غرض من اغراضه الشعرية بالدرس والتحليل

(١) السقط : منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه ، اللوى : رمل يعوج . ويلتوي . الدخول ، فحومل : مكانان .

الغزل

الحديث عن غزل امرئ القيس حديث طويل ذلك أننا أمام شاعر تغزل بالكثيرات ، واشتهر بلهوه وبنسائياته ، وكان لهذا كله أثره الكبير في حياته ، فبسببه طرده أبوه . وحرمه الجاه والسلطان . وهو في مطلع شبابه ، وبسببه أيضاً ، انقلب عليه قيصر الروم (في بعض الروايات) وما طله في مديد النصرة اليه وقيل أهداه الحلة المسمومة التي قضى بسببها لتغزله بابنته .

وكأي شاعر جاهلي ، فان ما وصلنا من شعر امرئ القيس هو جزء بسيط من شعره الحقيقي الذي قاله ، وضاع أكثره ، ولكن يشكل الغزل فيه جزءاً ليس هيناً .

وإذا رجعنا الى شعره الغزلي ندرسه وصلنا الى الملاحظات التالية..
التي تميزه عن اي شاعر تغزل في العصر الجاهلي :
أ - كثرة اللاتي تغزل بهن : فهناك هو ابنة سلامة بن علفد -
العامرة التي وصف بحبيته اليها ليلاً :

وفيمن أقام من الحي هر أم الظاعنون بها في الشطر
وهر تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجير
وهناك فاطمة وعنيزة في المعلقة :

ويوم دخلت الحدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي.
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي.
وهناك فرتني :

أغادى الصبوح عند هر وفرتني وليدأ وهل أفنى شبابي غير هر^(١)
إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة بما تجيء به التجر^(٢)
وسلمى أيضا في قصيدة طويلة مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل الحالي وهل يعمن من كان في العصر الحالي.
وهناك اضافة لما ذكرنا كثيرات منهن : ابنة عفزر ، أم هاشم
هند ، الرباب ، ماوية ، لميس ، أم جندب

ب - غزل امرئ القيس غزل قصصى : أي أنه لا يكتفى
بوصف جسم المرأة كما فعل غيره من شعراء عصره ، بل يصف علاقته
بها من مبتدأها الى منتهائها ، حتى الحوار الذي دار بينهما ، وهو يبدأ
قصته بالاعجاب بها ، وتصوير حبه الشديد ، ثم يفتخر بشبابه وشجاعته
وجماله ويصف تجاوزه المخاطر الى حبيبته حتى إذا جاءها نفرت في وجهه.

١ - الشطر : الواحد شطير وهو الغريب ٢ - الحدر : الهودج ٣ - أزمعت
صرمي : وطننت نفسك على مراقي ومقاطعتي
٤ - الصبو : شراب الصباح - هر وفرتني : اسما امرأتين ه - التجر : التجار

ممدلة ؛ أو مصطنعة النفور خوف الفضيحة فيطمئنها ، وهكذا وان
قصيده اللاميه :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
تشهد بما ذكرنا ؛ ففيها بعد أن يذكر همومه وتشوقه لديار
سلمى يأخذه زهو وغرور بشبابه وجماله فيفتخر قائلاً :

ألا زعمت بسباسبه اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
كذبت لقد أصبى على المرء عرسه وأمنع عرسي أن يزن بها الخالي
ويارب يوم قد لهوت وليلة بأنسة كأنها خط تمثال
ثم يصف هذه الأنسة

يضيء الفراش وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذبال (١)
إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال
حتى إذا صار الليل :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشت لقفال (٢)
ارتفع إليها :

سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال
فتدلت أو أظهرت الجزع خوف الفضيحة :

فقلت : سباك الله انك فاضحي ألت ترى السمار والناس أحوالي
فطمأنها وحلف أن الجميع قد ناموا بعد أن أصر على البقاء الذي قد

١ - ذبال : الفتائل : ٢ - القفال : الراجعون من السفر

يكلفه يكلفها حياته وحياتها :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي (٢)
حلفت لها بالله حلقة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صالي
فاطمانت ولانت ، ولكن الامور لم تكن بسيطة هكذا ، فالمرأة
متزوجة ولا يلبث زوجها أن يصحو غاضباً ليجم على امرئ القيس
مدافعاً عن شرفه :

فاصبحت معشوقاً وأصبح بعليها عليه القتام سيء الظن والبال (١)
يغط غطيظ البكر شد خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال (٢)

هنا يعود امرؤ القيس الى افتخاره وتبججه بنفسه ويقف هازئاً
متهمكماً من الزوج الاعزل من السلاح أمامه وهو مسلح
بالسيف والنبال :

أبقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٣)
وليس بذى رمح فيطعنني به وليس بذى سيف وليس بنبال
وقد علمت سلمى وان كان بعليها بأن الفتى يهذي وليس بفعال

هذه الطريقة القصصية في الغزل جديدة بكل الجدة على العصر
الجاهلي ، هي فن غزلي قائم بذاته ، أوجده امرؤ القيس وكان له فيه قصب
السبق . ثم لم يلبث هذا الفن أن استكمل خطوطه في صدر الاسلام على

١ - صالي : مصطلى النار ٢ - القتام : الغبرة ٣ - يغط : يشخر . البكر : الفتى
من الجمال ٤ - المشرقي : السيف . المسنونة الزرق : النبال .

يد شاعر الغزل الاول فيه عمر بن أبي ربيعة ثم على يد الشاعر الاموي،
الفردق .

والقصة الغزلية عند امرئ القيس ، تكاد تكون واحدة ولا تغير
بعض وقائعها في كل قصيدة عن الاخرى نتيجة لتغير ظروف
كل منها :

- فهو يتجاوز اليهن المخاطر :

تجاوزت احراساً اليها ومعرشاً علي حراساً لو يسرون مقتلي

- واذا صار اليهن زجرنه بدلال وُغنج :

فقلت يمين الله مالك حيلة وما ان أرى عنك الغواية تنجلي
ويوم دخلت الحدر خدر غنيزة فقلت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغيظ بنامعاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل (١)
فقلت سباك الله انك فاضحي ألت ترى السمار والناس أحوالي

- وهو في كل مرة يصر على مواصلته لمن متحدياً المخاطر

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
فقلت لها سيوري وأرخي زمامه ولا تبعديني عن جنائك المعلى

ج - غزل امرئ القيس بعيد عن الحب الحقيقي : فلم يرو أن

امرأ القيس أحب واحدة بعينها ، وأخلص لها وما يلاحظ من شعره
أنه يريد امرأة ؛ أية امرأة وهذا هو التفسير الصحيح لتغزله بجملة نساء

١ - الغيظ : نوع من الموداج

معاً في بيت شعري واحد كقوله :

نشيم بروق المزن أين مصابه ولا شيء يشفي منك يابنة عفزرا (١)
من القاصرات الطرف دب محول من الذر فوق الأتب منها لأثرا (٢)
له الويل ان أمسي ولا أم هاشم قريب ولا البسباسة ابنه بشكرا
أو كقوله :

لمن طلل أبصرته فشحاني كخط الزبور في العسيب اليماني
ديار لهند والرباب وفرتني ليا لينا بالنعف من بدلان (٣)
د - غزل امرئ القيس غزل مادي متعهر : فيه اباحية واستهتار
بالقيم الاخلاقية :

فهو يصف جسمها ، واستمتع بها ... ولا يهمه من تكون
متزوجة أم غير متزوجة ، حتى امرأة أبيه - وهي فاطمة التي ورد ذكرها
في المعلقة على قول بعض الرواة - فقد تغزل بها وكان ذلك سبب
ابعادها وطرده عن قبيلته
ه - على الرغم من كل ما ذكرنا فغزل امرئ القيس من الوجهة
الفنية - نالصة

غزل جميل فيه عذوبة وحلاوة ورقه ، وينبعث هذا :

١ - من حسن سليم وتذوق ، ممتاز لجرس الكلمات فكلمات الغزل

١ - نشيم : ننظر . المزن : مزنة : السحابة المطرة . أين مصابه : أي أين
مصاب المطر

٢ - المحول : ابن سنة ، الذر : النمل الصغير . الاتب : الثوب النخيط من الجانبين

٣ - النعف : المكان المرتفع ، بدلان : مكان باليمن

ناعمة مخملية تهدد الحس وتعلق بالقلب .

٢ - من حوار يبلغ حداً عالياً في الجودة ، وحسبنا أن نستمع الى حوارهِ مع فاطمة لندرك مبلغ هذا المنطق الغزلي العذب .
أفاطم مهلاً بعض هذا التذلل وان كنت قد أزمعت صرماً فأجمل
أغرك مني أن حبك قاتلي وأنتك معها تأمرى القلب يفعل
أو قولها له :

فقلت يمين الله ما لك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
٣ من خيال خصب يظهر في تشابهه جميلة ومعان لطيفة مبتكرة جديدة
كقوله :

كأن المدام و صوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر (١)
تعل به برد أنيابها اذا طرب الطائر المستحر (٢)
ألم تجداني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وان لم تطيب
سموت اليها بعدما نام اهلها سمو حباب الماء حالاً على حال
ويعتبر امرؤ القيس أول من كنى عن المرأة بيضة الخدر واكثر من
وصف عطرها ووصف ثغرها بالخمير :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهور بها غير معجل
اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة بما تجيء به التجر
وشبه جيدها بجيد الرثم ونشرتها بو حش وجرة ، ووصف ما تلبسه النساء
من مرط ومرحل ودرع ومجول . الى غير ذلك من المعاني المبتكرة

١ - نشر القطر رائحة عود يتبخر به

٢ - تعل : تسقى بتتابع : طرب غنى : المستحر في وقت الحر

و - يهتم امرؤ القيس بالنواحي الخلقية والحضارية للمرأة فليست
المرأة التي يواصلها ويصفها لنا امرأة عادية بدوية بل امرأة تمتاز :
- بالطهارة : وبيضة خدر لا يرام خباؤها . . .
- بالكسل والرفاه والدعة والتطيب

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نوؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل
إذا قامتا تزوع المسك منها نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وكلمة أخيرة في علاقة امرئ القيس بالنساء بعد أن ذكرنا ما ذكرنا
هي : أن امرأ القيس مدل بجماله مغرور بنفسه ، وهو يحب المرأة
ويريدها ولكنه يتهمها بعدم الاخلاص وأنها تحب الرجل مادام شاباً
ذا مال فإذا افتقر الى الشباب والمال مالت عنه الى غيره :
أرا هن لا يجبين من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوساً
ويذكر أكثر الرواة أنه كان مكروهاً منهن غير مرغوب فيه لرائحته
على الاغلب وما تفاخره بمواصلتهن على الطريقة التي ذكرنا الا تعبير عن
شعوره بذلك .

ويعيب عليه النقاد تشبيهه نفسه بالفأر في بيته الشعري :
وهر تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجر

الوصف

ان أجمل ما في شعر امرئ القيس هو شعره الوصفي ، وشعره الغزلي ، وما سوى ذلك ليس بذى أهمية ، ففي هذين الفنين تظهر لنا شخصية امرئ القيس وتتضح وضوحاً كاملاً أو شبه كامل .
وموصوفات امرئ القيس هي المحسوسات التي عاش خلالها وأولع بها وكان لها أثر كبير في حياته ويمكن تصنيفها كما يلي :

— الوصف الغزلي لأجسام معشوقاته ، وهو في مرحلة من قصصه الغرامية

— مستلزمات الصيد والقنص وأهمها : الحيل والكلاب وقطعان الصيد

— مستلزمات الاسفار وخاصة الناقة .

-- ما يتعرض له المسافر أو الصائد وهو في العراء من أحوال جوية كالظمر والرعد والبرق ومشاهد الطبيعة من خلال ذلك .

أ - الوصف الغزلي :

يوصف امرؤ القيس أجسام معشوقاته وهو في صدد تغزله بهن من

تأخية ، وللتبجح أمام الأخريات من ناحية ثانية ، أي ليظهر أنه محبوب وأن المرأة التي واصلها ليست عادية من سواد القوم ، بل هي في مكانة من الجمال والرفاه والدعة لا يرقى إليها غيرها ، وتعطينا المعلقه مثلاً طيباً لذلك . فإذا جاوزنا أبيات الحوار بينه وبين غنيزه نراه يقول :

وبيضه خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
فبعد أن يكتفي عن طهارتها بالشرط الأول مدلاً على تمنعها على الآخرين يتبجح أنه تمتع بها بلهو غير معجل . . . ثم يقول :

هصرت بفودي رأسها فتايلت علي هضم الكشح ربا للخلخل (١)
مهففة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل (٢)
كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نير الماء غير المحلل
تصد وتبدي عن اسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن اسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعشكل (٣)
غداثرها مستشزرات الى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل (٤)
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المدلل

من هذه الأبيات : نلاحظ للوهلة الاولى أن امرأ القيس في وصفه المرأة لم يصف المرأة التي واصلها ، بل وصف امرأة غير معينة ،

١ - الهصر : الجذب . الفود : جانب الرأس . هضم الكشح : ضامرة البطن
ربا للخلخل : سمينه موضع الخلخال « ممثلة الساقين » ٢ - السجنجل : المرأة ٣ -
الفرع : الشعر التام ٤ - الغداثر خصلات الشعر ، مستشزرات : مرتفعات الى الاعلى
العقاص : خصلات الشعر

امراً وصفها هو نفسه مرات ، ووصفها غيره من شعراء عصره مرات ، بنفس الأوصاف وان اختلفت كسوة المعاني وأثوابها . وقد وصف امرؤ القيس المرأة النموذجية التي يراها كل شعراء عصره ، وسار في ذلك على الطريقة التقليدية في تقسيم جسم المرأة الى اعضاء ، ثم وصف كل عضو منها على حده ، وكغيره ايضاً لم يراع ترتيباً معيناً في الوصف حتى انه اعاد وصف الكشح مرتين في بدء ونهاية الابيات التي أوردناها .

وعلى الرغم من ان الموصوفات وطريقة الوصف تقليدية عامة في الشعر الجاهلي الا ان امرؤ القيس نفخ فيها من فنه وطبع المعاني بطابعه وعبر الموصوفات بطريقته الخاصة التي تتجلى ب :

— غزارة التشبيهات ولطف الكنايات خاصة بقوله :

تصد وتبدي عن اسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل .
— جدة التشبيهات والمعاني حتى أنه في أكثرها يعتبر هو مبتكرها ومخترعها .

أما الألفاظ ، فهي دون ألفاظ الغزل الأخرى ، اذ نعت على الكلمات ذات الجرس المستقيم الى جانب الجميل ، وحسبنا ان نذكر كلمات :
المتعشك - المستشررات - تفضل العقاص - السجنجل .

وصف الحيوان

● وصف امرؤ القيس اكثر الحيوانات المعروفة في زمنه ومنه (الكلب الذي خصه بألفاظ قليلة معبرة منها :

فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلوب نكر^(١)
 ألس الضروس حني الضلوع تبوع طلوب نشيط أشر^(٢)
 فانشب أظفارها في النسا فقلت هبت ألا تنتصر^(٣)

● كما وصف الناقة وهي أنيسة أسفاره بالقوة والسرعة وصلابة

المناسم يتطايّر الحصى من خلفها وأمامها :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا^(٤)
 بعيدة بين المنكبين كأنما ترى عند مجرى الضفر هر أمشجرا^(٥)
 تطايّر ظرّان الحصى بمناسم صلاب العجى مثلومها غير أمعرا^(٦)

● ولكن أروع أشعار وصف امرئ القيس تلك التي قالها في

الصيد حيث تعدد الوصف مرات كثيرة وبغنان جديدة أكثر
 الأحيان واتخذ هذا الوصف سبيل القصة الواقعية الحية :

تبدأ قصة الصيد بالخروج له ، مع تحديد الزمان ، وهو دائماً ،
 الصباح الباكر أو آخر الليل والطيور في وكناتها
 وقد اغتدي والطيور في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هبكل^(٧)

-
- ١ - الفغم : المولع بالصيد أراد به الكلب . ٢ - ألس الضروس : لمنصتها .
 أشر : مرج ، ٣ - النسا : عرق في الفخذ ، ٤ - الجسرة : الناقة القوية ،
 الذمول : السريعة ، هجرا صار هجيراً ٥ - الضفر : حزام الرجل ، المشجر :
 المربوط ٦ - الظران : الاحجار الحادة ، الامعر : الذي ذهب شعره
 ٧ - وكناتها : أعشاشها ، المنجرد : الماضي في السير ، الأوابد : الوحوش

● ثم يتابع وصف جواده فيصفه بالقوة والسرعة وأنه قيد الأوابد هيكل عظيم الجرم وأنه كثير الحيوية والنشاط كأنه جلود صخر حطه السيل من عل .

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلود صخر حطه السيل من عل

ويستمر في وصف اكتناز لحمه وملاسة ظهره بحيث يزل الغلام الحُف عن صهوته ويشبه نخافة خصره بالظبي وساقيه بساق النعامة الى غير ذلك من الاوصاف الكثيرة المبتكرة التي يمتدح بها جواده .

بعد ان يعرفنا امرؤ القيس بجواده يلوح من بعيد سرب من البقر الوحشي الذي ما ان يبدو حتى يطير الجواد بصاحبه الى مقدمة القطيع متجاوزاً النعجات الجوارح المتخلفة :

فعنّ لنا سرب كأن نـعـاجه عذارى دوار في ملاء مذيبل
فالحقنا بالهاديات ودونه جوارحها في صرة لم تزيل (١)

وسرعان ما طارد ثوراً ونعجة دون أن يباليه العرق من التعب
فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكاً التي ولم ينضح بماء فيغسل

ويقعد الجميع لتناول طعامهم من الصيد ، فتلاحظ رفاه امرئ القيس الأمير الذي يصور لنا نفسه أن من بعض من يصحبونه طهارة اللحم ، كما أن همه ليس التلذذ بالطعام ، وإنما يستعجل شيئاً منه ثم يقعد يتأمل جواده من جديد .

١ - الهاديات : الأوائل المتعديات ، الجوارح : المتخلفات ، الصره : الجماعة ، تزِيل : تتفوق .

فظل طهاة اللحم من بين منضج صيف شواء أو قد ير معمل
فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائماً غير مرسل
قصة الصيد هذه تتكرر في شعر امرئ القيس ، أحياناً بالفاظها
وأحياناً بمعانيها ، وأحياناً بالفاظها ومعانيها معاً وهذه أبيات من
قصيدة ثانية مطلعها

خليلي مرا بي على أم جنـدب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب (١)
اذ يقول فيها :

وقد اغتدى والطيـر في وكنائـها وماء الندى يجري على كل مذنب (٢)
بمنجرد قيد الأوابـد لاحـة طراد الهوادي كل شأو مغرب (٣)
على الأين جياش كـأن سراتـه على الضمر والتعداء سرحة مرقب (٤)
له أبطالا ظبي وساقا نعامـة وصهوة غير قائم فوق مرقب (٥)
ويستمر في وصفه الجواد الى ان يظهر قطيع بقر الوحش فيقول :

فعادى عداء بين ثورٍ ونعجةٍ وبين شوب كالفضيمة قـرهب (٦)
كأن دمـاء المـاديـات بنـجره عصارة حـنـاء بشيب مخضب
هذا التكرار في وصف الصيد يظهر نقاطاً هامة يجدر ذكرها منها :

-
- ١ - لبانات - حاجات ٢ - ، مذنب - مدخل الماء الى الروضة ، ٣ -
لاخه - أهزله ، الشأو الخلق ٤ - ، الأين - التعب ، سراته - ظهره ، سرحة
مرقب - شجرة كبيرة للمراقبة ٥ - أبطالا مفردا ابطل الحاضرة ، غير حار
الوحش ٦ - الشوب - الثور الفتي ، القرهب - الكبير الضخم ، الفضيمة -
الصحيفة البيضاء

١ - أهمية الصيد في حياة امرئ القيس الذي قضى فترة شبابه متصعلاً على يعيش على الصيد والقتل .

٢ - حبه للخيل التي يصفها في شعره بأوصاف هي أروع ما فيه بل ما في الشعر الجاهلي كله .

٣ - تكرار الموصوفات والأوصاف واعادة المعاني ولو بالفاظ جديدة تدل على ضيق افق امرئ القيس المحصور بأفكار معينة من ناحية ، وتدل على شاعريته وقدرته على اعادة المعنى الواحد مكرراً بأثواب متعددة دون أن يصيبها الوهن والضعف من ناحية ثانية .

٤ - في قصة الصيد يستخدم امرؤ القيس المشاهد التمثيلية الحية باستطراد جميل مشكلاً قصة قصيرة عابرة ، وعلى عكس النابغة الذبياني الذي يستطرد في قصته الثانوية استطراداً ينسى المرء الغرض الاصيل للقصيدة .

٥ - فقصة امرئ القيس صغيرة ، يستشهد بها على ناحية معينة من قصته الاصلية ، وهي موجزة ، معبرة مرتبطة بموضوعها ، من ذلك حين يصف عدو الجواد متجها الى قطع الصيد بسرعة خاطفة ويتشتت القطيع بينة ويسره اذ يشبه امرؤ القيس ذلك بتشبيه قصصي . كعقاب شديدة تنقض على الأرناب تأكل لحم كل ما تصطاده الا قلوب الطير التي تتركمها تحف كأنها العناب والحشف البالي أمام وكرها .
فعداء بين ثور ونعجة وكان عداء الوحش مني على بال

كأنني بفتحاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شملالي (١)
تخطف خزان الشربة في الضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال (٢)
كأن قلوب الطير رطباً ويابسة لدى وكرها العناب والحشف البالي (٣)
وصف الاطلال :

يعتبر الرواة امرأ القيس أول من وقف على الاطلال فبكى واستبكى
في بيت شعري واحد ويعدون هذا البيت من اولياته :
قفانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
والوقوف على الاطلال ووصفها استفتاح تقليدي سار عليه شعراء
العصر الجاهلي جميعهم ولم يشذ امرؤ القيس عنهم فقد وصف الاطلال
وكانت كلماته ومعانيه وأفكاره في ذلك قريبه جداً من غيره اذ يعدد
الأماكن ، ويدكر عفاء الدار بعد ارتحال الاحبة عنها . ثم خلوها
الامن بعض آثارهم .

غير انه ، وان كانت المادة الاولى الحام متداولة بين شعراء العصر
الجاهلي ونعني بها المسميات والنوى والأرآم والعين ومشاهد الارتحال
الا ان لكل شاعر ثوبه الذي يلبسه معانيه ، وطابعه الذي يطبع به شعره ،
ولعل قوة الخيال ولطف التشبيه ، هو مايميز وصف امرئ القيس
للاطلال كقوله :

١ - فتحاء الجناحين : لينتها وطويلتها ، اللقوة : العقاب السريعة ، طأطأت شملالي :
لكزت فرسي ٢ - خزان ، ج خزن : وهو ذكر الارانب ، الشربة موضع في
نجد ، اورال : اسم جبل ٣ - الحشف : رديء الثمن

ترى بعراً الأرم في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل،
كأنني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرة الحبي ناقف حنظل.
أو كقوله :

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ ازمان
أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط الزبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحبي الجميع فهيجت عقابيل سقم من ضمير وأشجان (١)
الموصوفات الأخرى :

● وما وصفه امرؤ القيس عدة الحرب كالسيف والرمح في مواضع محدودة .

كقوله :

واعددت للحرب وثابة جواد المحشة والمروء (٢)
ومطر دأ كرشاء الجرور من خلب النخلة الاجرد (٣)
وذا شطب غامضاً كلمه اذاصاب بالعظم لم ينأد (٤)
ومشدودة السك موضونة تضاءل في الطي كالمبرد (٥)

أو كقوله :

متوسداً غضباً مضاربه في منته كمدبة النمل (٦)
يدعى صقيلاً وهوليس له عهد بتمويه ولا صقل (٧)

١ - العقابيل : بقايا اللة ٢ - جواد المحشة والمروء : جواد في سرعته وفي التؤدة -
٣ - المطرد ، الرمح ، الرشاء ، الحبل ، الجرور ، البئر العميقه ، خلب النخلة ، ليفها ،
٤ - ذا شطب ، سيف عليه نقوش ، كلمه ، جرحه لم ينأد لم ينثن ٥ - مشدودة
السك الدرع ، موضوفة منسوجة ٦ - العضب ، القاطع ٧ - التمويه الطلي

ووصف المطر والبرق والرعد في مواضع متعددة وأغدق على الطبيعة كرم خياله بتشبيهات رائعة كقوله :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حي مكل (١)
يضيء سناه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المقتل
حتى آخر المعلقة .

أو كقوله :

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر (٢)
تخرج الود إذا ما أشجذت وتواريه إذا ما تشكر (٣)
وترى الضب خفيفاً ماهراً ثنياً برثته ما ينعفر (٤)
وترى الشجراء في ريقه كرؤوس قطعت فيها الخمر
ساعة ثم انتحاهها وابل ساقط الاكناف واه منهمر (٥)

وفي اكثر المرات التي يصف فيها المطر يشكل هذا سيلا يصيب بالاذى والخير معاً الأرض والناس والحيوان وما ذلك الا تعبير عن حاجة الجزيرة العربية للماء ولو سبب الاذى :

فهذه صورة الخراب :

وتياء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطمأ الا مشيداً بجندل

١ - الحبي : السحاب المتراكم ٢ - الديمة: المطر ، الوطفاء: القرية-
من الأرض ، تحرى : تقصد حراهم ، تدر: تعتمد المكان وتثبت فيه ٣ - أود: الود-
اشجذت: كفت، تشكر : تحفل ٤ - برثته : أصبعه ٥ - الاكناف : الجوانب .

تليها فرحة الطبيعة :

كأن مكأكي الجواء غدية صبحن سلافاً من رحيق مفلفل
ووصف امرؤ القيس الليل في معلقته ، وجعله كموج البحر في
شدته ، ثم ذكر كيف انتابته همومه فطال ليله ، وعبر عن ذلك
بمجموعة من الاستعارات الجميلة .

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكل كل
الابيات ...

مميزات الوصف

من كل ما سبق نستطيع أن نقول أن امرأ القيس شاعر وصف
أولاً ، وأن أجمل أشعار وصفه تلك التي قالها في الصيد والقص والطبيعة
ويمتاز وصفه بما يلي :

١ - بالواقعية ونعني أن ما وصفه هو ما رآه ولمسه بنفسه وأن
الأوصاف التي يلبسها الموصوف هي التي عايناها وجر بها وعاشها .

٢ - بالحركة والحياة: اذ تشكل عناصر الحركة والانفعال
جزءاً هاماً منها حتى في وصفه الاطلال لا يلبث أن يحرك المعالم
الدارسة وهو يصور ظعن الحي يوم تحملوا

٣ - بقوة الخيال : فامرؤ القيس ذو خيال خصب مبدع اذ قلما
ترد المعاني مجردة بسيطة ، بل يعرض علينا مشاهد موصوفاته باثواب

مزر كشه خلابة ملونة ومتعددة وتتجلى قوة خياله بـ :

— كثرة الصور المعروضة وغزارة التشبيهات والاستعارات خاصة

— التآلف بين عناصر الصورة كالتوافق بين المشبه والمشبه به

— جدة الصور وابتكارها

— استمدادها من البيئة البدوية بشكل عام ودون البيئة الحضرية

التي عاشها في بلاد الشام وبلاد الروم ، حتى في شعره الذي قاله فيهما .

— الاكثار من التشبيه واستخدام أدواته : ك ، كأن ، مثل

٤ — وتمتاز معاني امرئ القيس اضافة لما ذكر بـ :

— لطف المبالغة فهو حين يبالغ لا يصل الى حد الاستكراه

— استخدام الكنايات الجميلة المعبرة

٥ — ويعتمد امرؤ القيس الى ايضاح الموصوف وتلوين جوانبه

واظهاره بين المعالم متبعاً في ذلك :

— الالحاح على الموصوف الواحد بمجموعة صفات متلاحقة كقوله

في وصف الكلب :

فيدر كنا فغم ، داجن سميع ، بصير ، طلوب ، نكر

— الاكتفاء بالصفة بدلا عن الموصوف كقوله :

واركب في الروع خيفانه

٦ — يعتبر امرؤ القيس الاول في كثير من الصور فهو الذي

استحدثها وعنه أخذها من جاء بعده، من هذه الصور :

- صراع الكلب مع الثور الوحشي .
- وصف الجواد بأنه منجرد ، قيد الأوابد ، هيكلي ...
- تشبيه الفرس بالعقاب والناقة بالثور الوحشي أو الظليم

٧ - في وصف امرئ القيس تكرار : يدلنا على شاعريته حين يسوق المعنى الواحد بأثواب متعددة ، ويعاب عليه حين يكرر هذه المعاني بنفس الالفاظ والعبارات . الأمر الذي جعل بعض النقاد ينظرون اليه على أنه ضيق الأفق محدود التفكير .

٨ - عاب بعض النقاد على امرئ القيس ضعف العاطفة في الوصف . أو على الاصح أن العاطفة لا تظهر بالشكل الذي ينبغي لها . الا أن هذا الضعف يغطيه الخيال وجمال الصور المعروضة .

٩ - قال بعضهم ان معاني امرئ القيس في الوصف ليست كلها جديدة بل منها ما سبقه اليها غيره وتفوق عليه فيها ، ويستشهدون على ذلك بالقصة التي تروي التنافس في وصف الفرس بين امرئ القيس وعلقمه الفحل أمام زوجة امرئ القيس أم جندب . وقد حكمت هذه لعلقمه على زوجها بما كان سبباً في تركه اياها .

المديح

لم يتكسب امرؤ النيس بشعره ، ولم يتخذ وسيلة للوصول الى اغراضه في جمع الانصار ولعل ذلك راجع لنفسيته ، وشخصيته ، وبالاخص كرامته الذاتية التي تمنعه من التزلف والمداهنة وترضي الناس . وما وصل اليها من شعر امرئ القيس في المدح قليل فقد مدح عوير بن سبيحة من بني عوف الذي حمى ابنته هنداً في غيابه بعد ان قتل حجر وعمت الفتنة واصبحت الابنة في خطر وذلك بأبيات منها :

ان بني عوف ابتنوا حسباً ضيعه الدخيلونه اذ غدروا^(١)
أدوا الى جارهم خفارتـه ولم يضع بالمغيب من نصروا
لكن عوير وفى بذمته لاعور شأنه ولا قصر
كما مدح عوير ثانية بأبيات منها :

ثياب بني عوف طهارى نقيه واوجههم عند المشاهد غران
هموا أبلغوا حي المذل أهلهم وساروا بهم بين العراق ونجران
فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبر بميثاق واوفي بجيران

١ - الدخيلون جمع دخل الذي يداخلك في امورك ،

ومدح المعلى من بني تميم لانه اجاره .

كأني اذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام^(١)
فما ملك العراق على المعلى بمقتدر ولا الملك الشامي
ومدح أيضاً سعد بن الضباب الذي نزل به واجاره بأبيات منها :
سأشكرك الذي دافعت عني وما يجزيك مني غير شكري
فما جار بأوثق منك جاراً ونصرك للفريد أعز نصر
بما نلاحظ ان المدح قد اتخذ صفة الشكر على معروف اسدي اليه
وهذا المعروف يتمثل في حماية عائلته او اجارته نفسه من اعدائه .
والعبارات هنا بسيطة مجودة من اخیال محدودة الجمال اقرب
للضعف منها للقوة .

٢ - البواذخ : ج باذخ الجبل العالي ، شمام : اسم جبل لباهله

الرشاء

لم يردنا عن امرئ القيس قصائد في الرشاء يمكن اعتمادها في دراسة هذا الفن لديه ، ونحن لا نجد تفسيراً مقبولاً لذلك . فقد توفي والده الملك حجر قتيلاً وتلقى نبأه فرثاه بأبيات فيها ضعف وركاكه ظاهرين :

أرقت لبوق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل
أتاني حديث فكذبته بأمر تززع عنه القل
بقتل بني اسد ربهـم ألا كل شيء سواه جلـل
فأين ربيعة عن ربهـا وأين تميم وأين الخول
ألا يحضرون لدى بابـه كما يحضرون اذا ما استهل
أو يقول حين يحضره نعي والده :

أتاني واصحابي على رأس صنيع حديث أطار النوم عني فأنعم^(١)
فقلت لعجلي بعيد مآبه ابن لي وبيتين لي الحديث المجمعا^(٢)
فقال أبيت اللعن عمرو بن كاهل أباح حمى حجر فأصبح مسلما.

١ - صيلع : مكان ٢ - المجمعم : المبهـم الغامض .

كما نعرش على أبيات متفرقة في الرثاء ليس فيها غنى منها رثاؤه
لأعمامه الذين قتلهم المنذر :

ألا يا عين بكّيتي لي شنيئاً وبكّيتي لي الملوكة الذاهبين^(١)
ملوكاً من بني حجر بن عمرو يساقون العشيّة يقتلوننا
وهذه الأبيات جميعها ان صحت نسبتها لأمريء القيس - لا تعبر
عن العاطفة الصادقة الصحيحة . وهي ضعيفة المبني مضطربة القافية ،
خالية من الصور الجميلة بسيطة العبارة .
من هنا ايضاً ندرك لم يعاب على أمريء القيس جمود عاطفته وعدم
رثائه اعز الناس اليه كإبيه وأعمامه وأهله .

١ - الشين : فطران الماء .

الفخر

ليست لامرء القيس قصائد خاصة في الفخر ، ولكننا نعثر على أبيات متفرقة في ذلك خلال قصائده في الأغراض الأخرى ..

وقد افتخر امرؤ القيس بالكثير من الصفات منها :

افتخر بشبابه وجماله وأنه يصبي الموضع فيلهمها عن ابنها
فمثلك حبل قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي ثنائمه محول^(١)

وأنه يصبي العروس ويحمي عرضه فلا يقربه غيره :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت^٢ وان لا يحسن اللهو أمثالي
كذبت لقد أصبي على المرء عرسه وامنع عرسي ان يزن بها الحالي

وافتخر امام معشوقاته بشجاعته :

أبقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة ، زرق كانياب اغوال^(٢)
أبقتلني اني شعفت فؤادها كما شعفت المهنوءة الرجل الطالي^(٣)

١ - التيمية : العوذة ، محول : اتم السنة ٢ - مسنونه زرق : نبال ،

٣ - المهنوءة : اراد الناقة المطلية بالقطران

ويفتخر على اعدائه بأبيه وجده ونسبه وهو في معرض تهديدهم -

والله لا يذهب شيخي باطلا	حتى أبير مالكا وكاهلا
القاتلين الملك الحلاحلا	خير معد حسباً ونائلا
وخيرهم قد علموا فواضلا	نحن جلبنا القرع القوافلا . . الخ

كما يفتخر وهو في معرض هجائه سيـدع بن عوف بمجموعة من الصفات :

أبلغ سبيعاً ان عرضت رسالة	اني كهك ان عشوت احامي (١)
وانا المنبه بعد ما قد نوّموا	وأنا المعالي صفحة النوام (٢)
وانا الذي عرفت معد فضله	ونشدت عن حجر بن ام قطام
وانازل البطل الكريه نزاله	واذا أناضل لا تطيش سهامي
خالي ابن كبشة قد علمت مكانه	وأبو يزيد ورهطه أعـمامي

كما يفتخر بكرامته .

واذا أذيت ببلدة ودّعتها ولا أقيم بغير دار مقام
وحين تغرقه أمواج همومه ، وهو بعيد عن أهله ، أمامه مطمح
الاخذ بالثأر ، وفي قلبه حنين للاهل ، يرضي نفسه المتفجعة ، بالفخر
بنفسه وباخلاقه وبأهله وبغزواته ، فبعد أن يصف ناقتة يقول :
عليها فتى لم تحمل الارض مثله أبرّ بميثاق واوفى واصبره

١ - عشوت : نظرت ٢ - صفحة النوام : وجوههم .

هو المنزل الآلاف من جو ناعط بني أسد حزننا من الأرض أو عرا (١)
ثم يقول متذكراً ماضيه :
وكننا أناساً قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أ كبراً (٢)
وما جنبنا خيلي ولكن تذكرت مرابطها في بربعيص وميسرا (٣)
كما يتذكر أيام لهوه وشبابه :
ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا نقاداً وحتى نحسب الجون اشقرا (٤)
نلاحظ مما سبق وذكرونا

١ - أن امرأ القيس افتخر بصفاته الحقيقية ، وهو لم يتبجح كذبا
٢ - وأن الصفات التي افتخر فيها : تشمل قدرته على مواصلة
النساء ونسبه وشرف قبيلته وأخلاقه الذاتية وخاصة الصبر والشجاعة
والإباء والوفاء بالعهد وشربه الخمر .

كما أن هناك صفات لم يفتخر بها إلا لماماً ، منها الجود على الرغم من
أنه جواد ، وبمقدرته الشعرية على الرغم من مكانته وتفوقه الشعري
بالنسبة لأقرانه ومعاصريه .

٣ - أما العبارات فيلاحظ فيها البساطة ، والعفوية مع شبه خلوها
من الصور البيانية وبعدها عن التزيق والتزويق لكنها قوية العاطفة
شديدة التعبير عن نفسية الشاعر .

١ - ناعط : حصن بأرض همدان ، جو : أرض اليمامة ٢ - قرمل : من
ملوك اليمن ٣ - بربعيص وميسر : مكانان ٤ - النقاد : أولاد الغنم ، الجون :
الاشقر .

شعر الشكوى والوجدان

حياة امرئ القيس متروعة بالاحداث الجسام ، وبتقلبات الأيام ،
فنحن نعلم أن امرأ القيس نشأ في بيت عريق بالمجد ، فهو من سلالة ملوك
كنده وأمه اخت كليب والمهليل ، وبدا فقد أمضى الفترة الأولى من
حياته في حضان الرفاه والدعة والترف الذي لم يطل به ، اذ سرعان
ما وجدناه ، مع تفتح شبابه ، وشاعريته ، طريداً شريداً متصعكاً
في الهضاب ، يعيش على الصيد والقنص ، وينعم بحظ وافر من اللهو والنساء
ولا تطول به أيضاً هذه الحياة كثيراً اذ يبلغه خبر مقتل أبيه فتستيقظ
فيه الحمية والرجولة ، ويهب يطلب ثأر أبيه عنيداً صلباً شجاعاً ، فيجمع
الجموع ، ويقود الجيوش من أقصى الجنوب من حمير في اليمن الى
شمالي الجزيرة العربية ويغزو ، وينتصر على اسد ، ويعود للخمر التي
حرمها على نفسه :

قد قرت العينان من مالمك ومن بني عمر ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان اذ نقذف أعلامهم على السافل
نطعنهم سلكى ومخلوجة كرك لأمين على نابل (١)
حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أسقى غير مستحقب اثماً من الله ولا واغل (٢)

غير أنه لا يكتفي بالنصر الذي أحرزه ، فليس الثأر الذي أصابه

١- سلكى: الضمن مستويّاً أمام الوجه ، مخلوجة. المعوجة عن يمين أو شمال ، الكر:
الرد ، الأثم: السهم ، النابل: من يرمي النبال ٢- المستحقب: حامل الاثم .

مما يليق بأبيه الملك ، ولذا فهو يريد أن يفني بني أسد حتى لا تقوم لهم قائمة ، ثم تنقلب الأيام ويدور الزمان دورته ، ويصبح امرؤ القيس طريداً شريداً ، وينفض عنه حلفاؤه وانصاره ، ويخذه حتى اصدقاؤه ومعينوه ، وتطلبه سيوف المنذر وحلفاء أسد ، فيلتجئ الى هذا وذاك ، ويغدر به أسياناً بعض من التجأ اليهم ، وأخيراً يسلك طريق الشام قاصداً القيصر
من هنا يبدأ شعر الشكوى ، كانت آماله كبرىه كبرىه
يمثلها قوله :

فلو أنما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثر وقد يدرك المجد المؤثر أمثالي^(١)
وما المرء مادامت حشاشة نفسه بدرك أطراف الخطوب ولا آلي^(٢)
فأصبحت هذه الآمال سراباً معلقاً بالقسطنطينية ، والطريق الى
القيصر فيه العربة والذكرى ، وفي الذكرى عبر الأيام وتقلب
الاصدقاء ، والحنين للاهل
تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت على خملي خوص الركاب وأوجرا^(٣)
فلما بدت حوران والآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرأ
لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولا بن جريج في قرى حمص أنكرأ
ثم يقول

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرأ

١ - المؤثر : الاصيل في الشرف ٢ - الآلي : المنقطع عما يطلبه .

٣ - خملي واوجر : مكانان .

كذلك جدّي ما أصاب صاحباً من الناس الا خانني وتغيّراً (١)
ويصل امرؤ القيس القسطنطينة ، وما طله القيصر ؛ ويتذكر ابنته
هنداً فيقول

أذكرت نفسك ما لن يعودا فهاج التذكر قلباً عميداً
تذكرت هنداً وأتراها فأصبحت أزمعت منها صدودا
ولكن الايام لا ترحم ، بل تضيف الى آلامه آلاماً جديدة ، فها
هو المرض أخذت علائمه تظهر ، ويكاد يشعر امرؤ القيس بدنو
أجله وهو في غربته عن قومه وبأسه من القيصر ، وصراعه مع
المرض فيقول :

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحي الجديد
بأنّي قد هلكت بأرض قـرم سحيقاً من دياركم بعيداً
ولو أنّي هلكت بأرض قومي لقلت الموت حق لا خلودا
أعالج ملك قيصر كل يوم وأجدر بالمنية أن تقودا
وتزداد القروح في جسم امرئ القيس فهو في أقصى عتمة اليأس
آلام المرض المبرحة والغربة والشعور بقرب النهاية .
فيقول قصيدته التي مطلعها :

الممّاً على الربع القديم بعسسا كأي أنادي أو أكلم أخرساً (٢)
ويذكر فيها قلة نومه

فأما تريني لا أغمض ساعة من الليل الا أن اكبّ وأنعسا

١ - جدي : حظي ٢ - عسس : جبل لبني عامر .

ويذكر شبابه أيام يطاعن الحيل وإيام يروح الى النساء
 فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الحيل حتى تنفسا
 ويارب يوم قد أروح مرجلا حبيبا الى البيض النواغم أملبسا^(١)
 يرعن الى صوتي اذا ما سمعته كما ترعوي عيط الى صوت أعيسا^(٢)
 ثم يعود الى نفسه فيذكر أنه لا يقدر من الضعف ان يرفع
 ذراعه ويلبس ثيابه

وما خفت تبريح الحياة كما أرى تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا^(٣)
 فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنهما نفس تساقط أنفسا
 وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة فيالك من نعمى تحولن أبؤساً
 ويتذكر الطماح الأسدي الذي كاد له عند القيصر .

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا
 ألا إن بعد العدم للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا^(٤)
 وعند عسيب في أكثر الروايات لدى قبر امرأة هناك يشعر امرؤ
 القيس بأنه عما قريب سيكون غريباً غربة هذه المرأة عن العالم كله
 فيقارن بين غربتين الغربة عن الاهل وهو على قيد الحياة والغربة عن
 العالم وهو في القبر فيكاد يرثي نفسه

أجارتنا ان الخطوب تنوب واني مقيم ما اقام عسيب
 أجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

١ - المرجل : المسرح الشعر او الطويل العنق . ٢ - يرعن : يرجعن ، ترعوي
 ترجع ، العيط : خيار الابل ، الاعيس : فحل الابل ، ٣ - التبريح : شدة البلاء
 ٤ - القنوة : ما يقتنى .

وان تصلينا فالقراية بيننا
أجارتنا مافات ليس يؤوب
وليس غربياً من تناءت دياره
في استعراضنا السريع هذا يمكننا أن نعرف كثيراً عن الشعر
الوجداني لا مريء القيس .

— فهو شعر ليس القصد منه رضاء احد ولا الكيد لاحد ولا يراد
منه اعجاب أحد بل هو شعر الذات للذات حديث النفس للنفس هو
شعر العاطفة الحالصة تنفسياً لها من تعانیه ، لهذا كله نقول ان صفاء
القصد وخلو الشعر من الاغراض أدى الى صفاء العاطفة ، فظهرت حرة
تترجم بجرارة عن صاحبها ، وتنقل احاسيده نقلاً مباشراً لقلب السامع .
— شعر الشكوى والوجدان صاحب امرأ القيس في أواخر حياته .
وكان شعراً مختلفاً تماماً عن شعر الشباب ، فشتان بين قصائد الصيد
والقنص ، والقصائد التي نحن بصدددها .

في قصائد الشباب يكثر الخيال ، وتنوع الصور ، وتأخذ الملويينات
والاصبغة امكنتها ، وتظل العاطفة متأرجحة بين الظهور والاختفاء .
اما هنا وفي هذا الشعر الوجداني فتظهر العاطفة ظهوراً واضحاً بين
المعالم يغمر جو القصيدة وجوانبها ، وبالتالي يكون حظ الخيال حظ
الصدفة ، حظاً موزعاً ببساطة على لوحة القصيدة ، ببساطة وقوة
مجمعتين .

في الشعر الوجداني وشعر الشكوى تظهر الكلمات بسيطة مأنوسة

وتطل المعاني واضحة مشرقة بعيدة عن التعقيد والمعاظلة ويرجع هذا الى العفوية التي تسوقها .

- وشيء آخر نلمحه هنا وهو ارتباط الالبيات مع بعضها ارتباطاً قلمياً، نعثر عليه في الشعر الجاهلي .

- في هذا الشعر تكثر الحكم والأمثال والاعتبار بحوادث الأيام ، ولا شك ان من طبيعة من كبر به العمر ان يكثر من الحكمة .. وحسبنا ان نقرأ أبياته الأخيرة بـ « أجارتنا ان الخطوب تنوب » لندرك الى أي مدى كانت الحكمة طوعاً للعاطفة وخادماً لها .

- في صياغة الجمل تظهر النداءات المؤثرة العاطفية في الخطاب وفي التذكير كقوله: أجارتنا إنا غريبان .. أجارتنا مافات ..

ويارب مكروب الخ
وتأخذ حتى الحروف حظاً من التعبير العاطفي ، كحرف السين في قوله :

فلو أنها نفس تموت جميعاً ولكنها نفس تساقط انفساً
وبكلمتين أخيرتين نوجز بها ميزة شعر الشكوى والوجدان عند امرئ القيس فنقول : أنه شعر يمتاز بقوة العاطفة وبالعفوية .

الهجاء

لم يكثر امرؤ القيس من الهجاء ، لبعده هذا النوع من الشعر عن طبيعته . واذا عدنا الى شعره وجدنا أبياتاً متفرقة لا تعطى فكرة صحيحة عن فن الهجاء لديه . والذين هجأهم امرؤ القيس : هم اشخاص ارادوا انتهابه ، أو خانوه وغدروا به كخالد السدوسي الذي أراد انتهاب امواله وفيه يقول :

وأعجبني مشي الحرقة خالد كمشي أتان حللت بالمناهل
وهناك هجاؤه لبعض القبائل التي غدرت به ، أو بأهله ، وانصرت اسداً عليه .

فقد هجا البراجم ، وهم من بني تميم ، ويربوعاً ودارماً الذين خانوا عمه فقتل :

الا قبَّح الله البراجم كلها وجدَّع يربوعاً وعقر دارماً (١)
وآثر بالملحاة آل مجاشع رقاب اماء يقتنين المفارماً (٢)

١ - البراجم: بطن من تميم ، الجدع : قطع الأنف ٢ - الملحاة : التقييح واللعنة ، المفارم : دواء للفرج .

فما قاتلوا عن ربهم وربيهم ولا آذنوا أجار فيظفر سالماً

وهجا بني حنظلة بقوله :

أبلغ بني زيد اذا مالقيتهم وأبلغ بني لبني وأبلغ غاضراً

وأبلغ ولا تترك بني ابنة منقر أفقرهم اني أفقر نابر^(١)

أحنظل لو كنتم كراماً صبرتم وحطمت ولا يلقى التيمي صابراً

وعلى كل ، يمكننا أن نوضح ملامح فن الهجاء عند امرئ القيس

بما يلي :

— ان الذي وردنا منه هو ابيات متفوقة وليس قصائد كبقا

فنونه الشعرية .

— انه أقرب الى اللوم منه الى الهجاء .

— انه بعيد عن الاسفاف اللفظي .

كما نشاهد فيه :

— بساطة الافكار وعرضها دون اثواب مزر كشة من المعاني

والخيال .

— الاكثار من اسماء القبائل واسماء الاشخاص .

— تناسق الابيات وارتباطها وتسلسلها .

١ — افقرهم : اكبر فغارهم ، نابراً : من نبرة اللسان ، اي نال منه بلسانه .

الحكمة

لم يكثر امرؤ القيس من الحكمة، ولعل ذلك يعود الى ان اكثر شعره الذي وصلنا هو شعر شبابه حيث كان يلهو ويصطاد ، ولكنه حين امتدت به السنون ، وانقلبت عليه الايام وخبر الناس ، وكثرت تجاربه، بدأت الحكمة تظهر في شعره ظهوراً متفاوتاً مع اتسامها كلها بالمرارة والالام، ولم لا ؟ أليس هو الملك الضليل الذي انقلبت به الايام فاصبح شريداً طريداً .. ثم دهمه المرض ايضاً وهو في غربته عن أهله واصحابه فسمي « ذو القروح » .

والحكم التي وصلتنا عنه تتعلق بالموت ، وبالدهر وتقلبات ايامه ، وان ما مضى مضى ولن يعود :

● ألا انما الدهر ليال واعصر وليس على شيء قويم بمستم

● أجارتنا ما فات ليس يؤوب وما هو آت في الزمان قريب

● وليس غريباً من تناءت دياره ولكن من وارى التراب غريب

● ارانا موضعين لا مر غيب ونسجر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبّات ودود واجراً من مجلحة الذئاب^(١)

● ألم اخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا^(٢)

ازال من المصانع ذا رباش وقد ملك السهولة والجبالا^(٣)

وهناك الحكم التي تدور حول علاقات الناس بعضهم ببعض كقوله
فيمن يفسد كرمه بالمن فيه :

● أفسدت بالمنّ ما اوليت من نعم ليس الكريم اذا اسدى بمنّان

وقوله في حفظ اللسان :

● ولو عن نثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد

● اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بنجران

وقوله في الحرب :

● الحرب اول ما تكون فتية تبدو بزيتها لكل جهول

١ - جملة : الاكولة المأجمة على الناس ٢ - غول : أي يقتال الناس ، ختور العهد : غادر .

٣ - المصانع : القرى . ذورباش : احد ملوك اليمن .

حتى اذا حميت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل^(١)
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت مكروهة للشمّ والتقبيل^(٢)
ويلاحظ في الحكم التي اوردناها واقعيتها المستمدة من المعاناة
الذاتية والتجارب التي مر بها الشاعر، كما انها بسيطة العبارة ، تحمل
في طياتها التعبير عن الالم، الذي اخذ به صاحب الشاعر في اواخر حياته..

١ - حليل : زوج ٢ - الشمطاء : التي خالط سواد رأسها بياض الشبّ..

الخصائص العامة لشعر امرئ القيس

١ - لم يقل امرؤ القيس الشعر متكسباً ، أو طالباً به المجد ، بل كان الشعر في زمنه مما لا يليق بالملوك ، ومع ذلك قاله متحملاً غضب أبيه وعشيرته ، فشعره اذن صادر عن نفس شاعرية تحب الفن للفن .

٢ - شعر امرئ القيس تعبير عن نفسيته وحياته بما فيها من متناقضات ، فنحن نلمس في هذا الشعر :

- مكانة الشاعر في قومه وشرف نسبه

- حبه للنساء وشهوانيته واستهتاره وخمره وآراءه في المرأة .

- حبه للصيد والاقتناص وركوب الخيل ..

- تشرده وصعلكته .

- محاولاته للاخذ بثأر أبيه .

وبكلمة اعم ان حياة الشاعر ممثلة تماماً في شعره ..

٣ - شعر امرئ القيس ترجمان صادق عن البيئة التي عاش فيها :

أ - فهو شعر يمثل البداوة اولاً بما يحمله من الفاظ وتشابيه

بدويّة كقوله :

- كأن على المتنين منه اذا انتحى مداك عروس او صلاية حنظل
- كأن دماء الهاديات بنجره عصارة حنّاء بشيب مرجل
- فعنّ لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّل

ب - ويمثل رفاة الملك بما يحمله من كلمات الرفاة: كالطيب والحلي
وانواع الثياب، بالإضافة للاهتمام بالطرب والغناء .

- اذا قامتا تظوّع المسك منها نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل
 - ألم تريا في كاسها جئت زائراً وجدت بها طيباً وان لم تطيب
 - الى مثلها يرنو الحليم صباة اذا ما سبكرت بين درع ومجول
 - فان امس مكر وبافيارب قينة منعّمة اعلمتها بكران
- لها مزهر يعلو الخنيس بصوته أجشّ اذا ما حركته يداها

ج - لا تظهر الآثار الحضريّة في شعره الذي قاله في بلاد
الغساسنة وبلاد الروم وقد يكون ذلك لضيق الفترة التي امضاها
هناك بحيث لم تستطع التأثير في شعره .

٤ - شعر امرئ القيس شعر منقّح ، اهتم صاحبه به فصقّله
وهذبّه حتى أنه يجاهر بذلك ويفتخر قائلاً :

أذود القوافي عنيّ ذبادا ذباد غلام جرّيء جرادا (١)
فلما كثرت وغنّيته تخيرت منهن شتى جيادا (٢)

١ - أذود : ادفَع ٢ - غنّيه : اتعبنه .

تأعزل مرجانها جانباً وآخذ من درّها المستجادا

٥ - يمتاز شعر امرئ القيس بحسن المطلع كقوله :

تقفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو من احسن مطالع قصائد الجاهلية ، ولا يقلّ عنه في الجودة

ألا عم صباحاً ايّها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الحالي

٦ - لم يوفق امرؤ القيس في الخروج من غرض الى غرض في

القصيدة الواحدة، حيث نشاهد في بعض القصائد انقطاعاً تاماً بين الغزل ووصف الصيد أو غيرها من الاغراض الاخرى، والمعلقة مثال حسن لتتوع الاغراض وضعف الانتقال بينها .

٧ - يمتاز كلمات امرئ القيس بالنعومة واللين فهي كلمات الرفاه

والدعة واللمهو (خاصة في الغزل) وهي مأنوسة لطيفة محببة بعيدة

عن الغموض في اكثر فنونه الشعرية الا اننا نلاحظ كثرة الغريب في شعره الوصفي ، وبما لاختلاف مسيمات عصره عن عصرنا .

٨ - يعتبر امرؤ القيس اسبق شعراء الجاهلية الى ابتكار المعاني

والتعابير والصور وتمتاز هذه بما يلي :

- بالجدة : فهي جديدة على عصرها تماماً . وعن امرئ القيس

أخذها الشعراء وتداولوها .

- بالحركة : فهي صور مشبعة بالانفعال .

- بالواقعية : فهي مستمدة من البيئة ومن تجربة الشاعــر
وملاحظة :

- بتوافقها مع الغرض الذي انشئت من اجله .
ومثال هذه المعاني :

- سموت اليها بعدما نام أهلها سموّ حباب الماء حالاً على حاله
- وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
- كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجذع الذي لم يثقب^(١)
- كأن المدام و صوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر^(٢)
- تعلّ به برد انياها اذا غرّد الطائر المستحر^(٣)
- كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي^(٤)

ويلحظ لدى امرئ القيس :

- جمال الاستعارة كما في قوله :

-
- ١ - الجذع : خرزاسود يخالطه بياض ٢٠ - النشر : الرائحة، القطر : عود يتبخربه -
٣ - المستحر : الغني في السحر أو آخر الليل ٤٠ - الحشف : رديء التمر .

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع : الموم : اليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازاً وناء بكلكل^(١)

ـ الاكثار من التشبيه واستخدام ادواته : كأن ، ك ، مثل .

دير كخذروف الوليد امرء . تتابع كفيه بخيط موصل

ـ لطف الكناية ، كقوله : وببضه خدر لا يرام خباؤها ، كناية
عن طهارة المرأة .

او كقوله :

كأن دماء الهاديات بنجره عصارة حنّاء بشيب : رجل^(٢)

كناية عن اقدام الجواد وكثرة ما يصطاد عليه .

٩ ـ تمتاز عبارات اموى القيس :

أ ـ بالترابط فيما بينها .

ب ـ بالايجاز دون ان يؤدي ذلك الى نقصان المعنى أو غموضه .

ج ـ بالاكتفاء بالصفة عن الموصوف كقوله :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي او مساويك اسحل^(٣)

١ ـ الكلكل : الصدر . ٢ ـ الهاديات : المتدهات ، المرحل : المرح .

٣ ـ تعطو : تتناول ، الرخص : اللين الناعم ، الأساريع : دود يكون في
البقل والاماكن الرطبة ، شثن : غليظ ، ظي : موضع ، اسحل : شجر له أغصان ناعمة مستويه

تصدّ وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل^(١)

د - بالالاحاح على الموصوف الواحد بمجموعة صفات تحدده معالنه وتوضحه كقوله في وصف الجواد :

بمنجرد قيد الاوابد هيكل .. كميث ضليع ... الخ ..

هـ - بالاكثر من استخدام اسماء الامكنة رمزاً أو تفصيلاً كقوله:

● بناظرة من وحش وجرة ...

● اساريع ظبي أو مساويك اسجل ...

● قعدت له وصحبتني بين ضارج وبين العذيب بعدما متأملي

● وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطمأ الا مشيداً بجندل

ولا شك ان تحديد الامكنة وذكر مسمياتها يجعل الموضوع

واقعيّاً مأنوساً يربط بين الشاعر وجمهوره .

١٠ - في شعر امرئ القيس نلمح تكرار الموضوعات

والاغراض، وهي احياناً بالفاظ ومعان جديدة . وحياناً بنفس

الالفاظ والمعاني كما سيرد في بحث عيوب شعره .

١١ - يعرض امرؤ القيس افكاره في اكثر الاحيان بشكل

قصة وخاصة في الغزل والوصف، وتمتاز هذه القصص :

- بتكرار الفكرة بالفاظ واثواب مختلفة مع بعض التلوينات

في كل مرة .

١ - الاسالة: امتداد الخد، وجرة : موضع ، مطفل : لها طفل .

- بلطف الحوار :

ويوم دخلت الحدر، خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
ولا يقتصر الحوار على الانسان بل يتناول غير العاقل، كقوله
في خطاب الليل :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجسل - بصبح وما الاصبح فيك بأمثل
او في خطابه الذئب :

فقلت له لما عوى ان شأننا - قليل الغنى ان كنت لما تموسل^(١)
كلانا اذا ما نال شيئاً أفاته - ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

١ - تقول : أصبح ذا مال

عيوب شعره

١

لكل شاعر في أي مكان وزمان ، عيوبه وسقطاته ، وفيما يلي نستعرض المآخذ التي وجدها دارسو شعر امرئ القيس ورواته :

١ - الاقواء والاصراف كقوله :

- كأنّ ثبيراً في عرّانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل^(١)

والصحيح كبير أناس في بجاد مزمل بالضم وليس بالكسر

- فظل طهاة اللحم ما بين منضجٍ صفيّف شواء أو قدير معجلٍ

والصحيح : صفيّف شواء أو قديرًا معجلًا .

٢ - الايطاء : وهو اعادة كلمة الروي على اقل من سبعة حروف

كقوله :

على الأين جيّاش كأنّ سراته على الضمر والتعداء سرحة مرقب^(٢)

فكلمة الروي مرقب يعيدها بعد بيت واحد في نفس القصيدة :

١ - ثبير : اسم جبل . العرنين : الالف : عرّانين وبله : أوائل المطر

البجاد : كساء مخطط .

٢ - الأين : التعب، سراته : ظهره ، سرحة مرقب : شجرة المراقبة .

له أبطالا ظبي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب (١)
وكقوله :

وهبت له ريح بمختلف الصوا صباً وشمال في منازل قفّال (٢)
فكلّمه الرويّ قفال يعيدها بعد خمسة أبيات في قوله :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشتّ لقفّال

٣ - تكرار الجملة أو الشطر أو البيت (عدا القافية) بنفس
المعنى مع اختلاف طفيف كقوله :

● قعدت له وصحبتى بين ضارج وبين تلاع يتلت فالغريض

● قعدت له وصحبتى بين ضارج وبين العذيب بعدما متأملي

أو كقوله :

● له أبطالا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل (٣)

● له أبطالا ظبي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب

ومن الجمل المكررة بكثرة في شعره الوصفي :

كان دماء الهاشيات بنجره

وقد أغتدي والطير في وكناتها

١ - الأيطل : الحاصرة ، العير : حمار الوحش .

٢ - صوا : حجر يوضع للدلالة في الطريق .

٣ - ارخاء سرحان : عدو الذئب ، تقريب تتفل : عدو ولد الثعلب .

بمنجرد قيد الاوابد . . .

على الابن جياش . . .

وغيره كثير .

٤ - الاسفاف في قوله :

لنا غم نسوقها غزار كأن قرون جلّتها العصي^(١)

فتملاً بيتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وري^٢

٥ - سخافة المعنى في قوله يصف فرسه :

لها ذنب مثل ذيل العروس تسدّ به فرجها من دبر

فالشطر الثاني لا لزوم له لانه صفة كل ذنب .

او قوله في الفرس ايضاً :

وأركب في الروع خيفانة^(٢) كسا وجهها سعف منتشر^(١)

وهذا الوصف يسيء للفرس ، اذ يجعلها لا ترى امامها ، اضافة الى انه

تشبيهها بالجرادة امر لانستسيغه .

٦ - خسارته حين تنافس مع علقمة الفحل في وصف الفرس

امام امرأته وكان ذلك بسبب بيته الشعري :

١ - جلّتها : الواحد جليل : كبير السن .

٢ - خيفانه : جراده ، سعف : أي شعر الناصية

فللسوط الهوب والساق درة وللزجر منه وقع اخرج مذهب.

اذ جعل فرسه لاتبير الا بالزجر والسوط

في حين قال علقمة :

فأدر كهن ثانياً من عنانه يمرّ كمرّ الرائح المتحلب

٧ - فجوره وافحاشه في غزله

٨ - وأخيراً تشبيهه نفسه بالفأر في قوله :

وهرّ تصيد قلوب الرجال وافلت منها ابن عمرو حجير

أوس بن حجر

حياته

في كتب الادب القديمة وحتى الحديثة اشارات تلميحية حيناً وتصريحية حيناً آخر ، الى مدرسة شعرية واضحة الاركان والمقومات ، منسوبة الى شاعر جاهلي اسمه اوس بن حجر . . . فمن هو هذا الشاعر ؟

من المعلوم ان حياة الشعراء الجاهليين ونشأتهم يكتنفها الغموض من كل جانب نظراً لتأخر تدوين الادب الجاهلي ، لذلك لانكاد نعرف عن حياة الشاعر اوس بن حجر الا النذر اليسير الذي لا يروي غلتنا وتعطشنا لمعرفة المؤثرات على شخصيته ، وبالتالي لا يدعنا نصدر الاحكام الموضوعية على شعره القليل الذي وصل الينا باعتبار ان حياة الشاعر الخاصة ، ونشأته لهما اكبر الاثر على شخصيته الشعرية .

على ان هناك ملاحظتين يمكنهما ان تعطينا لمحة عن الشاعر وقيمه :

١ - لدى دراسة حياة الشاعر زهير بن ابي سلمى نجد ان اوساً كان زوج امه ، وانه « اي زهير » تتلمذ على يديه وأصبح فيما بعد راويته وحامل طريقته الشعرية .

٢ - لدى الرجوع الى ديوان اوس نجد اشعاراً تشير الى حادثة حصلت لاوس اثناء سفره ، اذ وقع في ارض بني اسد فاندقت فخذه ، وبات في مكانه حتى الصباح ، فاذا ببنت يجنين الكمأة ، وما ان يلمحن ناقته حتى يرتعن منه الا فتاة صغيرة اسمها حليلة بنت فضالة بن كلد . فقال : من انت ؟ قالت ابنة فضالة ، قال : اذهبي الى ابيك - وأعطاها حجراً - فقولي له : يقول لك ابن هذا اثني . . فأتته فبلّغته فقال : لقد اتيت اباك بمدح طويل او بهجاء طويل . . واحتمل بيته فبناه عليه وقال : لا انحول ابدأ او تبرأ . . واقام عليه حتى شفي . . وكانت حليلة بنت فضالة تقوم عليه فقال فيها الابيات التالية :

اعمر ك ما ملت ثواء ثوبها حليلة اذ القت مراسي مقعد (١)
ولكن تلقّت باليدين ضمانتي وحل بشرح م القبائل عوددي (٢)
وقد غبرت شهري ربيع كليها بحمل البلايا والحباء الممدد
ولم تلهيها تلك التكاليف انها كما شئت من اكرومة وتخرد (٣)
هي ابنة اعراق كرام نمنها الى خلق عف برازته قد (٤)

١ - الثوى: الضيف ، الثواء : الاقامة . ٢ - الشرح : مكان بين الجواء وناظره ، الضمانة : العاهة . ٣ - الحريدة : الفتاة البكر . ٤ - نمنها : رفعها في النسب ، البرازة : العفة الخلق .

سأجزيك اويجزيك عني مثوب وقصرك ان يثني عليك وتحمدي
 من هاتين الملاحظتين نستنتج ان اوس بن حجر كان من الشعراء
 الفحول ، وانه كان يخشى لسانه من الجميع .. ناهيك عن نبوغه
 الشعري الذي لم يطغ عليه فيه الا النابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى
 حتى قال عنه ابو عمرو بن العلاء « كان اوس فحل مضر حتى نشأ
 النابغة وزهير فأخلاه » .

اسمه وطبقته :

ان كل ما نعرفه عن اوس - غير ما قدمناه - ان اسمه اوس .
 بن حجر بن عتّاب بن عبد الله بن عدي بن نخير بن اسيد بن عمرو بن
 تميم . . . وفي رواية اخرى ، هو اوس بن حجر بن مالك التميمي . .
 وفي نسبه اختلاف . . . اما مرتبته بين الشعراء الجاهليين ، فمن
 الرواة من يقرنه بالشعراء الفحول « امثال النابغة وزهير » كابن سلام
 الجمحي الذي عدّه من شعراء الطبقة الثانية بعد امرئ القيس والنابغة
 وزهير والاعشى . . . في حين عدّه ابو عبيدة معمر بن المثنى من شعراء
 الطبقة الثالثة . . . اما الاصعبي فقد تحدث عنه فقال : ان اوساً كان
 شاعر مضر ولكن النابغة طأطأ منه فظل شاعر تميم . . . ولكن الثابت
 ان علماء البصرة والكوفة وبغداد يروون قول ابن العلاء : ان اوساً
 شاعر مضر حتى ظهر النابغة وزهير فأخلاه . . .

اغراضه الشعرية :

تبين النماذج القليلة المتوفرة لدينا من شعر اوس ان الاغراض التي نظم فيها هي :

١ - الوصف: الذي احتل شطراً كبيراً من اشعاره .

٢ - الهجاء: الذي لعبت العvisية القبلية والنفسية الذاتية الدور الكبير في غزارة .

٣ - الرثاء: الذي نما وغزر على حساب المدح، وانصب اكثره على فضالة بن كلدة بعد ان اعتنى به عند اصابته .

٤ - الفخر الذي امتلأت به بعض قصائده كنتيجة طبيعية لعvisيته القبلية ومكانته بين قومه ونبوغه الشعري .

أما بقية الأغراض كالمديح والغزل والحكمة فلم نعثر له على أشعار فيها إلا ما ندر وبمناسبة العرفان بالجميل والاعجاب بالنسبة للمديح ، وافتتاح القصيدة والانهاء منها بالنسبة للغزل ، والحكمة .

السمات الرئيسية :

قبل أن نبدأ باستعراض الأغراض التي نظم فيها أوس ، لا بد لنا من اعطاء لمحة موجزة عن السمات الرئيسية لشعره التي قد تسهل علينا تقويمه وإيفاءه حقه من الدراسة

- ١ - تجسيده حياة البادية شكلاً وموضوعاً .
 - ٢ - تحسسه المادي لموضوعاته الشعرية واشتراك الخيال في ذلك بشكل مباشر ودون انفصال .
 - ٣ - أعماله التهذيب والتنقيح في أشعاره قبل عرضها على الآخرين .
 - ٤ - استعماله لفنون البلاغة وفقاً لمقتضى الحال وانسجاماً مع وضعية الغرض الشعري .
- والآن . . . وبعد استعراضنا السمات الرئيسية لشعر أوس بن حجر يمكننا البدء بمعالجة أغراضه :

الوصف

ذكرنا عند استعراضنا للأغراض التي نظم فيها أوس أن الوصف غزير لديه ، لذلك لا بد لنا من البدء به باعتباره يمثل أصدق تمثيل شخصيته الشعرية ، حتى ان بعض كتب الادب لم تتعرض الا للوصف لديه . مهمة بعض أغراضه الشعرية وكأنها غير موجودة أو لاتساوي شيئاً في عالم الشعر الجاهلي وقد كان من أبرز موصوفاته :

- ١ - السحاب والمطر .
- ٢ - عدته وعتاده الحربي .
- ٣ - الحيوان .
- ٤ - آلامه الشخصية .

٥ - الاطلاع ومشاهد الارتحال .

وصفه للسحاب والمطر والرعد :

يضع نقّاد الادب ومؤرخوه وصف اوس للسحاب والمطر والرعد في القصيدة التي مطلعها :

ودّع لميس وداع الصارم الاحي إذ فنّكت في فساد بعد إصلاح^(١)

١ - الصارم : الهاجر ، القاطع ، الاحي : الائم .

في المقام الاول بين جميع الشعراء الذين تناولوا هذا الوصف
والسبب الأول في ذلك ان شاعرنا بطريقته الحسية المادية المتصلة
اتصالاً وثيقاً بخياله قد صور لنا اجود تصوير السحاب والمطر والرعد
بشكل لا يدخل الملل فقال :

اني أرقّت ولم تأرق معي صاحي	لمستكفّ بعيد النوم لوّاح (١)
قد نمت عني وبات البرق يسهرني	كما استضاء يهودي بمصباح
يا من لبرق أبیت الليل أرقبه	في عارض كمضيء الصبح لمّاح (٢)
دان مسف فويق الارض هيد به	يكاد يدفعه من قام بالراح (٣)
كأن ريّقه لما علا شطباً	اقرب ابلق ينفي الخيل رمّاح (٤)
هبت جنوب بأعلاه ومال به	أعجاز مزن يسحّ الماء دلاّح (٥)
فالتجّ أعلاه ، ثم ارتجّ أسفله	وضاق ذرعاً بجمل الماء منصاح (٦)
كأنما بين أعلاه وأسفله	ربط منشرة أوضوء مصباح (٧)
ينزع جلد الحصى أجشّ مبتوك	كأنه فاحص أو لاعب داحي (٨)
فمن بنجوته كمن بمحفله	والمستكنّ كمن يمشي بقراوح (٩)

-
- ١ - المستكف : المطر الهاطل ، لاح البرق لوحاً ولؤوحاً ولوحاناً : لمع .
 - ٢ - العارض : السحاب الذي يتعرض على وجه السماء ، او الذي يسبقه برق شديد الوميض .
 - ٣ - المسف : الشديد الدنو من الارض ، الهيدب : ما تدلى منه .
 - ٤ - القرباب الابلق : البرق الذي يضيئه لك من السحاب ، ابيض والباقي اسود .
 - ٥ - العجز : مؤخر الشيء ، الدلاح : المقل بالماء . ٦ - التج : صوت من اللجة ، المنصاع : منشق بالماء . ٧ - الربط : ج ربطه وهي الملاعة . ٨ - الاجش : الغليظ الصوت وهو صفه للرعد المصاحب للسحاب ، المبتوك : المسرع في العدو .
 - ٩ - القرواح : الارض المستوية .

كأن فيه عشارا جلّة شرفاً شعنا لهاميم قد همّت بارشاح^(١)
هدلاً مشافرها ، بجأ حناجرها ترجي مراييعها في صحح ضاحي^(٢)
فأصبح الروض والقيعان سمرعة من بين مرتفق منها ومنطاح^(٣)



حقاً ان أوساً في وصفه هذا قد أجاد الى حدّ بعيد . . وفيما يلي
ملاحظاتنا حول هذه القصيدة :

١ - ان الافكار والمعاني التي جسدتها تلك الابيات لا تعدو عن
كونها تدور حول سقوط المطر بعد برق ورعد شديد ، فاذا
بالارض ملأى بالمياه . . اذن فالافكار عادية ولكن الشيء غير العادي
في هذا الموضوع هو التسجيل الحسي الحركي الحيالي لهذه الظاهرة
الطبيعية وقد نجح في ذلك للأسباب التالية :

آ رغم عدم الشفافية التي بدت من خلقها افكار اوس ومعانيه ،
إلا أن دقة التصوير قد أسهمت في تقريب الافكار والمعاني الى ذهن
القارئ ، ساعدها في ذلك الصدق الذي تميزت به ، والجدة التي
أبرزت فيها .

ب - وبالإضافة لما ذكرنا فان تسلسل الافكار وترابطها وتناغمها

١ - العشار : التي لها عشرة أشهر من الحمل ، الجة : المسان من الابل ، الشرف :
الكبار ، اللهاميم : الغزار ، الارشاح : اشتداد فصيل الناقة وقوته . ٢ - الهدل :
المسترخية ، ترجي : نرعى ، الصمصح : المكان المستوي الظاهر . ٣ - المرتفق :
ماء راكد محبوس ، المنطاح : ماء سائل .

مع الطريقة التصويرية المادية الواقعية من جهة، والخيالية الانسيابية من جهة أخرى ، قد ساهمت في ابراز المعاني والافكار التي دار حولها الموضوع .

٢ - اما الالفاظ فلم تكن سهلة من جهة ، ولكنها ايضاً لم تكن صعبة الفهم من جهة أخرى ، نظراً لما تحلت به من جرس موسيقي أعطاها تلك السمات الشاعرية التي لعبت دوراً هاماً في نجاح الوصف باعتبارها كانت :

آ - حسية وموحية بالمعاني التي وضعت للتعبير عنها : لَمَّاح ، رَمَّاح
ب - مناسبة لجو الموضوع ومتعاطفة معه .
ج - غير مستكرهة على السمع ، رغم وجود بعض الاغراب اللغوي فيها باعتبارها صادرة عن شاعر يمثل البادية شكلاً وموضوعاً .
٣ - اما الجمل والتراكيب التي استخدمها للتعبير عن موضوعه ، فقد كانت قوية ، متماسكة ، شديدة التأثير ، متلائمة كل التلائم مع الموضوع الذي رصدت للتعبير عنه .

٤ - اما جو الموضوع فقد تميز بجرسة انسيابية هادئة حيناً ، ومنفعلة احياناً وذلك لقربه من نفسية الشاعر .

٥ - اما ابرز ما نلاحظه فهو تلك المادية التي تغلغلت في كل الابيات فأكسبتها الرونق الخاص بها بالاضافة لاعانتها على اظهار جمال الموصوفات وحسية وقعها .

٦ - اما الفنون البلاغية التي تجلت في القصيدة فتكاد تكون الاستعارات والتشابه اكثرها ، حتى يكاد لا يخلو منها بيت من ابيات القصيدة ، وقد ساعد على تقريبها للفهم ، البساطة وتلك المادية التي نوهنا عنها آنفاً ، اذ ان كل تشبيه من تشابهه يقترب من مادية ملحوظة تعطية المدى المطلوب منه ، وخير مثال نجده ايرادنا لهذين البيتين اللذين يضعانا امام تشابهه الجيدة :

يامن لبرق ابيت الليل ارقبه في عارض كضيء الصبح لمـاح
دان مسف فويق الارض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
فالبرق شبه بالصبح المضيء ، وضوء الصبح اللامح بطبيعته يشبه البرق الذي يومض ثم لا يستمر سريعاً حتى يذهب .

٧ - وكما اكثر اوس من الاستعارات والتشابه فكذلك استعمل في سبيل تقريب معانيه من ذهن القارئ ، كثيراً من الوسائل المعبرة والمؤثرة التي ابرزها :

١ - الاكثار من صيغ المبالغة (لواح ، لواح ، رمّاح ، دلاح) التي اكسبت الموضوع قرباً من واقعه .

٢ - الترويع الذي تجسد بشكل خاص في هذا المقطع (هــلا مشافرها ، بجّا حناجرها) فاعطى المعنى حركته الانفعالية الخاصة .

٣ - التجنيس للحروف بما يتوافق مع الاوزان (فمن بنجوته ، كمن بمحفله)

اما السمة البارزة التي اكسبت القصيدة أهمية خاصة لدى الرواة والنقاد والمهتمين بالادب فتتجلى بالصدق الذي نطقت به جميع جزئيات القصيدة والذي يمكننا رده للسببين التاليين :

- ١ - التصاق الموضوع بنفسية الشاعر (اني أرقّت ... قد نمت عني وبات البرق يسهّدي . . يا من لبرق ابیت . .)
- ٢ - اندماج الشاعر نفسياً معه وخلوه من كل ما يتعلق بالمصالح المادية للشاعر .

وعلى العموم فان وصف اوس لمظاهر الطبيعة (برق ، رعد ، سحب ، مطر) يعدّ من أروع موصوفاته نظراً للأمور التي نوهنا عنها والتي تعود فتهز في وصفه لعدته وعتاده الحربي . . .

وصفه لعدته وعتاده الحربي :

ومن الموصوفات الموفقة التي نجدها في ديوان اوس ، ما يتعلق بالعدة والعتاد الحربي الممثل بالسيف والرمح والدرع والقوس . . والتي ركز عليها الشاعر بأكثر من قصيدة جيدة :

واني امرؤ أعددت للحرب بعدما رأيت لها فاباً من الشر أعصلا^(١)
اصمّ ردينياً كأن كعوبه نوى القسب عراً صامزجاً منصلا^(٢)

١ - الأعصّل ؛ الأعوج . ٢ - القسب ؛ تمر بابس نواه مر صلب ، المزجي حديدہ
بلسفل الرمح ، المتصل : السنان .

واملس صولياً كنهى قرارة
كأن قرون الشمس عند ارتفاعها
تردد فيه ضوءها وشعاعها
وابيض هندياً كأن غرارها
إذا سل من جفن تآكل أثره
ومبضوعة من رأس فرع شظية ..
على ظهر صفوان كأن متونه
فما زال حتى نالها وهو معصم
فلما نجا من ذلك الكرب لم يزل
فأنهى عليها ذات حد دعاها
على فيخذه من براية عودها
فجردها صفراء لا الطول عابها
إذا ما تعاطوها سمعت لصوتها
وان شد فيها النزع أدبر سهمها
وحشو جفير من فروع غرائب

أحس بقاع نفح ربيع فأجفلا... (١)
وقد صادفت طلقاً من النجم أغزلا
فأحسن وازين بامرئ أن تسربلا
تلألؤ برق في حبي تكلا (٢)
على مثل مصحاة اللجين تآكلا (٣)
بطود تراه في السحاب مجلا
علن بدهن يزلق المتزلا
على موطن لوزل عنه تفصلا (٤)
يمظعها ماء اللحاء لتذبلا (٥)
رفيقاً بأخذ بالمدأوس صيقلا (٦)
شبه سفي البهي إذا ما تفتلا (٧)
ولا قصر ازرى بها فتعتلا
إذا انبضوا عنها نثياً وازملا (٨)
الى منتهى من عجبها ثم اقبلا (٩)
تنطع فيما صانع وتنبلا (١٠)

١ - النهي : غدير الماء . ٢ - الحني : السحاب المرتفع . ٣ - مصحاة اللجين : قدح من فضة . ٤ - المعصم : المتعلق بالحبل . ٥ - مظع : شرب ، اللحاء : قشر العود . ٦ - الرفيق : الحانيق ، المدأوس : جمدوس وهو الذي يصفق به ٨ - السفي : ج سفاة وهو شوك البهي . ٨ - انبض القوس : جذب وترها فصوت ، النثيم : الصوت الضعيف . ٩ - المعبس : موضع كف الرامي من القوس . ١٠ - الجفير : الكتانة للسهم ، غرب : نوع من الشجر ، تنطع : تحذق .

تخيّر أنضاء وركّبن أنصلا كجمر الغضا في يوم ريح تزيلاً^(١)
فلمّا قضى في الصنع منهنّ فهمه فلم يبق الاّ ان تسنّ، وتصقلا
كساهنّ من ريش يمان ظواهرها سخاماً لؤاما ، لينّ المس اطحلا^(٢)
يجرن اذا أنفرن في ساقط النوى وإن كان يوماً ذا أهاضيب مخصلا^(٣)
فذاك عتادي في الحروب اذا التظت وأردف بأس من حروب وأعجلا
لقد عمدنا في ايراد هذه الابيات الى الانتقاء، فالقصيدة طويلة ،
ولا يمكننا في هذه العجالة سردها بكاملها ولكن حسبنا اختيارنا
لهذه الابيات التي تدل على وصف اوس لعدته وعتاده الحربي .
أما وقد ذكرنا ما فيه الكفاية عن وصف اوس للطير
والسحاب . . لذلك لن نكرر الخصائص المتشابهة بل سنورد بعض
الملاحظات التي نوجزها فيما يلي :

الملاحظة الاولى :

احاطة الموصوفات الحربية بكامل جزئياتها ، وكأن الشاعر
يجب ان يبسطها أمام القارئ ليعين النظر فيها مستخدماً لذلك
الصور الجزئية المتلاحقة .

١ - النضي : سهم لم يبر بدم ، الغضا : شجر شديد الالتهاب ، ٢ - السخام :
اللين ، الطحلة : لون بين الغبرة والبياض والسواد ، ٣ - يجرن : يسمع لهن
صوت .

الملاحظة الثانية :

ظهور مادية أوس بأجلى معانيها : « وبشكل أبلغ مما لاحظناه
« في وصفه للمطر والسحاب » في الأوصاف التي أتى على ذكرها
تباعاً وبتفصيل دقيق أحاط بها إحاطة تامة ، فالرمح « أصم ردينياً . . »
والدرع « وأملس صولياً . . » والسيف « وأبيض هندياً . . »
والقوس « ومبضوعة من رأس فرع شظية . . » والسهم « وحشو
جفير من فروع غرائب . . . » أي أن المادية تلتصق في كل كلمة ،
كل جملة ، كل تركيب . . وباختصار فقد حققت التعبير المجسد
الحي للموصوفات .

الملاحظة الثالثة :

كثرة الاغراب اللفظي الذي أعطى للموضوع ذلك الجو
البدوي المعرق في بداوته ، والمصور للعتاد الحربي كالسيف والرمح
والدرع والقوس والسهم ، التي ربما توافقت مع مقتضيات البيئة
والمجتمع الجاهلي ، ولكنها لا تتلائم مع مجتمعنا في الوقت الحاضر
الذي أصبحت فيه هذه الأدوات الحربية لا تستعمل الا كسلاح ابيض ،
وبما أصبح مكان أكثر قطعه المتاحف .

الملاحظة الرابعة :

التركيز على الموصوفات وتجسيدها بسيل جارف من التشبيهات
المقتبسة من البيئة البدوية وبأشكال أحاطتها من كل جانب ،
مصورة أدق الجزئيات منها بحيث قربتها الى المتذوق ووضعتها أمامه
وجهاً لوجه . . .

وصفه للناقة :

وكباقي الشعراء الجاهليين لا بد لأوس من أن يأتي في قصيدته
على وصف الحيوانات التي تنتشر في البادية كالنوق والحمر الوحشية
والكلاب والحيل . . . وسواها . . مركزاً بشكل خاص على
وصف الناقة كقوله :

وإدماء مثل الفحل يوماً عرضتها	لرحلي وفيها جرأة وتقاذف (١)
وعنس أمون قد تعللت متنها	على صفة أو لم يصف لي واصف (٢)
كملت عصاها النقر صادقة السرى	إذا قيل للجيران أين تخالف (٣)
علاة كناز اللحم ما بين خفها	وبين مقيل الرحل هول نفانف (٤)
علاة من النوق المراسيل وهمة	نجاة علتها كبرة فهي شارف (٥)

١ - الإدماء : الناقة البيضاء اللون ، تقاذف : يدافع بعضها بعضاً .

٢ - العنس الامون : الناقة القوية الوثيقة الخلق . ٣ - كملت : ذات حرة مشوبة
بسواد ، تخالف : تذهب وتتهج . ٤ - العلاة : الناقة المشرقة ، النفانف : ج نفنفة كل
شيء بينه وبين الارض مهوى . ٥ - المراسيل : السهلة السير ، الوهمة : الضخمة القوية

جمالية للرحل فيها مقدّم أمون وملقى للزميل ورادف^(١)
 يشيّعها في كل هضب ورملة قوائم عوج بحمرات مقاذف^(٢)
 توائم آلاف ، توال لواحق سواه^(٣) ، لواه ، مربذات خوائف^(٣)
 يزل قتود الرحل عن دأياتها كما زلّ عن رأس الشجيج المحارف^(٤)
 ما من شك اننا مهما استرسلنا مع اوس في وصفه لناقته ، هنا
 أو في مواضع اخرى من قصائده ، فاننا سنجدّه ، كما وجدناه في بقية
 موصوفاته ، يحيطها بأوصاف كثيرة يعجب الانسان بمقدرته الفائقة
 في ايرادها .

وبالطبع فاننا نلاحظ كما لاحظنا في الشكلين السابقين من
 موصوفاته (المطر وعدة الحرب) تلك المادية الشديدة وذلك
 الاغراب الخفيف (باستثناء وصف المطر . . فقد كان مقبولا) في
 الألفاظ والتراكيب ، حتى لكأن القارئ في بحر متلاطم الامواج
 لا يخلص منه الا بمعجزة لا بد له هنا من تحقيقها بمعجم ضخم حتى
 يفهم معانيها . . .

النجاة : السريعة، الشارف من الابل: المسن، ١ - الجمالية : الناقة الوثيقة الخلق التي تشبه
 الجمل ، الزميل : الرديف على البعير ، الرادف : التابع . ٢ - بحمرات : اشتدت
 الاخفاق واجتمعت . ٣ - السواهي : اللينة السير ، المربد : خفة القوائم ، الخوائف
 التي تهوى بايديها ٤ - قد خشب الرحل : الدأبات : الكواهل ، المحرف : ميل السير
 الجراحات .

وقد نجد لأوس العذر في اغرابه بأنه شاعر جاهلي مادي
 الاتجاه ، إلا أننا نأخذ عليه هذه الشدة فيه التي تكبّد القارئ من
 الجهد ما يجعله يقلع عن فكرة متابعة القصيدة . . .
 ومن جهة أخرى فإنحاطته بصفات الناقّة تعد عملاً جيداً
 لا ينقص منه كونه من الأعمال التي درج عليها غيره من الشعراء الجاهليين ،
 باعتبار أنه قد لوّنها بما تتلاءم معه من ألفاظ وتعبير . . .
 وصفه لآلامه الشخصية :

ومن الموصوفات الجيّدة التي نرى فيها رقة وشفافية وبعداً عن
 الاغراب اللفظي ، قلما نراها لدى أوس (الذي أجهدتنا قراءة بقية
 موصوفاته) ، هذه الأبيات التي قلّما عندما وقع عن ناقته بأرض
 بني أسد واندقت فخذه حتى أسعفه فضالة بن كادة :

خذلت على ليلة ساهرة بصحراء شرج الى ناظره

تزايد ليالي في طولها فليست بطلق ولا ساكره (١)

كأن أطاول شوك السّيال تشكّ بها مضجعي شاجره (٢)

أنوء برجل بها ذهنها وأعيت بها اختها الصابرة

ان هذه الأبيات على قلّتها ترينا مقدرة أوس التصويرية ، سيما وإنها
 متّصلة بنفسه ومصوّرة لآلامه الشخصية التي أحسّها عندما كسرت

١ - طلق : يوم معتدل الحرارة ٢ - السّيال : نبات له شوك أبيض كالأسنان ،
 شاجره : طاحنه .

قدمه . . . وهي باختصار جيّدة من جميع نواحيها : الفكرية وقد عبّرت بشكل جيد عن الموضوع الذي أراده . . . والعاطفية ، وقد جسّدت آلامه أبلغ تجسيد وبصدق لا يرقى الشك الى زيفه لاتصال الموضوع بنفسيته . . . والفنية وقد وضع الموضوع في اطاره المطلوب بسلسلة من الصور الجيدة زاد جمالها ، الألفاظ والأجمل والتراكيب التي امتازت فضلاً عن ذلك بشفافية نادرأ ما نجدتها في أشعار أوس . . . وفوق هذا كله نلمح ذلك الهدوء الذي ساد الأبيات وأعطى لها ذلك الجو الخاص الذي أراد أوس تصويره وجعله يعبر عن حالته التي كان يحياها عقب الحادثة التي تعرض لها . . .

وصفه للأطلال :

وكما ان وصف الحيوانات من ضرورات أو شبه ضرورات سلّم القصيدة الجاهلية ، فكذلك وصف الاطلال ، وأوس على ما لدينا من من قصائد له نجده غير مكثّر من هذا النوع من الموصوفات التي نجدتها عند سواه وقد ملأت القصيدة . وفيما يلي هذا النموذج :

تتكبر بعدي من أميمة صائف فبرك فأعلى تولب فالخالف (١)
فقو ، فرهبي ، فالسليل عازب مطافيل عوزالوحش فيه عواطف (٢)

١ - صائف ، برك ، تولب : مخالف ، مواضع ٢ - قو : عازب ، السليل : اودية ، رهبي : بديار تميم ، العوذ المطافيل : الابل التي تجت وتبعها أطفالها .

فبطن السليّ ، فالسخال تعذرت فمقله الى مطار فواحف
كأن جديد الدار يبليك عنهم بقيّ اليمين بعد عهدك حالف
بها العين والآرام ترعى سخالها فطيم ، ودان للفطام ، وناصف^(١)
لعل أوس بن حجر أراد في أبياته تلك وضعنا في الأماكن التي
كانت تسكنها القبائل العربية التي تنتسب اليها أميمة (محبوبته في
القصيدة) ، فاذا به يأتينا بأشعار كلها أسماء لا يمكن أن تعطينا أية فكرة
عن الأطلال اللهم الا ايراده البيتين الأخيرين ، حيث يصور حال
تلك الامكنة وقد أصبحت مرتعاً لبقر الوحش والظباء ، ترعى بها
مع أولادها . . . وبالطبع فان هذا النموذج يكمل فكرتنا عن
وصف أوس المادي الذي يستخدم فيه الصور المتلاحقة لتجسيد
موصوفاته .

ه - ناصف : بين الفطام والدنو منه .

الخصائص العامة لوصف

بعد ان استعرضنا نماذج عن وصف أوس للسحاب والمطر والعتاد الحربي والناقصة والآلام الشخصية والأطال يمكننا استخلاص الخصائص التالية :

- ١ - ظهور طابع البيئة البدوية في جميع موصوفاته
- ٢ - شيوع المادية في جميع الألفاظ والمعاني . . .
- ٣ - شيوع الاغراب اللفظي ، حتى ليجد القارئ نفسه مجبراً على مراجعة المعاجم لتفهم معاني الألفاظ وادراك مراميها ، اللهم الا تأياته في وصفه لآلامه الشخصية .
- ٤ - الاكثار من التشابيه وخاصة في قصائده التي تناول فيها موصف المطر والسحاب والعتاد الحربي .
- ٥ - كثرة الصور وتتابعها واحاطتها بجزئيات الموصوف وكافة النواحي فيه ، مع اشتراك الخيال في رسمها أحياناً .

- ٦ - اتسام القصائد بهدوء نسي مع بعض التوفيق أحيانا .
- ٧ - شيوع الصدق في القصائد باعتبار انها تمثل موصفات
ليس الا .
- ٨ - اتسام القصائد بقوة التراكيب والجمال مع ابتعاد ظاهر
عن الصراحة في الغالبية العظمى منها .

الهجاء

يعتبر الهجاء من أكثر الفنون الشعرية التي احتلت مركزاً خطيراً في المجتمع العربي القديم الذي كانت العصبية القلبية تلعب الدور الكبير فيه ، والسبب في ذلك انه (اي الهجاء) كان يمثل أهم وسيلة دفاعية وهجومية بين الخصوم ، حتى ان النبي (ص) قال مخاطباً شاعره حسان بن ثابت بمناسبة حربه مع المشركين « اهجم كأنك تنضحهم بالنبل » .

وديان أوس بن حجر تغصّ جنباته بالقصائد الهجائية التي تقودنا للاعتقاد بأن هذا الشاعر كان على خصومة شديدة مع جمع كبير من الناس بدليل قوله :

وقد رام يجري بعد ذلك طامياً من الشعراء كل عود ومقجم^(١)
ففاءوا، ولو أسطوا على أم بعضهم اصاخ فلم ينصت ولم يتكلم^(٢)

١ - عود : البازل من الجمال وأراد في البيت فحول الشعراء وضعافهم .

٢ - اصاخ : سكت مفحماً .

وكيف لا يكون شعره الهجائي على هذه الغزارة وهو الذي عرف
مقدرته الشعرية في هذا الفن ، فقال مفتخراً مزهواً بأقواله التي يصبها
على خصومه وكأنها السيوف الماضية :
بني ومالي دون عرضي مسلّم وقولي كوقع المشرفي المصمّم

بواعثه :

ذكرنا عند استعراضنا لحياة الشاعر وما قاله أبو عمرو بن العلاء عنه :
(كان اوس فحل مضر حتى جاء النابغة وزهير فأخملاه » اي ان
شاعرنا كان على منزلة رفيعة بين قومه ينطق باسمهم ، ويدبّ عنهم بلسانه
حتى طارت شهرته بين القبائل العربية فقال عنه فضالة بن كعدة لابنته
عندما جاءت به بنجر اوس : لقد جئتني بمدح الدهر أو ذم الدهر .
على ان الأمر لا يقف عند حد علوّ منزلة هذا الشاعر بين قومه ،
وانما يتعداها الى أمر آخر هو ذاتيّة اوس وتحفّز شعوره الذي ادى
به لقول بعض القصائد التي لا تهّم قبيلته او قومه وانما تهّم لوحده
فقط بالاضافة لنصرته لآخرين استجدوا به .

وعلى ذلك فهناك ثلاثة بواعث رئيسية لهجائه وهي :

١ - العصبية القبلية : التي كانت تهزّه فتجعله يهجو القبائل والبطون
المعادية لقبيلته وقومه .

٢ - العصبية الذاتية : التي دفعت لهجاء بعض الاشخاص لاشياء
تصل به شخصياً دون قومه .

٣ - نجدته للآخرين الذين استغاثوا به .

أهم مهجويه :

على الرغم من خلو ديوان اوس من الشروح الكافية لهجائه واسماء مهجويه ، إلا اننا نلمح من خلال ابیات قصائده ، بعض أسماء من هجأهم ، كبني ابينى وبني جديلة وبشر بن عمرو وقيس بن عاصم وام الحصين وبني سعد بن مالك بن ضبيعة ، وعوف بن مالك وعمرو بن مالك وبني عامر والحكم بن مروان بن زنباع العبسي وبني كاهل وبني الحارث بن سدوس بن شيبان وجميل بن الارقم وبني الابرص وام الردين . . الخ . . ممن سنتعرض لاكثرهم بعد ايرادنا المقومات الرئيسية للهجاء .

المقومات الرئيسية للمهجاء

قبل ان نبدأ باستعراض هجاء اوس لا بد لنا من ذكر المقومات الرئيسيه التي يجب توفرها في الهجاء ليلبغ النجاح، وليصل الى مراميه التي من اجلها قيل .. وهذه المقومات يمكن اجمالها في النقاط التالية :

١ - انتهاج اسلوب الطعن والنعيير بالمثالب القبلية مع التجريد

من :

آ - النسب الرفيع . ب - نبل المحتد والشجاعة . ج - الجود والكرم . د - المروءة . هـ - حماية الجار .

٢ - اضافة السيئات والصاق النقائص بالمهجو كاللؤم والبخل .

٣ - انتهاج اسلوب التحقير والتفضيل والمقارنة المتهجنزة .

٤ - انتهاج اسلوب التهمكيم والسخرية بالاشكال التالية :

أ - المعنوي . ب - الشخصي . ج - الجسماني .

مع ضرورة استخدام وسائل الاضحاك والتشبيه بالحيوانات وكل ما من شأنه رسم الصور « الكاريكاتورية » للمهجو .

٥ - انتهاج أسلوب الافحاش الأدبي مع عدم ذكر العورات
٦ - ذكر ماضي المهجو ومن ينتسب اليهم وما في حياتهم من
المحازي والمهزائم في الوقائع .

٧ - التصريح باسم المهجو ونسبته مع التركيز على نقائصه .
٨ - انتهاج البساطة والوضوح في ايراد اللفاظ والجمل
والتراكيب ووضعها في الاماكن الملائمة لها في بنيان القصيدة ، مع
كونها سهلة الفهم ، غير مهلهلة ، ولا مستكرهة على السمع .
٩ - الاستعانة بفنون البلاغة دون إسراف ، ولا تقتير ،
وبشكل ترد فيه متلائمة مع مقتضى الحال .

١٠ - الصدق في الاداء ، وشيوع الانفعال في كافة
الابيات . . .

وعلى العموم فان تواجد كل تلك المقومات ، ليس ضرورياً ،
فلكل شاعر ابداعه الذاتي في مثل هذا المجال (مجال الهجاء) الذي
يتصل اتصالاً وثيقاً بنفسه ، باعتباره نتيجة حتمية لتوفر احساساته
وشعوره واهتزاز كوامن نفسه وتفتحها وانفعالها .

هجاؤه لبني لبيني :

ان اول ما يلفت نظرنا ويسترعي انتباهنا في ديوان أوس ، ذلك
التركيز الواضح على هجاء بني لبيني من بني أسد بن وائله . . . ولكن

الشيء الهام في هذا المجال ، افتقادنا لسبب هذا الهجاء الذي نرجعه
للعصبية القبلية التي جعلت أوساً في قصائد أخرى من ديوانه ، يصب
جام غضبه ويرسلها أبيات هجائية في بني أسد الذين ينتسب إليهم
بنو لبني .

وقد هجا أوس بني لبني بأبيات وردت في ثلاث مقطوعات
سنستعرضها على التوالي لنبيّن ما فيها من مميزات وما لنا عليها من
ملاحظات :

أبني لبني لم أجد أحداً في الناس الأم منكم حسباً
وأحق أن يرمى بداهية ابن الدواهي تطلع الحدبا^(١)
وإذا تسوئل عن محاندكم لم توجدوا رأساً ولا ذنباً

الشيء البارز في هذه الأبيات ، أنها على قلتها تعبر بوضوح عن
الأفكار التي أراد شاعرنا عرضها ، فبنو لبني بنظره أناس لم يقاربهم
في اللؤم الحسبي أحد بل هم أحق الناس بالمصائب لأنهم لا أصل لهم
« لم توجدوا رأساً ولا ذنباً . . »

أما الذي نلاحظه على هذا النموذج فيمكننا تلخيصه بما يلي :

١ — لقد كانت أفكار الشاعر ومعانيه من الوضوح والسهولة
بحيث لا يحتاج القارئ لأيّ كد ذهني لفهمها ، خصوصاً وقد تعمّد الشاعر

١ - الحدب : الغليظ المرتفع عن الارض ، الداهية : أرادها قصائده الهجائية .

الباسها ثوب الصدق والجديّة والصراحة .

٢ - وبالإضافة لوضوح وسهولة الافكار والمعاني ، فقد كانت طريقة عرضها منطقية ، فبنو لبنى الأم الناس حسبا فهم لذلك أحق الناس بالمصائب وكيف لا ، وهم لا أصل لهم . . أي أنه وضع المبدأ وفنده وبرهن عليه بشكل متسلسل ومترابط ، وبأدلة دامغة لاجمال فيها للريبة ، أو الشك ، أو حتى مجرد التردد في الاقتناع .

٣ - أما الالفاظ ، فقد كانت كالمعاني التي وضعت للتعبير عنها سهلة ، وفصيحة ، وجديّة ، وغير خالية من التناغم الموسيقي الذي أكسبها ذلك التلاؤم ، والتعاطف مع الجمل والتراكيب من جهة ، والموضوع الهجائي من جهة أخرى .

٤ - وعلى الرغم من قلّة الأبيات الهجائية ، فقد ظهرت براعة أوس في ايراد أفكاره بصور ملوّنة فيها من الخيال والواقع الحسي المادي ما أعطى للموضوع الهجائي رونقه الخاص .

٥ - ولقد زاد في وضوح الأبيات تلك اللهجة الخطابية الشديدة التي سادتها ، والتي أسهم في ابرازها ما تلمس من شعور الشاعر الكرهى تجاه مهجويّه الذين رماهم بأسوأ ما ترمي به العرب : اللؤم في الحسب وانعدام الأصل .

وزبدة الكلام فان أوساً قد قدم لنا بأبياته الثلاثة المثال الحي لهجائه الذي نكاد نلمحه في أغلب قصائده الهجائية الأخرى .

أما النموذج الثاني الذي يهجو به بني لبيني فانه يشابه
في جميع نواحيه الايات الثلاثة التي استعرضناها مع بعض الامور
الاخري التي سنأتي على ذكرها بعد استعراض الأيات :

أبني لبيني لستم بيد	الا يداً ليست لها عضد
أبني لبيني لا أحقكم	وجد الاله بكم لما أجد
أبني لبيني لست معترفاً	ليكون الأم منكم أحد
أبني لبيني ان أمكم	أمة ، وان أباكم عبد
أبني لبيني ان أمكم	دحقت فخرق ثفرها الزند ^(١)
تنفون عن طرق الكرام كما	تنفي المطارق ما يلي القرد ^(٢)

لا نعتقد أن انساناً يخالفنا في الرأي بأن قصيدته هذه تشابه
النموذج الذي استعرضناه ، فالوضوح والصدق والجدية والصراحة ،
أهم سماتها . . يضاف اليها عقلانية عرض الأفكار ووضوح الألفاظ ،
وتلاؤمها مع المعاني والجل والتراكيب . . ناهيك عن بروز الشعور
الكرهي الذي يجسده بوضوح في تكراره اسم (أبني لبيني) في كل
بيت ، وإيراده أدوات النفي (لستم ، لا ، لست) على التوالي ليفيد
التأكيد على الفكرة والتأثير على القارئ للتشبع بها . .

١ - دحقت : خرج رحماً بعد الولادة ، الثفر : حياء المرأة . ٢ - القرد :
ما تلبد من الوبر والصوف أو رديء الصوف .

أما ما تميزت به هذه الآيات عن تلك فيتمجلى بالنقطتين

التاليتين :

١ - التهكم الذي تجلى في هذا البيت :

أبني لبيني لا أحقكم وجد الاله بكم لما أجد
أي ان حب الله لهم كحب أوس لهم سواء بسواء .. وبما انه يمتهمهم ، فالله أيضاً
يمتهمهم لتساويهما في الحب التهكمي الذي أورده من خلال ألفاظ البيت .
٢ التعرض لاصلهم العائلي ، بجعل أمهم أمة ، ووالدهم عبد ،

وبشكل يؤدي بهم الى ان يكونوا هجناء ، خاصة وانهم ينتسبون
لامرأة (لبيني) لا لرجل ، مما كان يعتبره العرب مهيناً ومعيباً على
أقل تقدير . . أي انه لم يكتف بالصاق المعائب والنقائص بهم (اللؤم ،
وبغض الاله . .) وانما ألحقهم بركب المخازي فجعل أمهم أمة فاجرة
(دحقت فخرق ثفرها الزند) وأبوهم عبد ذليل ، يبعدون عن
طرق الكرام كما يضرب النداف الصوف والقطن ليبعد عنها الشوائب
الضارة .

تتفون عن طرق الكرام كما تنفي المطارق ما يلي القرد

أما النموذج الثالث لهجائه لبني لبيني ، فلانعتقد انه يقل
شأناً عن النموذجين اللذين استعرضناهما ، اضافة لبعض الصور
الجيدة التي أتى بها لتجسيد أفكاره وتقريبها من الازهات ، مع

التأكيد على بعض الافكار التي رأيناها وازافة بعض الصفات الذميمة
الأخرى كالبخل . . .

عددت رجالاً من قعين تفجّساً فما ابن لبني والتفجّس والفخر^(١)
شأنك قعين غثّها وسمينها وأنت السه السفلى اذ ادعيت نصر^(٢)
معاذيل حلالون بالغيب وحدهم بعمياء حتى يسألوا الغد ما الأمر^(٣)
فلو كنتم من الليالي لكنتم كليلة سر لا هلال ولا بدر
وقبل أن ننتقل لنأخذ أخرى هجائية لا بد لنا من الإشارة الى
الملاحظات التالية على هذا النص :

- ١ - استعمال اسلوب المقارنة والتفضيل ، اذ قارنهم مع قعين بن
حارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد وهذا مايزيدهم ذلة . .
- ٢ - الصاق الصفات الذميمة بهم من خلال تصوير جسده بتشبيههم
بليلة ظماء يفتقد فيها البدر . .
- ٣ - ايراده بعض الالفاظ التهكمية الجسمانية المفحشة ، التلميحية
حيناً (أنت السه السفلى) والتصريحية حيناً آخر (مما نحجم عن ايراده
لثافات حدود الادب) ، فاذا به يكسب موضوعه الصور والتلوينات
الملائمة .

١ - التفجس : التعظم والتكبر . ٢ - شأه : سبقه ، السه : لغة في الاست .
٣ - معاذيل : ج معزال : وهو الذي ينزل بارض غير مطروقة (للدلالة على البخل)

وعلى العموم فقد تميّز هجاؤه لبني لبني بوضوح شديد وباستعمال أسلوب التحقير والتفضيل والتجريد من المكرومات ، الذي جعل منهم أناساً منحطين لا قيمة لهم ولا أصل ، ضعفاء ، أذلاء ، البخل ديدانهم ، واللؤم أبرز صفاتهم . . .

هجاؤه لبني برد :

وكما نوهنا فقد هجا اوس كثيراً من الناس غير بني لبني ، لا بأس من البدء ببني برد الاياديين الذين هجاهم بقوله :

قد حلأت ناقتي برد وراكبها عن ماء بصوة يومياً وهو مجبور^(١)
فما تنادى بها المعروف اذ نفرت حتى تضمنها الأفدان والدور
قوم لئام وفي أعناقهم غنف وسعيهم دون سعي الناس مهور^(٢)
ويل امهم معشراً جمّاً بيوتهم من الرماح ، وفي المعروف تنكير^(٣)
اذ يشرون الى الطرف عن عرض كأن أعينهم من بغضهم عور^(٤)
نكتبت لها ماءهم لما رأيتهم صهب السبال بأيديهم بيازير^(٥)
مخلّفون ويقضي الناس أمرهم غسّ الأمانة صنبور فصنبور^(٦)
لولا الهمام الذي ترجى نوافله لنالهم جحفل تشقى به العور

١ - حلأت الناقة : منعها من الورود ، بصوة : ماء بذي قار ، مجبور : خرجت - حماته فهو اغزر لئامه وأعذب . ٢ - غنف : غليظ ، مهور : مغلوب . ٣ - جم : البيوت : لا رمح فيها . ٤ - يشزر : ينظر عن عداوة . ٥ - صهب السبال : الاعداء ؛ البزارة : العصا العظيمة . ٦ - الغس : اللئيم الضعيف وتصلح للمفرد والجمع .

لولا الهمام لقد خفت نعامتهم وقال رأكبهم في عصبة سيروا^(١)
 يعلون بالقلع البصري^٢ هامهم ويخرج الفسوم من تحت الدقارير^(٢)
 تناهقون اذا اخضرت نعالكم وفي الحفيظة أبرام مضاجير
 أجلت مرمأة^٣ الأخبار اذولدت عن يوم سوء لعبد القيس مذكور^(٣)
 يبدو أن شاعرنا في هذه الأبيات أراد الامعان في هجاء بني برد،
 فألقى بهم من المساوىء ما لو وزعت على أحسن الناس لجعلتهم في
 الخضيض ، ويلعنون الى يوم الدين ، فهم لؤماء ، لا خير يرتجى منهم ،
 ضعفاء ، في نظرهم للناس غير اللؤم ، عداوة (لعلها ناتجة عن نبذ
 الناس لهم لانحطاط قدرهم ، وتحكم الآخرين بهم . . .) وبشكل
 عام ، فهم أذلاء أشبه بالدواب منهم للآدميين لدرجة أنهم لولا حماية
 الآخرين لهم لهلكوا . . .

لقد ركّز أوس في هذه القصيدة على أكثر الصفات السيئة التي
 سبق وأضفاها على مهجويه من بني لبيدني ، الا أنه هنا لم يحسب
 الذي من أجله هجأهم ، فهم منعوه وناقته عن ورود الماء . . . وبالطبع
 فإنه يظلّ يساورنا الشك بأن هذا السبب التافه لا يكفي لهذا الهجاء
 المر ، ولكنه عند استرساله (بالهجاء) يصف نظراتهم اليه بشكل

١ - خفت نعامتهم : فروا من الخوف ٢ - القلع : نوع من السيوف العتيقة
 الشامية ، الدقارير ج دقار : التبان ٣ - اجلت : تكشفت ، مرمأة : الاخبار غير
 الموثوقة .

يبعث على الضحك ، فيجعلنا لذلك ننظر لسبب هجائه نظرة جديدة ، خاصة وان المنع عن ورود الماء بين الاعراب البداءة ، كان يسبب الكثير من المشاكل بين الأفراد والقبائل حتى أنه في بعض الأحيان كان يثير القتلى . .

اذن يمكننا الاستنتاج مما سبق أن سبب هجائه ، المنع عن ورود الماء والاصرار على ذلك بدليل انه وصف نظرهم اليه بقوله :

اذ يشزرون الى الطرف عن عمد كأن أعينهم من بغضهم عور

وفي الواقع فاننا نلاحظ في هذه الأبيات النقاط التالية :

١ - التركيز على الصفات السيئة (كاللؤم والجبن والحسة والانحطاط) بالتصريح حيناً (قوم لئام . . سعيهم دون سعي الناس . . وبالتهليل أحياناً) مخافة (. . غسّ الأمانة . .) .

٢ - الاغراب اللفظي في - بعض الأبيات - الذي قل في النماذج التي هجا بها - بني لبينى (حلات - مجهور - عنف - مجهور - جم البيوت - صهب السبال - بيازير - غسّ الامانة . .) والذي هو غير مستغرب عن أوس ولكنه مستكره في الهجاء الذي يجب أن تأتي كلماته وجملة وتراكيبه صريحة واضحة ، سهلة ، يستطيع فهمها جميع الناس مهما كانت مستوياتهم الثقافية والفكرية . .

٣ - البعد عن التسلسل والترابط بين جزئيات الأفكار ، اذ كان المفروض قبل ان يحدد صفاتهم السيئة ، ان يشرح السبب الهجائي ،

كلياً فيقول :

قد حلات ناقتي برد وراكبها عن ماء بصوة يوماً وهو مجهور
اذ يشزرون الى الطرف عن عرض كأن أعينهم من بغضهم عور
نكتبتهم ماءهم لما رأيتهم صهب السبال بأيديهم بينا زير
فما تنادى بها المعروف اذ نفرت حتى تضمنها الأفدان والدور
قوم لئام وفي أعناقهم عنف وسعيهم دون سعي الناس مهجور
لأن يبدأ بعرض السبب . . ثم يهجو . . ثم يتم السبب .
ثم يعود للهجاء ، لأن في هذا ما يبرز الصورة التي يحاول رسمها للمهجو . .
وعلى كل الاحوال ، فربما جاءت القصيدة على هذا النحو بفعل الرواة
والحققين ، وان أوساً قد أوردتها على النحو الذي أوردناه . . أو لربما
ملاً السبب الذي من أجله هجأهم ، نفسه وتخيلته فراح يذكره مصوراً
في أكثر من بيت في القصيدة . .

٤ الصدق في الاداء ، اذ تبدو القصيدة ملتصقة بالشاعر حتى
انه لا ينسى ما لاقته نفسه منهم ، فاستعمل لذلك اسلوب الالتفات في
الحديث عنهم مرة كغائبين وأخرى كمخاطبين (يعلون . . تناهقون
اذا اخضرت نعالكم) . . .

٥ - التصوير المادي المتصل بالخيال ، والعمد الى تجسيد الافكار
ببعض التشبيهات والكنائيات (اذ يشزرون . . كأن أعينهم من بغضهم
عور . . خفت نعامتهم . .

وقال يخاطب بشر بن عمرو قاتل المنذر بن ماء السماء (وفي رواية أخرى قالها في عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرة بن الدول قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين اباغ . .) . أو بني حنيفة :

هجاؤه لقاتلي المنذر :

نبئت أن دماً حراماً نلته فهريق في ثوب عليك مجبر^(١)
 نبئت أن بني سحيم أدخلوا أبياتهم تامور نفس المنذر^(٢)
 فلبئس ما كسب بن عمرو رهطه شمر ، وكان يسمع وبمنظر
 فرعم ابن سلمي مرارة انه مولى السواقط دون آل المنذر^(٣)
 منع اليامة حزنها وسهولها من كل ذي تاج كريم المفخر
 ان كان ظني في ابن هند صادقاً لم يحقنوها في السقاء الأوفر
 حتى ياف نخيلهم وزروعهم لهب كناصر الحصان الاشقر
 ان الذي يبدو من هذه الابيات ان أوساً أراد بها تحريض عمرو
 بن هند على بني حنيفة ، أو بني سحيم . . الخ قتله أبيه واصفاً فعلتهم ،
 هذا كراً ما كان للمقتول من قيمة في قومه منذراً القتل بسوء المصير وانهم
 ان يكفوا عن أفعالهم الدينية حتى تحرق بيوتهم ويلفها لهب متوهج
 كناصر الحصان الاشقر . .

والقطعة في واقعها لاتعتبر هجاء مراً ، نظراً لعدم التركيز

١ - المجبر : الجديد المزخرف من الثياب . ٢ - التامور : الدم .

٣ - السواقط : من ورد اليامة من غير أهلها .

على الصفات الهجائية باستثناء إirاده بيتاً يذم به القاتل . .
 فلبئس ما كسب ابن عمرو رهنه شمر وكان يسمع وينظر
 أي أنها تعتبر من قصائد المناسبات ، وهي أميل الى اللوم منها
 للهجاء ، عدا عن بعض اللفات التي أبرز فيها قيمة المقتول وسوء
 صنيع القاتل وما ينتظره وقومه من سوء المصير . . .
 وبوجه عام فالأبيات كلها ، واضحة الأفكار ، جيدة السبك
 والعرض ، لا يجد فيها القارئ أي لبس أو غموض حتى أننا نعتقد
 بعدم الحاجة لتسليط الاضواء عليها ، نظراً لسهولة ووضوحها . . .

هجاؤه لبني حنيفة :

ذكرنا أن أوس بن حجر حرّض عمرو بن المنذر بن ماء السماء على
 بني حنيفة قتلة أبيه ، فما كان من هؤلاء إلا أن تآمروا عليه وأخذوا
 معزاه فاقتسموها مستغلين مجاورته إياهم مع بني سحيم . . فقال يهجوهم :
 فان يأتكم مني هجاء فإنما حباكم به مني جميل بن أرقم^(١)
 تجلّل غدرأ حرملاء وأقلعت سحائبه لما رأي أهل ملهم^(٢)
 فهل لكم فيها اليّ فاني طيب بما أعيا النطاسي حذيما
 فأخرجكم من ثوب شطاء عارك مشيرة بلدت أسافله دماً^(٣)

١ - حباكم به : جلبه عليكم . ٢ - حرملاء : موقع تلقاء ملهم ، وملهم بأرض
 باليامة . ٣ - شطاء : المرأة التي برأسها بيض الشعر يخالطه سواد .

ولو كان جار منكم في عشيرتي إذا لراؤا للجار حقاً ومحرمًا
ولو كان حولي من تميم عصابة لما كان مالي فيكم متقسماً
ألا تتفقون الله اذ تعلقونها رضيع النوى والعض حوالاً بجرماً^(١)
وأعجبكم فيها اغر مشهر تلاد اذا نام الربيض تغمغماً^(٢)
تختلف هذه القصيدة عن سواها أن السبب الذي من أجله
قيمت ، موضح فيها . . . الا ان مايلفت النظر اليها . اتباع أوس
أسلوب المحاورة والمداورة ، واللفظ ، مع التلميح بالهجاء . . .
ومختصر قصته أنه جاور بني حنيفة وبني سحيم ، فأخذوا معزاه
فطلبها منهم لحاجته اليها واعدأ اياهم بعدم الهجاء ، الا أنه في معرض
ذلك يقارن بين تصرفه هو لو جاور عشيرته احدهم ، وفعلتهم هم عند
مجاورته اياهم ، وكيف انه يحترم المجاور وأمواله ، بينما هم استفردوه
وأخذوا ماله واقتسموه . . .

الأفكار واضحة .. والعرض جيد .. واسلوب المحاورة الذي اتبعه
أوس حسن ومقنع وليس فيه أي اسفاف أو هلهلة .. بل ان سلوك هذا
الاسلوب العقلاني قد أكسب موضوع قصيدته - على سخافته - جدية
خصوصاً عندما اتبع اسلوب المقارنة العقلية المستمدة من بيئته التي

١ - الرضيع : المدقوق ، العض : التقت ، وقيل من نوع العلف ، مجرم :
كامل . ٢ - الأغر الأبيض ، والتلاد : القديم من المال ، الربيض : الغنم ،
مغمغم : لا ينام .

توجب احترام الجوار وعدم استفزاز الشخص بعيداً عن قومه (لو كان جار منكم في عشريني . . . ، لو كان حولي من تميم عضابة . . .
 كما وأن السهولة التي جاءت عليها الالفاظ والتراكيب ، واللهجة الرصينة الصادقة الأداء ، التي خاطب بها مهجوييه ، كلها أعطت لموضوعه ابعاده الضرورية . . وعلى العموم فهو نموذج جيد من شعر أوس الهجائي ، الذي اقتنعنا بالسمات هجائية بأحقيقته في قضيته . . .

هجاؤه للحكم بن مروان :

وقال يهجو الحكم بن مروان بن زنباع العبسي ، وكان قد مدحه فلم يثبه :

إذا ناقة شدت برحل وغرق إلى حكم بعدي فضل ضلالها^(١)
 كأن به اذ جثته خيبرية يعود عليه وردها وملاها^(٢)
 كأنني حلوت الشعر حين مدحته صفا صخرة صماء يلبس بلالها^(٣)
 ألا تقبل المعروف منا تعاورت منولة أسيافا عليك ظلالها
 همت بخير ، ثم قصرت دونه كما ناءت الرجزاء شد عقالها^(٤)

١ - النمرق : كساء يوضع على الناقة . ٢ - خيبرية : حمى منسوبة لخيبر ، ملال : حرارة الحمى . ٣ - حلوت : وهبت ، البلال : ما يبل به الحلق من الماء واللبن . ٤ - الرجزاء : الضعيفه العجز ، التي اذا نهضت لم تستقم .

منعت قليلاً نفعه وحرمتني قليلاً ، ففهمها ببيعة لا تقالها
 تلقيتني يوم النجير بمنطق تروّح أرطى سعد منه وضالها^(١)
 ان هذه القصيدة لا تختلف في وضوحها عن النماذج الهجائية التي
 استعرضناها ، إلا أنه هنا يبدو انساناً يستعمل هجاءه ليعكس
 به ويربح من ورائه ، فعاطفته إذن متأثرة بالزيف ، وان كان
 الاطار الذي جاءت به يخدعنا فنعتقد انها صادقة ، مع أنه ما قالها
 الا بعد ان خاب أمله في ممدوحه . . . ومع كل ذلك فالقصيدة جيدة
 العرض والسبك ، خاصة وقد ظهرت مادية أوس في ايراد الصور وتقديم
 الموضوع ضمن اطار من المشاهد الملونة الجميلة أمثال : كأن به اذ جئته
 خيبرية . . . كأنني حلوت . . . صفا صخرة . . . هممت بنجير ثم
 قصرت . . . كما ناءت الرجزاء . .

هجاؤه لبني عامر :

وقال يخاطب بني عامر عندما قتلوا بني تميم يوم جبله :
 زعمتم أن غولاً والرجام لكم ومنعجا ، فاذكروا والأمر مشترك^(٢)
 وقلتم ذاك شلو سوف نأكله فكيف أكلكم الشلو الذي تركوا^(٣)

١ - النجير وسعد : موضعان ، الارطى : شجر ينبت في الرمل وله رائحة طيبة
 الضال : شجرة من الدق ترتفع قدر الذراع باليمن . ٢ - غول : ماء للضباب ،
 الرجام : جبل منعج : موضع يلي الرجام . ٣ - الشلو : البقية .

هل سرّكم في جمادى ان نصالحكم اذ الشقاشق معدول بها الخنك
أوسرّكم اذ لحقنا غير فخركم بأنكم بين ظهري دجلة السمك
نفسي الفداء لمن أداكم رقصاً تدمى حرافكم في مشيكم صكك^(١)

لاريب اننا لاحظنا حتى الآن، ذلك الوضوح في ايراد الافكار
بشتى النماذج المجائية ، فهو في كل مرة تقريباً يعمد الى الشرح
فيقرّب الموضوع من الواقع ، وبذلك يضعه وجهاً لوجه أمام
القارى .

أما في هذا النموذج فانه يعمد الى أسلوب الرد التلقائي ، راسماً من
خلال ذلك صورة متكاملة للموضوع ، مستعملاً لذلك المؤثرات اللغوية
ذات المدلول التأثيري « زعمتم ، قلت ، سرّكم ، أداكم » النابعة من
الواقع ، فاذا به يبلغ أقصى درجات التأثير . . .

وصفوة القول أن استمداد أوس صورته من الواقع قد أكسب
أبياته صدقاً وجودة ، ساعده فيها ، المادية الحسية التي بدت متصلة ،
دون اسراف ولا تقثير مع الخيال . . . ناهيك عن وسائل الاقناع
التي اتبعها ، من سرد للموضوع أو التصريح بأهم نقاطه .

١ - الحرفقتان من الانسان وغيره ، رأسا الوركين اللذان ينصلان بالصلب
وهما الغرابان، الصكك : اصطكاك الركبتين .

وقلتم ذاك شلو سوف نأكله فكيف أكلكم الشلو الذي تركوا؟
 ونفسي الفداء لمن أداكم رقصاً تدمى حراقفكم في مشيكم صكك
 بل إنه لم ينس إثناء سرده إيراد الصور الجديدة حيناً والساحرة
 الضاحكة أحياناً (تدمى حراقفكم في مشيكم صكك) .

هجاؤه لبني مالك :

ولا يبرأ أوس في هجائه من الفحش فإذا به يورده بشكل خاص
 في هجائه لبني مالك بن ضبيعة بقوله :

طلس العشاء اذا ما جن ليلهم بالمنديات الى جاراتهم دلف (١)
 والفارسية فيهم غير منكورة فكلهم لأبيه ضيزن سلف
 انه من غير المرغوب فيه إيرادنا لايبات الفحش في هذا الكتاب
 لذلك نكتفي بالإشارة فقط ، سيما وان الابيات المتقدمة توضحه .
 ان أوساً يرمي مهجويه باتيان الفواحش والخزيات للدرجة ان
 الواحد منهم تبلغ به الحطة والدناءة حد مزاحمة ابيه في امرأته
 « ضيزن » بل ولا يستحي ايضاً من اتيان خالته « سلف » .
 وواضح انه لم يركز في قصائده الاخرى على هذه الناحية باستثناء
 تلميحه في احدى اهاجيه لبني لبينى عندما وصمهم ورمى امهم بفقدان
 الحياء .

١ - طلس : ج أطلس : وهو الذي يرمى بقبيح ، المنديات : الخزيات
 دلف : مسرعون .

أبني لبنى إن أمكم دحقت فخرق ثفرها الزند
لا نرى بعد هذا التوضيح وتسلط الاضواء اي موجب للاستطراء
فالمعاني واضحة وكذلك الالفاظ ، والخصائص العامة لهذا النموذج
تكاد تكون مشابهة لسواه من النماذج الاخرى التي استعرضناها .

هجاؤه لأم الردين :

وما دمنا قد وصلنا في استعراضنا للنواحي الخلقية التي تعرض لها
أوس في هجائه ، فلا بد لنا من التعرض للنموذج التالي الذي قاله في
أم الردين :

فما ام الردين وان ادلت بعالمه باخلاق الكرام (١)
إذا الشيطان قفع في قفاها تنفقناه بالجل التوام (٢)

والذي ركز فيه على الاخلاق ، غير مغفل ايراد التصوير المضحك
(اذا الشيطان قفع في قفاها) الذي أدى المعنى المطلوب منه أداءً
كاملاً ، فجعل النموذج واضحاً لا حاجة لقول المزيد فيه .

وقبل الانتقال الى ذكر الخصائص العامة لهجائه ، لا بد من
استعراض هذا النموذج الذي قاله عندما استنجد به شعث بن سهم
بن محجن لاغارة قوم على إبله :

سائل بها مولاك قيس بن عاصم فمولاك مولى السوء ان لم يغير (٣)

٢ - أدلت : وثقت بمحبته فأفرطت في دلهما . ٣ - تنقف : استخرج ، التوام :
المزدوج . ٤ - . التغيير : الاصل اعطاء الدين .

لعمرك ما أدري أمن حزن محجن شعيث بن سهم أم لحزن بن منقر
فما أنت بالمولى المضيّع حقه وما أنت بالجار الضعيف المستر

ملاحظة

والآن يكفينا ما أوردناه من امثلة ونماذج عن هجائه ، الا أننا
نودّ لفت النظر الى ان الشاعر قد قال أشعاراً أخرى تتصل بعصيته
القبليه مما لا يتضح فيها الميحاء ، وانما تبدو عليها مسحة العتاب واللوم ،
فأثرنا لذلك عدم التعرض لها خشية الاطالة .

الخصائص العامة لهجائه

يمكننا الآن بعد ان استعرضنا النماذج المختلفة لهجائه ، اراد الخصائص العامة التي نجملها فيما يلي :

- ١ - وضوح الافكار الهجائية وصراحة أدائها .
- ٢ - الصاق الصفات السيئة بالمهجوين والتركيز على مثالبهم وما يؤخذ عليهم من لؤم ودناءة أصل وبخل . .
- ٣ - الاقلال من الفحش مع عدم اخلو منه تماماً (هجاؤه لبني لبيني وبني مالك) .
- ٤ - اعمال الوسائل العقلية في سبيل الاقتناع والبرهنة على صحة ما يلحقه بمهجويه من المخازي والمعائب .
- ٥ - استعمال اسلوب المقارنة والتفضيل ، مع الامعان في سلب المهجو من الصفات الكريمة التي يحبها العرب كقوله .
عددت رجالا من قعين تفجّساً فما ابن لبيني والتفجّس والفخر

٦ - اسلوب التهكم والسخرية والعمد الى تصوير مهجويه بابشع

الصور مع انتهاج (الكاريكاتورية) في ذلك كقوله :

- واذا تسوئل عن محادثكم لم توجدوا رأساً ولا ذنباً
- أبني لبني لا أحقكم وجد الاله بكم كما اجد
- فلو كنتم من الليالي لكنتم كليله سر لا هلال ولا بدر
- اذ يشرون الى الطرف عن بغض كأن أعينهم من بغضهم عور
- نفسي الفداء لمن اداكم رقصاً تدمى حراقفكم في مشيكم صكك
- اذا الشيطان قفّع في قفاها تنفقاه بالجبل التوام

٧ - اشتراك الخيال في تجسيد الافكار عن طريق بعض التشابه

والاستعارات والكنايات وبشكل يلحظ فيه الاستمداد من البيئة البدوية .

٨ - استعمال بعض الوسائل البلاغية الاخرى غير التشابه

والاستعارات والكنايات في سبيل تقريب المعنى ثم تأكيده :

- آ - كتكرار العبارات مثال : « ابني لبني ... » التي تكررت في قصيدة واحدة خمس مرات ، الا انها لم تعب الاداء كما كان الحال لدى الشاعر المهلهل ، وانما قوته ، وزودته بالتأثير السكافي .

ب - وكاستعمال اللهجة الخطايبية حيناً ، ثم الكلام عن الغائب

، احياناً : مخلفون ويقضي الله أمرهم . . ، تناهقون اذا اخضرت نعالكم . . .

ج - وكاستعمال بعض الأدوات المؤكدة أو النافية (لستم ، لا لست) .

٩ - استعمال الالفاظ السهلة والتراكيب والجمال البسيطة التي لا تحتاج الى كد ذهني في سبيل فهمها واستيعاب المعنى الذي وضعت للتعبير عنه ، مع عدم الخلو تماماً من الاغراب اللفظي الذي جاء قليلا في الهجاء ، على عكس ما كان عليه في الموصف .

١٠ - ظهور المادية الشديدة في اشكال وتصاوير اكثر أبيات نماذجه الهجائية .

١١ - شيوع الصدق في أداء ، جميع أبيات النماذج ، باستثناء النموذج الذي هجا به الحكم بن مروان بن زنباع العبسي ، لكون الدافع له التكسب المدحي .

الرثاء

تكثر في ديوان أوس قصائد الرثاء التي انصب أكثرها على فضالة بن كلده الذي سبق وذكرنا فضله على أوس عندما وقع عن ناقته في ارض بني أسد، فاندقت فخذه وبات ليله حتى جاء فضالة بأهله ، فضرب خيامه واقام عليه حتى شفي ...
ويشارك فضالة في قصائد أوس الرثائية عمرو بن مسعود بن عدي الأسدي الذي قال فيه أوس قصيدة رثائية لابأس باستعراضها بعد النماذج الرثائية لفضالة بن كلده .

بواعثه

ما من شك ان انسانا لا يرثي آخر ما لم يكن يحبه ، ويمكن له من الاعجاب والوجد الشيء الكثير ، لذلك لا غرابة اذا رأينا أوساً يرثي بعدد وافر من قصائده فضالة بن كلده الذي اعتنى به مع أهله عندما كان في اسوأ الحالات ...

كما وأن عمرو بن مسعود فيما يحدثنا الرواة عنه انه أحد الاثنين
 اللذين قتلها النعمان بن المنذر وبنى عليهما الغربيين بظهر الكوفة . .
 وقيل بل هما اللذان قتلها المنذر ومن اجلها اتخذ يوم البؤس ويوم
 النعيم . . في حين تأتي رواية ثالثة لتقول انها هما اللذان قتلها كسرى . .
 والذي يهمنا من ذلك كله ، أن أوسا رثى عمرو بن مسعود ،
 الا اننا نفتقد في هذا السبيل الصلة التي كانت بين الشاعر والمرثي . .
 ولكن حسبنا من ذلك كله هذه المرثية الناجحة . .
 وعلى ذلك فالباعث الرئيسي لرثاء أوس فضالة وعمرو اعجابه
 بهما وتأثره الشديد لفقد هما

المقومات الرئيسية للرثاء

لابد لنا ونحن بصدد استعراض رثاء أوس من التعرض لذكر
 المقومات الرئيسية التي يجب توفرها في المرثية لتكون ناجحة معبرة
 عن هذا الغرض الشعري الوجداني الذي يتصل مباشرة بعواطف
 الشاعر وانفعالاته ازاء مصابه بفقد شخص عزيز عليه . .

وقبل أن نستعرض المقومات ، يجدر بنا التنويه بأن الرثاء يشبه
 إلى حد بعيد المديح مع بعض الفوارق التي سنشير إليها في اما كتبها :

أما المقومات الرئيسية للرثاء فيمكن تلخيصها بما يلي :

١ - ذكر الصفات الحسنة التي كان يتحلى بها الفقيده ، كالعقل والعفة

والشجاعة والجود مع ضرورة التركيز عليها بواقعية وصدق .

٢ - الابتعاد التام عن التهويل : وتكلف الحزن الذي من شأنه اظهار المرثي بشكل مضحك ويبعث على السخرية لاعلى التأثير والحزن .

٣ - الالتزام التام بالأداء الصادق : الذي يوحى بالاسى ويدل على مبلغ التأثير لفقد شخص عزيز .

٤ - التركيز على ما خلفه موت الفقيد من آثار على الآخرين . وعلى المجتمع بشكل عام ...

٥ - استعمال الالفاظ والجمل والتراكيب الملائمة للحزن مع الابتعاد عن الالفاظ التي من شأنها الإحياء بغير الحزن .

٦ - الابتعاد عن الصخب والضجيج عند الاداء ، والعمل على اشاعة الهدوء والسكينة في اجواء الابيات .

٧ - الابتعاد عن سلم القصيدة التقليدي ، فلا يجوز للشاعر الوقوف على الاطلال والتغزل ووصف مشاهد الارتحال ثم الرثاء ، لأن اهتزاز اوتار القلب لفقدان شخص عزيز ، يجب ان يتبعه دفق عاطفي مؤثر لا أشياء اخرى كالغزل ووصف الاطلال ومشاهد الارتحال التي تجعل الرثاء متكلفا خاليا من العاطفة الصادقة .

٨ - الاستعانة بالتصاویر المادية والمعنوية التي يشارك في تجسيد احياءاتها ، الخيال غير المسوف في البعد عن الواقعي ، باعتبار ان الرثاء ما هو الا تجسيد لفيضان العاطفة ، فالجفاف المادي يكسب موضوعه

خشونة لا تتجاكى معها النفوس ولا تنفعل بها الاحساسات ...

٩ - الابتعاد عن كل مامن شأنه تصوير بعض الاشياء وقد بكت على الفقيده ، فلا يقال بكت الحيل على فارسها ، لان في ذلك سببة وعارا على الميت ، بل ان الذي يبكي عليه عادة من كان يحسن اليه أو يوده في حياته .

وكما سبق ونوهنا في مناسبة اخرى ، فانه من غير الضروري اجتماع كل هذه الدعائم في المراثية الواحدة ، فاكل شاعر دموعه وعبراته التي يذرفها على من يعز عليه فقدهم ، خاصة وان هذه الامور تتصل - كالهجاء - بنفسية الشاعر ، وشدة تأثرها بالمصاب الائم . .
رثاؤه لفضالة بن كلدة :

لقد رثى شاعرنا فضالة بن كلدة ، باكثر من اربع قصائد سنستعرض بعضها لندل على ما فيها من مميزات وخصائص :

ايتها النفس اجملی جزعا	ان الذي تحذرين قد وقعا
ان الذي جمع السباحة والذ	جدة والحزم والقوى جمعا
الاعمى الذي يظن لك الظ	نّ كأن قد راى وقد سمعا ^(١)
والمخلف المتلف المرزأ لم	يمتّع بضعف ولم يمت طبعاً ^(٢)
والحافظ الناس في تحوُّط اذا	لم يرسلوا تحت عائذ ربعا ^(٣)
وازدحت حلقتا البطان باقـ	وام وطارت نفوسهم جزعا ^(٤)

١ - الاعمى : الحديد اللسان . ٢ المزأ : الذي تناله الرزئيات في ماله لما يعطي ويسأل ، الامتاع : الاقامه . ٣ - تحوط وقحوط : ايمان للسنة المجذبة .
٤ - ازدحت حلقتا البطان : مثل يقال اذا بلغ الامر في المكروه حده .

وكانت الكعاب الممنعة الـ حسناء في زاد أهلها سبعا
 اودى وهل تنفع الاشاحة من شيء لمن قد يحاول البدعا
 ليبيك الشرب والمدامة والـ فتيان طراً وطامع طمعا
 وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا^(١)
 والحي اذ حاذروا الصباح وقد خافوا مغيرا وسائرا تلعا^(٢)

بعد ان اوردنا هذه الأبيات لا بد لنا من استعراض الملاحظات
 التالية :

١ - لقد وفق الشاعر أيما توفيق في هذا المطلع الذي يجلب العبرات
 الى أفسى قساة القلوب ، باعتباره يعبر عن حقيقة الانسان وكيف ان
 مآله الاول والاخير ، الموت .. كما وان الافكار التي أتى على ذكرها
 واضحة وتعبر بشكل صريح عن الصفات الحسنة التي كان يتمتع بها
 الفقيد : حزم ، سماحة ، نجدة ، كرم ، مروءة . . . الخ

٢ - كما وفق أيضا في تصوير افكاره وتجسيدها وعرضها متسلسلة
 مرتبة لا إسفاف فيها ولا غموض .. فللفقيد صفات حسنة (عددها)
 وقد ولت مع صاحبها ، فليبك هؤلاء الذين كان الفقيد يودهم ويحسن
 اليهم لانه لن يعود .

٣ - لقد غلبت المادية أوسا ، حتى في معرض رثائه ، ولكن ما

١ - النواشر : ج ناضرة عصب الذراع ، التولب : ولد الحمار ، الجدع : الشيء
 النغذية . ٢ - التلع : الذي يطلع عليهم مغيرا .

تجدر الإشارة اليه هنا ان هذه المادية جاءت ملائمة لواقع الحال باعتبارها مجسدة على هيئة صور حية من واقع البيئة التي كان الشاعر يعيش فيها : الحافظ الناس في تحوط ... ازدحمت حلقتا البطان .. الكعاب الممنعة الحسناء .. ذات هدم عار نواشرها .. الخ

٤ - لقد ظهر الصدق في الاداء والهدوء في اجواء القصيدة منذ المطلع والى النهاية ، حتى يشعر القارئ بفيض من العبرات تترقرق بها عيناه حزنا على هذا الفقيد الكريم المحسن المنجد الناس في كل المناسبات .. ٥ - لقد تميز النموذج بكثرة الصور الحية التي شارك خيال اوس في صنعها .. والتي قربها من الواقع تجسيدها بواسطة سيل من التشابه والصور المادية ..

٦ - كما ان ما زادها قربا من النفوس سهولة الفاظها ووضوحها وجدتها وتلاؤمها مع الموضوع الرثائي الذي نظمت فيه .. ٧ - اما السمة الرئيسية فهي الصدق العاطفي الذي برز في كل جزئيات القصيدة فاكسبها حلة جميلة ورسخ الفكرة القائلة بان اوسا قد وفى فقيده حقه من الرثاء بل لا نغالي اذا قلنا بانه ذرف عليه دمعات حررى سنعود لملاحظتها في النماذج الاخرى ..

وقد نجد مثل هذه الملاحظات في نماذجه الأخرى التي قالها في رثاء فضالة مع بعض الفروق :

ألم تكسف الشمس والبدر وال
 لفقد فضالة لا تستوي ال
 ألها على حسن أخلاقه
 ورقبته حتمات الملو
 ويجبو الخليل بخير الجبا
 ويكفي المقالة أهل الرجا
 فمن يك ذانائل يسع من
 هو الواهب العلق عين النفيد
 نجيح ، مليح ، أخو مآقط
 فأبرحت في كل خير فما
 كواكب للجبل الواجب^(١)
 فقود ولا خلّة الذهاب^(٢)
 على الجابر العظم والحارب^(٣)
 ك بين السراذق والحاجب^(٤)
 ، غير مكب ، ولا قاطب
 ل ، غير معيب ، ولا عائب
 فضالة في أثر لاحب^(٥)
 س والمتعلي على الواهب^(٦)
 نقاب يحدث بالغائب^(٧)
 يعاشر سعيك من طالب^(٨)

يتضح لنا من استعراض هذه الأبيات ما سبق ورأيناه في
 النموذج السابق باستثناء الفارقين التاليين :

-
- ١ - الواجب : السافط : الذهاب : الغائب . ٢ - الفقود : المصائب . الخلّة :
 - أصلها الثلثة . ٣ - الحارب : المحارب أو الذي يسلب الناس أموالهم في الغزو
 - وكان العرب يتمدحون بذلك . ٤ - رقبته : انتظاره اذن الملوك . ٥ - الاحب :
 - الواسع الذي لا ينقطع . ٦ - العلق : النفيس الكريم من كل شيء . ٧ - رجل .
 - نجيح : منجح الحاجات ، المآقط : موضع يجتلد القوم ، نقاب : منقب في الأمور .
 - ٨ - أبرح : زاد وتفوق .

١ - المطلع : الذي غلب عليه طابع التحويل المستكره في غرض يرتبط بالانفعالات والتأثرات كالرثاء . . .

٢ - الایجاز الذي بدا عند ايراد المعاني العامة للنموذج الرثائي .

أما ما تبقى من القصيدة فيسوده الصدق العاطفي ، والسهولة اللفظية ، والمادية الشديدة ، بحيث جاءت كافة جزئيات النموذج جيدة ، ولكن ليست بنفس المستوى الذي وردت عليه قصيدته السابقة . . .

غير أن أوساً ، وإن كان قد أنى في مراثيته السابقتين بأكثر الخلال الحميدة ، إلا أنه لم يجمعها إلا في النموذج التالي :

عيني لا بد من سكب ونهال على فضالة جلّ الرزء والعالی^(١)
جمّاً عليه بماء الشأن واحتفلا ليس الفقود ولا الهلكى بأمثال^(٢)
أما حصان فلم تحجب بكلماتها قد طفت في كل هذا الناس أحوالي^(٣)
على امرئ سوقة بمن سمعت به أندى وأكمل منه أي إكمال^(٤)
أوهب منه الذي أثر وسابغة وقينة عند شرب ذات اشكال^(٥)

١ - العالی : الأمر العظيم ، جل الرزء : عظيمه . ٢ - جم : أكثر ، الشأن : عرق الدمع من الرأس الى العين . ٣ - الككة : الحجاب أو ما تتر به المرأة خيمتها أو على هودجها . ٤ - السوقة : كل من كان دون الملوك عند العرب . ٥ - الأثر : فرند السيف وروثه ، السابغة : الدبع .

أبا دليجة من يوصي بأرملة ؟ أم من لأشعث ذي طمرين طملا (١)
 أم من يكون خطيب القوم اذ حفلوا لدى ملوك أولي كيد وأقوال
 أم من لقوم أضاعوا بعض أمرهم بين القسوط وبين الدين دلالة (٢)
 فرجت غمهم وكننت غيظهم حتى استقرت نواهم بعد تزوال
 أبا دليجة من يكفي العشيرة اذ أمسوا من الأمر في لبس ولبال (٣)
 أم من لأهل لواء في مسكعة في أمرهم خالطوا حقاً بابطال (٤)
 أم من لعادية تردى ملهمة كأنها عارض من هضب أوعال (٥)
 يوماً بأجود منه حين تسأله ولا مغب بترج بين أشبال (٦)
 ليث عليه من البردي هبرية كالمرزباني عيال بأصال (٧)
 يوماً بأجراً منه حد بادرة على كمي بهو الحد قصال (٨)
 لازال مسك وريحان له أرج على صدك بصف اللون سلسال (٩)
 ورثني ود أقوام وخلصتهم وذكره منك تغشاني بإجلال (١٠)

١ - الأشعث : المتغير اللون والهيئة من الجوع والهزال ، الطملا : الفقير ،
 الثوب الباني

٢ - القسوط : العصيان ، دلالة : متذبذبون . ٣ - اللبس : الاختلاط ،
 البلبال : الفوضى . ٤ - المسكعة : المضلة من المصائب التي لا يهتدى فيها لوجه
 الأمر ، الموي : ما جف وذبل من الزرع ، ٥ - العادية : الكنية ، ملهمة :
 مجموعة ، ذات أوعال : هضبه في ديار بني تميم . ٦ - المغب : الأسد الذي يفترس
 يوماً ويترك يوماً ، ترج : مأسدة من بلاد خثعم . ٧ - الهبرية : ما تساقط عليه
 من أطراف الهبري ، المرزباني : رئيس من العجم ، عيال : متبحر ، الآصال :
 ج اصيل : ما بين العنبر والغرب . ٨ - البادرة : شاة السيف ، المهو : السيف
 الرقيق . ٩ - الأرج : الرائحة الذكية . ١٠ - الخلعة : (بضم الخاء) : الصداقة .

فلن يزال ثنائي غير ما كذب قول امرئ غير ناسيه ولا سالي
لعمري ما قدر أجدى بمصرعه لقد أخلّ بعرضي أيّ إخلال
قد كانت النفس لو ساموا الفداء به اليك مسمحة بالأهل والمال^(١)
لقد جمع في هذه القصيدة كل الفضائل ، فجعل فضالة أكثر الناس
كلا وعفة وعقلا ورأيا وبذلا وسماحة وجودا وشجاعة .. بل أن
التوفيق حالقه اذ استطاع اظهار هذه الامور متجانسة متلائمة لا يدخل
المرء اي شك في فضائل المرثي ، خصوصا وقد ختمها بأبيات تدل على
مبلغ حزن الشاعر لفقد هذا الانسان العظيم ..

وتتميز : هذه القصيدة عن النماذج الأخرى الرثائية بالنقاط التالية :

- ١ - استطاعة أوس جمع كل الفضائل واكساء شخصية فضالة بها .
- ٢ - العمق النفسي الذي حوته الغالبية العظمى من الابيات
والاندفاع العاطفي الذي تجلت به .
- ٣ - ظهور الشاعر بمظهر الشخص المرزأ الفاقد لأعز الناس الذي يستحق
ان تفدى به الانفس مهما غلت .
- ٤ - استعمال الألفاظ والجمل والتراكيب الملائمة للرثاء عامة ،
وللأفكار التي وردت في القصيدة بشكل خاص : سكب وتهال ،
جل الرزء ، أم حصان ، فرجت غمهم . . . الخ . .

١ - مسمحة : جائدة مضحية .

٥ - الإكثار من الصور الملونة . في سبيل إبراز أثر المصيبة على قومه ومجتمعه والناس أجمعين : أم حصان ، أرملة ، من يكون خطيب القوم ، من لقوم أضاعوا بعض أمرهم . . فرجت غمهم ؛ وكنت غيظهم . . من يكفي العشيرة ؟ من لأهل لويّ في مسكّعة . . ؟ ليث عليه من البرديّ هبرية . . . الخ . .

٦ - الإكثار من أدوات النداء والاستفهام : عينيّ . . أبا دليجة . . من يوصي بأرملة . . أم من يكون خطيب القوم . . ؟ ؟ من لقوم . . ؟ . . من يكفي العشيرة . . من لأهل لواء . . ؟ . . الخ .

٧ - شيوع الهدوء الانسيابي المترافق مع صدق الأداء في كل أبيات القصيدة بحيث تمتّعت بفضل ذلك بأجواء جعلتها من قصائده الرثائية الناجحة .

٨ - وعلى الرغم من عدم خلوّها من بعض الألفاظ الغريبة ، إلا أنها كانت ناجحة ومعبرة عن حزن الشاعر وتأثره لموت فضالة ، الى جانب ما خلّقه في المجتمع من أسى وألم وحرمان . . .

٩ - وبالإضافة لما ذكرنا فقد حفلت القصيدة بسيل من التشابه الجميلة التي سيطرت عليها المادة المقتبسة من البيئة البدوية . . .

رثاؤه لعمر بن مسعود :

في الحقيقة ان رثاء أوس لعمر بن مسعود يشبه الى حد بعيد
مارثي به فضالة بن كعدة ، فهو يسبغ عليه سائر الصفات والمناقب
الحسنة :

يا عين جوذي على عمرو بن مسعود أهل العفاف وأهل الحزم والجود
أودى ربيع الصعاليك الألى انتجعوا وكل ما فوقها من صالح مودي^(١)
المطعم الحي والأموات ان نزلوا شحم السنام من القوم المقاحيد^(٢)
والواهب المائة المعكأ يشفعها يوم النضال بأخرى غير مجهود^(٣)
ان من القوم موجوداً خليفته وما خليف أبي وهب بموجود
وقبل الانتقال لا يراد الخصائص العامة لرثاء أوس ، لا بد من
القول بأن قصيدته هذه في رثاء عمرو بن مسعود لم تكن بمستوى
الجودة الذي لاحظناه في النماذج الرثائية التي قالها بفضالة ، ولعل
السبب ، شدة تأثر أوس وحزنه على فضالة بن كعدة الذي وقف الى
جانبه عندما كان بأمس الحاجة لمن يساءلده ويعتني به بعد أن
اندقت فخذه .

١ - اودى : هلك واسم الفاعل مود ، الصلوك: الفقير . ٢ - الكوم : ج كومهاء
الناقة السمينة ، المقاحيد : ج مقحاد : الناقة العظيمة السنام . ٣ - المعكأ (بكسر
الميم) : الابل الغلاظ الشداد ، النضال : المحاربة بالسهام .

الخصائص العامة لثنائ

لاريب ان قصائد أوس في الرثاء ، جيدة على وجه العموم (وان تفاوتت في مقدار الجودة) ، وبما زاد في ذلك كونها معبرة بوضوح عن صدق عاطفة الشاعر ازاء من رثاهم ، واستطاعته التعبير عن مشاعره بسهولة ويسر وبشكل يحمل طابع شخصيته الشعرية ، لذلك لا نجد مناصاً من القول بأن نماذجه الرثائية ناجحة ، وتجمع الغالبية العظمى من المقومات الاساسية للرثاء الناجح ، وعلى وجه الخصوص :

١ - الصدق في التعبير عن الحزن والألم : لفقدان عزيز ونجاحه بإبراز ذلك شكلاً وموضوعاً .

٢ - البراعة في ايراد الخلال الحسنة : والمناقب العظيمة والباسها بتقن ملحوظ شخصية المراثي .

٣ - بذكر غالبيتها الكبرى في قصيدة واحدة كما رأينا يفعل في التي مطلعها .

عينيّ لا بدّ من سكب وتهال على فضالة جلّ الرزء والعالى
ب - بتكرار ذكر الصفة نصاً أو معنى ، تصريحاً أو تلميحاً في
في أكثر من قصيدة ، ولكن بالبأسا في كل مرة تقريباً حلّة جديدة
تتلاءم مع الجو العام للقصيدة كقوله :

- لا زال مسك وريحان له أرج على صدك بصافي اللون سلسال
- لا زال ريحان وفغو ناضر يجري عليك بمسبل هطّال
- أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ أمسوا من الأمر في لبس وبلبال
- وقوارص بين العشيرة تتقى داويتها وسملتها بسمال
- فرّجت غمّهم ، وكنت غيهم حتى استقرت نواهم بعد تزوال
- فلنعم رفد الحبي ينتظرونه ولنعم حشو الدرع والسربال

٣ - الجنوح لتجسيد الأفكار وخاصة المتضمنة ابراز أثر

موت المراثى عليه وعلى قومه وأبناء مجتمعه ، بإيرادها على شكل
صور ملونة ، مؤثرة ، واقعية : من يوصي بأرملة . . . أم من
لأشعث ذي طمرين طملال . . أم يكون خطيب القوم اذا
حفلوا . . أم من لقوم أضاعوا بعض أمرهم . . من يكفي
العشيرة . . من لأهل لواء . . الخ . . ؟ ؟

٤ - الجنوح للعاطفة أكثر من الاعتماد على العقل في عرض
الأفكار بدلالة ندرة الحكم ، أو عدم وجودها تقريباً في نهاية المراثى ،
إضافة لتعمد الاتيان بجميع الصور التي تستدر العطف والشفقة

كقوله: الكاعب .. ذلك هدم عار نواشرها .. من يوصي بأرملة .. ؟ ؟
ولدرجة أن المرأ يشعر بأن هؤلاء الناس سيموتون بعد أن مات ذلك
الشخص الكريم ..

ه - النجاح في إيراد الألفاظ والجمل والتراكيب متوافقة
ومواضيع التألم والحزن والتفجع مع العناية الظاهرة بتأديتها :
آ - باستعمال أدوات النداء والاستفهام في الأماكن الملائمة لها -
(يا عين جوذي .. عيني لا بد .. أبا دليجة .. من يكفي العشيرة ..
أم من لأهل ؟ ؟) وبشكل ساهمت فيه بابرار إبعاد القصيدة ، وخاصة
من ناحية تقريب الموضوع الى القاري ولفت انتباهه الى المعاني التي
تتضمنها .

ب - العمد الى تقديم التعابير المجسدة للأفكار بشكل تلقائي
صريح يسمح للقارئ تفهم ما أراده الشاعر بسرعة وبدون أي جهد
عقلي يذكر .

ج - العناية بإيراد الألفاظ والتراكيب بما يتوافق مع الأوزان
والقوافي باعتبار أن معظمها تغلب عليه الرنسة الموسيقية ، بالإضافة
لإيقاعية القافية ..

٦ - الحرص على المادية في تجسيد الأفكار وطبعها بطابع
البيئة البدوية ، مع اشراك الخيال معها في سبيل تجسيد الصور
وجعلها معبرة عن مواضيع الحزن والالم دون ابتعاد عن الموضوع

أو خروج عن الاعتبارات الانفعالية التي يجب ان تتوفر فيه . .
٧ - التركيز على اظهار أثر موت المرثي على المجتمع بشكل عام
وعلى الشاعر بشكل خاص (وهو ما ظهر بوضوح في المقطع الاخير
من القصيدة الالامية :

لعمر ما قدر أجدى بمصرعه لقد أخلّ بعرشي أيّ اخلال
٨ - البعد عن السلبّ التقليدي في قصائد الرثاء مع النجاح
الساحق في مطالع القصائد بحيث جاءت مؤثرة ومعبرة بوضوح
وعاطفية عن أثر فقدان المرثي على الراثي باستثناء هذا المطلع :
ألم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب
الذي غلب عليه طابع التهويل الظاهر بكل وضوح في الكلمات
وطريقة الاداء . . .

٩ - الاعتماد بشي من الاعتدال على بعض الفنون البلاغية في
تقريب الصور الى القارىء وجعلها مؤثرة فيه ، وذلك بالاتيان ببعض
التشابه والكنائيات والاستعارات التي برزت فيها المادية والاقتباس
من المحيط البدوي .

الفخر

يتوافق الفخر في اغلب الأحيان مع بعض الأغراض الشعرية كالمجاء والمدح ، الا اننا نراه لدى أوس وقد ورد بمعزل عن هذين الغرضين تقريباً باستثناء بعض القصائد التي جاءت فيها أبيات الفخر بمعرض المقارنة أثناء المعاتبة القبلية .

والفخر لدى اوس ليس قليلاً ، بل انه أميل الى الغزارة ، مما يدلنا على أن هذا الشاعر كان معتداً بنفسه وقومه لدرجة الزهو والخيلاء .

بواعثه :

من استطلاعنا حياة اوس ونشأته ومكانته ، وبعد العودة الى ديوانه يمكننا اجمال البواعث التي ادت الى قصائده الفخرية بالنقاط التالية :

١ - العصبية القبلية : التي لعبت اكبر دور في تبلور شخصيته وشخصيات.

الشعراء الجاهليين (وحتى بعض الأمويين) وخاصة الذين برعوا
في الهجاء .

٢ - علو المكانة ، وذيوع الصيت بين قومه ، بالإضافة لعراقة
أصله الذي يعود الى تميم (أو بشكل أعم الى مضر التي لقب بفحلهما)
متى تبغ عزى في تميم ومنصبي تجدي خالا غير مخزٍ ولا عم
٣ - فحولته الشعرية : التي جعلته يزهو بها جهوراً :

وقد رام مجري بعد ذلك طامياً من الشعراء كل عود ومقحم
يمني ، ومالي دون عرضي مسلم وقولي كوقع المشرفي المصمم



المقومات الرئيسية للفخر

تمشيا مع المخطط الذي اتبعناه في الاغراض الشعرية الأخرى ، لابد لنا قبل استعراض قصائد أوس في الفخر من ايراد المقومات الاساسية العامة التي يجب أن يتجسد بها هذا الفن ليلبغ النجاح المطلوب ، مجسدة بالنقاط التالية :

١ - التركيز على عراقة الأصل ونقاء النسب وعلوه واتصاله بالملوك أو الأشراف أو السادة ..

٢ - ايراد المآثر العامة التي يتحلى بها المفتخر وأهله ، كالجود والكرم والشجاعة والاقدام والعقل والعفة والعدل .

٣ - ذكر علو المنزلة التي يحتلها المفتخر بين قومه ، وبقيّة الأقبام وفي المجتمع عامة ...

٤ - تقصّي تاريخ المفتخر وقومه ، وما قدموه من مآثر وحسنات وتضحيات لمجتمعهم ، مع ضرورة ذكرها صراحة أو الإشارة إليها على أقل تقدير .

٥ - اراد الألفاظ الضخمة ، والجمل والتراكيب الفخمة ، التي تتناسب مع الأفكار الفخرية .

٦ - اعتماد القوة في الأداء ، والصدق في الوصف مع مراعاة الواقعية حتى لا يوصم المفتخر بالادعاء ، وإضافة ما ليس له إليه . ولا نريد هنا تكرار ما سبق وأوردناه ، بأن لكل شاعر أسلوبه الخاص الذي يقدم به أفكاره ، لذلك سنستعرض بشيء من الإيجاز نماذج من فخره المتنوع الأهداف ، والذي انصب في قصيدته التي مطلعها :

تذكرت منا بعد معرفة لمي وبعد التصابي والشباب المكرم .

افتخاره بأبيه وصفاته :

ان أكثر ما يشغل بال الشاعر ويعتمل في نفسه حين الافتخار ، اظهار نفسه وأهله على أحسن الصور ، لذلك فان شاعرنا ما أن بدأ في قصيدته بالغزل وعتاب الحبيبه حتى وصل الى الفخر بنفسه وأبيه فقال :

لعمرى لقد بينت يوم سويقة لمن كان ذا لب بوجهة منم^(١)
فلا والهي ما غدرت بذمة وان أبي قبلي لغير مذمم
يجرد في السربال أبيض صارماً مبيناً لعين الناظر المتوسّم^(٢)

١ - المنسمان : ظفران في خف البعير يستبان بهما أثره اذا ضل . ٢ - الابيض :

نقي العرض من الدنس .

يجود ويعطي المال من غير ضنة^(١) ويضرب أنف الأبلخ المتغشم^(٢)
 يحل بأوعار وسهل بيوته لمن نابه من مستجير ومنعم^(٣)
 محلا كوعساء القنافذ ضارباً به كنفاً كالخدر المتأجم^(٤)



لقد حرص الشاعر على تصوير نفسه وأبيه بأحسن الصور فإذا به
 يضيف من المكرمات الشيء الكثير . . انه ووالده لا يغدران بالذمة
 كما ان أباه نقي من الدنس ، يجود على الآخرين بدون منة ، ويضرب
 المتكبر الظالم بدون خوف ، ويؤي من استجاره بكل رحابة صدر .
 ولكن ماذا نطمع بعد هذا العرض للافكار . . لندع شاعرنا مع
 المكرمات التي يضيفها لنفسه وأبيه ، ولنسلط الأضواء على هذا النموذج
 من فخره لنرى ما فيه من خصائص :

- ١ - لقد ظهر منذ البداية ، وضوح الافكار وصراحتها حتى أن
 أبسط الناس ادراكا يتفهمونها بدون أي جهد أو عناء .
- ٢ - لقد اوجز الشاعر في ايراد الصفات ، ولكنه لم يخل بتوازن
 الافكار الموزعة في الابيات بحيث جاءت وفق مقتضى الحال .

١ - الضنة : البخل ، الأبلخ : المتكبر ، المتغشم : الظالم .
 ٢ - نابه : قصده ، المنعم : وهو الذي يأتي القوم على قدميه حافياً . ٣ - وعساء
 القنافذ : الرمل اللين الذي تشق القنافذ تحته بيوتها ، الكنف : الجانب والناحية
 الخدر : الأسد في بيته : المتأجم : الذي سكن الاجه .

٣ - لقد أحسن الشاعر في عرض الأفكار فاستعمل لذلك بعض الوسائل :
أ - كالقسم (لعمرى ، والهـي . .) الذي أفاده في تأكيد أفكاره .
ب - الجنوح للعقل في سبيل اثبات أفكاره عن ط ريق الاستشهاد
بجاذبة معينة غير مشكوك فيها :

لعمرى لقد بينت يوم سويقة لمن كان ذالب بوجهة منم
فيوم سويقة الذي ذكره ، برهان لا مجال للطعن فيه على صحة ما
ذكره لنفسه ولأبيه من مكرمات .

٤ - لقد كان أداء المعاني ناجحاً ، خصوصاً عندما استعمل الالفاظ
والتراكيب الموحية بالمعاني المرصودة للتعبير عنها : ما غدرت بذمة ،
يجود ويعطي . . من غير ضنة . .

٥ - لقد ظهرت في الأبيات - على قلتها - شخصية أوس الشعرية
باعتبار أن المادية سيطرت على الأبيات ، والتصوير جسد المعاني .
ولا نود الاستطراد ، فالأبيات ناجحة فكرياً ، وعاطفة ، وأسلوباً
ومعنى ، وما علينا بعد أن أوضحنا ما أوضحناه الا استعراض بقية
النماذج التي احتوتها قصيدته .

افتخاره بقومه :

بعد أن أضاف أوس لنفسه وأبيه من المكرمات ما يكفي لارضاء
غروره ، كان عليه أن يكمل الصورة ، اذ أن تمتعه ووالده بالصفات

الحسنة ، لا يكفي لعلو منزلته ، بل لا بد له من دعمها بعلو منزلة قومه ، هؤلاء الذين يعيش واياهم ضمن مجتمع تسوده العصبية القبلية ولا يحسب فيه الا حساب القوة والمنعة والشرف والعادات الكريمة... فليضعها كلها او بعضها على قومه ليزيد اعتزازه وفخاره ...

صبحن بني عبس وأفناء عامر بصادقة جود من الماء والدم^(١)
لحينهم لحي العصا فطردتهم الى سنة جردانها لم تحلّم^(٢)
بأرعن مثل الطود غير اشابة تناجز أولاه ولم يتصرّم^(٣)
اعمرّك انا والأحاليف هؤلاء انفي حقبة أطغارها لم تقلم
ومستعجب بما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم^(٤)
فانا وجدنا العرض احوج ساعة الى الصون من ريط يمان مسهم^(٥)
أرى حرب أقوام تدق وحرّبنا تجل فنعروري بها كل معظم^(٦)
ترى الأرض منا بالفضاء مريضة مفضلة منا بجمع عرمرم^(٧)
وأن مقرم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم^(٨)

-
- ١ - الافناء : الجماعات من الناس التي لا تعرف ، ٢ - لحينهم لحي العصا : قشرتهم كما يقشر لحاء العصا ، لم تخلم : لم تسمن لانها في سنة جذب ، ٣ - الأرعن : الجيش الكثير العدد والرعن أنف يتقدم من الجبل فينسل في الارض ، الطود : الجبل ، غير أشابة : غير أخلاط ، تناجز أولاه : يمضي أوله لا ينقطع لكثرتة .
٤ - زبنته : دفعته ، ترمرم : تحرك ، ٥ - مسهم : مخطط ، ٦ - نعروري : نركبها ، عرياً للدلالة على تحمل مصاعبها . ٧ - المفضلة : التي نشب ولدها في بطنها .
٨ - ذرا حد نابه : انكسر .

لنا مرجم ننفي به عن بلادنا وكل تميم يرجمون بمرجم^(١)
 أسيد أبناء له قد تتابعوا نجوم سماء من تميم بمعلم^(٢)
 نبيح حمى ذي العز حين نريده ونحمي حمانا بالوشيج المقرم^(٣)
 يرى الناس منا جلد أسود سالخ وفروة ضرغام من الاسد ضيغم^(٤)

يتابع أوس رسم الصورة في قصيدته مفتخراً بقومه بعد أن ابتدأ
 بالافتخار بنفسه وأبيه فماذا فعل وأية صفات أضافها لهم ؟

١ - ان ما نلاحظه هنا ، هو ضجيج نفسه وزهوها بقوة قومـه
 ومنعتهم وشجاعتهم ، وتفوقهم على أعدائهم . . وهو في سبيل ايراد
 ذلك ، والبرهنة عليه ، جسدهم في سلسلة من الصور المتلاحقة التي
 أظهرت كثرة عددهم وانتصارهم الأبدى على أعدائهم .

٢ - ولقد لاحظنا في القسم الاول الذي افتخر فيه بنفسه وأبيه ،
 البساطة والابحاز ، في حين نجد هنا الاسهاب الشديد ، الذي نرده الى
 امتلاء تخيلته بقوة قومـه وكثرة عددهم « جمع عرمرم » أرعن « في
 حين نأخذ عليه ايراده بعض الجمل والتراكيب التي لا يمكن فهم بعضها
 دون تدقيق وامعان نظر خصوصاً وأنه كان بإمكان الاستغناء عنها
 أو تبسيطها .

١ - المرجم : مكان الرجم وهو الدفاع والمنافعة ، ٢ - أسيد : ابن عمرو بن
 تميم ، المعلم : مظنة الخير والمشهور من كل شيء . ٣ - الوشيج : الرمح .
 ٤ - الأسود : العظيم من الحيات ، ويقال سالخ لان الحية تسليخ جلدها كل عام .

٣ - وبالإضافة لما ذكرنا ، فان ايمانه بقوة قومه جعله يذكرهم بمعنى واحد في اكثر من موضع ، مع تغيير بالاداء والتزام الجديدة المضمون .. الا أننا أيضاً نأخذ عليه .

آ - كثرة التوزيع للفكرة الواحدة في عدة مواضع ، لانها وان أدبت بأشكال ومضامين مختلفة ، الا أنها تخل بتوازن الافكار ، وتؤثر على الخط التسلسلي لها ولمعاني القصيدة (ككل) من جهة ، وجزئيات الغرض الذي لأجله قيلت من جهة أخرى .

ب - الفوضوية في ايراد جزئيات الأفكار لدرجة أن القصيدة فقدت الخط التسلسلي لافكارها العامة .. ولولا خشية الاطالة في السرد لاعدنا ترتيب الايات وفق المنطق التسلسلي للأفكار ، ولكن حسبنا ما عرضناه . وبامكان القارئ أن يعود للديوان ، للقيام بذلك بنفسه فيما لو أثر عدم الاكتفاء بالنموذج الذي أوردته . مع اعتقادنا بأن السبب يعود اما لكثرة توزيع الفكرة الواحدة ، أو للرواة والمحققين .

٤ - أما ما نجح به في هذا النجو من فخره ، فهو ايراده كثيراً من الكنايات والاستعارات والتشابه ووضعه في الاماكن الملائمة لها من القصيدة : أرى حرب أقوام تدق وحربنا تحل فنعروري . . بأرعن مثل الطود . . لعمر ك أنا والاحاليف هؤلاء لفي حقبة أظفارها لم تقلم . . ترى الارض منا بالفضاء مريضة . . صبحن . . بصادفة جود من الماء والدم ..

يرى الناس منا جلد أسود سالخ وفروة ضرغام من الاسد ضيغم
هـ - ويبدو أن شاعرنا لا يمكنه الا أن يطبع أشعاره بكافّة
أغراضها ، بالمادية ، اذ انه حتى في هذا المجال - مجال الفخر - فانه أدى
معانيه بشكل محسوس وبقوة وفخامة تتناسب مع هذا الموضوع ..

وبما تجدر الاشارة اليه أن الشاعر لم يركز في مديحه قومه الا
على القوة ، ملمحاً بعض الشيء الى بعض الصفات الحميدة الاخرى
كالأناة وحماية العرض .. مع انه كان من واجبه الاكثر من ذلك لا
الاسهاب في بيان القوة وعرض العضلات فقط .

افتخاره بنفسه وشخصيته الشعرية :

ليس من المغالاة في شيء اذا قلنا بأن أوس بن حجر ، قد بلغ اكبر
نجاح عندما افتخر بنفسه وبشخصيته الشعرية ، ولا عجب في ذلك ،
فالخافز الشخصي له دوره الهام ، كما ان الاعتداد الشخصي ، وعـلو
المكانة ؛ والشعور بالتفوّق ، كل ذلك يؤثّر على الانسان العادي ، فما
بالنا بشاعر تحفل ساحة شعوره بكل هذا المزيج من المؤثرات . . .
ان النتيجة الحتمية لذلك ، الفخر لحّد الغرور . . . ولكننا هنا لا نلمح
هذه النتيجة دائماً ، اذ أننا لا نجد الا شكلين من الفخر :
١ - فخر ذاتي يتناول شخصية الشاعر ككل .

٢ - فخر نفسي بشخصيته الشعرية .
لذلك نجد من واجبنا استعراض كل نموذج على حدة .

افتخاره بنفسه ومنزله :

لم تكن الأبيات التي افتخر فيها بنفسه ، كثيرة بالقياس لبقية أشكال فخره ، وانما كانت محدودة ، ولكنها معبرة وجيدة :

تركت الجيث لم أشارك ولم أدق	ولكن أعف الله مالي ومطعمي ^(١)
فعندي قروض الخير والشر كله	فبؤسي لدي بؤسي ونعمي لانعم
فقومي وأعدائي يظنون أنني	متى يحدثوا أمثالها أتكلّم ^(٢)
رأيتني معد معلماً فتناذرت	مباهتي أمشي براية معلّم ^(٣)
فتنهى ذوي الاحلام عني حلومهم	وأرفع صوتي للنعام المصلّم ^(٤)
متى تبغ عزي في تيم ومنصب	تجد لي خلا غير مخز ولا عم
تجدني من أشرافهم وخيارهم	حفيظاً على عوراتهم غير مجرم

في اعتقادنا أن الافكار واضحة ، والاسلوب متين مشرق ، والعاطفة غير مشوبة بالجنوح عن جادة الصدق ، لان ما يذكره من صفاته لشخصه ومنزله بين قومه ، قد حدثنا عنه الرواة ، أما مادية أبياته

١ - لم أدق : لم أدن . ٢ - يظنون : أراد بها اليقين وليس الشك . ٣ - المعلم المشهور الذي دل على مكانه في الحرب برفع العلم ، تناذرت : جعلت مفاجأتي ومقارعتي في الحرب نذراً بينها . ٤ - المصلّم : القصير الاذن .

فتلك سمة مسلم بها وملحوظة ليس في هذه القصيدة - ككل -
فحسب ، وإنما تكاد تكون ميطرة على كل أشعاره .. يضاف إليها
هذا الاداء الجيد والاطار البديع الذي جاءت عليه الابيات فجعلتها
ناجحة مبنى ومعنى .

افتخاره بمقدرته الشعرية :

وبيلغ أوس الأوج في فخره عندما يتعرض لذكر مقدرته الشعرية
وسلاطة لسانه وتفوقه على كثير من الشعراء :

وإن هزّ أقوام اليّ وحددوا كسوتهم من حبر بزّ منّجهم ^(١)
يخيل في الاعناق منا خزاية أو ابدها تهوى الى كل موسم ^(٢)
وقد رام بجري بعد ذلك طامياً من الشعراء كل عود ومقهم
ففاءوا ولو اسطوا على أم بعضهم أصاخ فلم ينصت ولم يتكلم
على حين أن تم الذكاء وأدوكت قريحة حسي من شريح منعم ^(٣)
بنبيّ ومالي دون عرض مسلم وقولي كوقع المشرقي المصمم

-
- ١ - حبر حسن : يقال رجل به حبر الشباب أي حسنه ، والبز الاتحامي نوع من
برود اليمين وأراد هنا أن هجاءه يشتهر كما يشتهر صاحب هذا اللباس .
 - ٢ - الخزاية : ما يوجب الشين والعار ، الاوابد : المشتدة الضاربة في الآفاق
وأراد بها القصائد ، ٣ - الذكاء : انتهاء السن واستحكامه ، شريح : ابن اوس ،
القريحة : يقال قريحة الماء : اول خروجه من البئر ، المغفر المغطي .

ليس لدينا ما نضيفه من ملاحظات عما سبق وأوردنا ، اللهم الا التنويه بأن هذا النموذج يعد من أجود شعره وأقواه أداء وفكرة وأسلوباً وعاطفة وفناً ، ناهيك عن هذا التسلسل في عرض الافكار وتلك العبارات المتينة القوية المعبرة التي أكتسبت - مع حسن العرض - موضوعه النجاح .

وبعد .. فلقد استعرضنا أكثر أبيات القصيدة الميمية لاحتوائها عدة انواع واشكال من فخره ، ولم يبق لدينا الا ايراد بعض الأمثلة الأخرى من فخره ، انما بدون تعليق أو تحليل أو شرح ، باعتبار أننا فعلنا ذلك بما فيه الكفاية في الأقسام السابقة .

قال يفتخر بأخلاقه الشخصية :

عليّ أليّة عتقت قديماً فليس لها وان طلبت مرام^(١)
 بأن الغدر قد علمت معد علي وجارتي مني حرام
 وليس بطارق الجارات مني ذباب لا ينيم ولا ينام^(٢)
 ولست بأطلس الثوبين يصبي حليلته اذا هجع النيام^(٣)
 يقرع للرجال اذا أتوه وللنساء اذا جنّ السلام

١ - الأليّة : اليمين ، عتقت : قدمت ووجبت ، ٢ - الذباب : أراد به هنا السوء ،
 والفاحشة ، ٣ - الطلسة : الكدرة في العبارة واراد بها : دنس الثياب من كثرة
 الفواحش .

ولست بخابيء أبداً طعاماً حذار غد لكل غد طعام



وقال يفتخر بنفسه وقومه :

وذلك من جمعي وبالله نلته وان تلقني الاعداء لا ألق أعزلاً
وقومي خيار من أسيّد شجعة كرام اذا ما الموت خبّ وهرولاً^(١)
ترى الناشء المجهول منا كسيّد تبجّح في أعراضه وتأثلاً^(٢)

١ - الشجعة : ج شجاع ، خب وهروئل : اسرع في السير .
٢ - الاعراض : ج عرض وهو المال والثراء والمتاع ، تأثّل : تزيد .

الخصائص العامة لفخره

بعد أن قمنا باستعراض سريع لفخر أوس من خلال قصيدته الميمية التي احتوت - عدا عما أوردناه من أبيات دون شرح من قصيدتين أخريين - على الجوانب والاشكال الثلاثة لفخره (بأصله وقومه ونفسه وشخصيته الشعرية) ، لابد لنا من استعراض الخصائص العامة لفخره التي نوردها بإيجاز شديد في النقاط التالية :

١ - لم يكن فخره بمستوى واحد ، فقد برّز فيما يتعلق بشخصه وشعره ، وقارب الجودة التامة بالنسبة لأبيه وصفاته ، في حين قصر قليلاً تجاه قومه فلم يعطهم حقهم مع أنهم أصله الأول والاخير . . ولكن الذي يجدر ذكره أنه ربما قال أشعاراً كثيرة في فخره بقومه ولكنها لم تصلنا ..

٢ - سادت غاذجه الفخرية ، المنطقية والعقلانية في إيراد الأفكار وعرضها والبرهنة عليها ؛ ولكن خانه التوفيق في تسلسل أفكار بغضها (فخره بقومه) .

٣ - سادت نماذجه قوة في الأداء تناسبت الى حد بعيد مع فن
الفخر وتناغمت مع بساطة الألفاظ المعبرة والتراكيب القوية . .
اللهم الا فيما ندر .

٤ - تميزت نماذجه بالصدق وقوة العاطفة باعتبار ان الفخر لا
يهدف منه الشاعر الكسب المادي ، وانما اظهار المناقب الحسنة والحلال
الحميدة ، والزهو بها .

٥ - سادت صور أفكار نماذجه ، المادية فأبرزت المعاني وقربتها
من الاذهان خلال صور ملونة ناجحة لم يشط الخيال فيها ليخرجها
عن حدود الواقعية والصدق في الاداء .

٦ - كثرت في نماذجه الفخرية الفنون البلاغية وخاصة التشبيه
والاستعارات والكنائيات التي يعد من أروعها هذه الابيات :
● لعمر ك انا والأحالي ف هؤلا لفي حقبة أظفارها لم تقلم
يرى الناس منا جلد أسود سالخ وفروة ضرغام من الاسد ضيغم
● ولست بطارق الجارات مني ذباب لا ينم ولا ينام
● واني امرؤ أعدت للحرب بعدما رأيت لها ناباً من الشر أعصلا
٧ - توافقت أبيات نماذجه الفخرية بعنصر الحركة الانفعالية
التي ساهمت في تحقيق العنصر التأثيري فيها .

أغراض الشعرية الأخرى

ذكرنا سابقاً أن النماذج القليلة المتوفرة لدينا من أشعار أوس يشغل غالبيتها : الوصف ، والهجاء ، والرثاء ، والفخر ... وقد أتينا على ذكر هذه الأغراض بالتفصيل حيناً . وبالإيجاز أحياناً ، وبشكل نعتقد معه أننا وفيئناها حقها من الدراسة والتحليل والنقد ، ولم يبق علينا إلا استعراض الأغراض الأخرى ، التي أقل فيها أوس للدرجة لا تمكننا من استعراضها على النحو الذي سلكناه بالنسبة لبقية الأغراض .
أما هذه الأغراض فهي :

- ١ - المديح : الذي فوجئنا بقلته ، نظراً لتضخم الرثاء على حسابه .
- ٢ - الغزل : الذي جاء تقليدي المنحى ، جافاً ، لا ينم عن أية عاطفة .
- ٣ - الحكمة : التي كانت قليلة ، ولكن عميقة وناجحة .

المديح

الشيء المستغروب لدى أوس ، انه لم يكثر من المديح على الرغم من وجوده في مجتمع تسوده العصية القبلية والاعجاب بالاشخاص وصفاتهم وأفعالهم ، ألا أن ما يبرر ذلك ، وجود هذا الغرض من الشعر واندماجه في غرض آخر هو الرثاء .

فالرثاء اذن توسع لدى أوس على حساب المديح ، ولا غرابة في ذلك ، فالمعاني والأفكار التي يجسدها الرثاء هي نفسها على وجه التقريب في المديح ، مع تغيير في الالفاظ وادخال كان أو قضي نجبه ، على الجفن والنواكيب التي تتألف منها الأبيات ذات الطابع الرثائي .

وعلى الرغم من ندرة أبيات المديح فاننا سنتعرض لنموذجين من مدحه ، قال أحدهما في الثناء على حليلة بنت فضالة بن كلدة ، والأخرى في حاتم طيء .

قال يدح حليلة بنت فضالة بن كلدة التي اعتنت به عندما وقع بارض بني اسد فاندقت فخذة وتألّم :

لعمرك ما ملئت ثواء ثوبها حليلة اذ القت مراسي مقعد (★)
ولكن تلقت باليدن ضمانتي وحل بشرج م القبائل عودتي
وقد غبرت شهري ربيع كليها بجمال البلايا والحباء الممدد
ولم تلها تلك التكاليف انها كما شئت من اكرومة وتخرد
هي ابنة اعراق كرام نعيمها الى خلق عف برازته قد
سأجزيك أويجزيك عني مثوب وقصرك أن يشنى عليك وتحمدي

بالطبع ، القصيدة واضحة وقد استغرق السرد ووصف ما قامت به
المدوحة أكثر من نصفها ؛ ليمدحها بأبيات ثلاثة ، هي على قلبها ،
تجسد معاني الكرم وعراقة النسب والعفة والعقل .

ولولا خشية الاطالة لسلطنا الأضواء ، ولكن يكفينا ما فصلناه في
فن الرثاء بما ينطبق هنا على المديح ، خاصة وقد جاءت هذه القصيدة
بسيطة في افكارها ، سهلة وقوية في تراكيبها وجملها وألفاظها ؛ ناهيك
عن الاشراق الكلي الذي سيطر عليها فجعلها مفهومة ولا تحتاج
الى أي تفصيل .

اما مدحه لحاتم طيء فيتلخص في بيتين

فان تنكحي ماوية الخير حاتما فما مثله فينا ولا في الاعاجم (١)

★ - سبق أن تقدم شرح جميع كلمات النموذج في الصفحة رقم «٧٢» .

١ - ماوية : ابنة عفزر التي تروى عنها وعن حب حاتم لها أخبار اشبه
بالاساطير ، وله فيها شعر كثير .

فتى لا يزال الدهر أكبر همه فكاك أسير أو معونة غارم.

يلاحظ انه لا حاجة للشرح لانه ما من انسان الا ويعرف عن،
كرم حاتم طيء وافعاله في فك الاسرى ومعونة المحتاجين الشيء،
الكثير ، ناهيك عن النجاح الذي تحلى بهما البيتان من جميع النواحي .
بعد عرضنا لهذين النموذجين نرى لزاما علينا ايراد النقاط التالية
التي لا حظناها على مدحه :

١ - العناية بابرار الصفات الحميدة لممدوحيه بالفاظ وتراكيب
واضحة وسهلة وجميلة .

٢ - البساطة والوضوح في الافكار ، والتوفيق في العرض ، الذي
استخدم في سبيله الطريق العقلاني دون الطريق العاطفي ..

٣ - الصدق في الاداء والحوارة في العاطفة بجميع أبيات هذين
النموذجين ، مع التنويه باننا لا حظنا ، اثناء استعراضنا لهجائه للحكم
بن مروان بن زنباع العبسي اشارة لمديحه له بما استنتجنا بانه متكسب :
كأنني حلوت الشعر حين مدحته صفا صخره صماء يابس بلالها
هممت بنخير ثم قصرت ذونه كما ناءت الرجزاء قد عقالها
ولكن الشيء المحير في هذا المجال ، افتقارنا لهذه القصيدة التي

التي مدحه فيها ، ثم وجود القصيدة التي هجاه بها لأنه لم يشبه . . .
ومهما يكن من أمر ، فإن النموذجين اللذين أتينا على ذكرهما ،
يخلو أن من كل أثر للتكسب ، لأنها انصبّا على شخصين لم تكن للشاعر
أية مصلحة مادية عندهما ، بل إن مدحه لهما كان بدافع الإعجاب
والعرفان بالجميل لا غير .



الغزل

لم يخل شعر أوس من بعض الأبيات الغزلية التي وردت في
مطالع قصائده بما شاة لسلم القصيدة الجاهلية ، مع خلوطاها من
العاطفة ، اللهم إلا من بعض اللغات الشعرية التي ظهرت فيها والتي
لا تدل على أنه أحب ، وإنما لتبرهن على تفهيم شاعريته ، ورقة
احساساته . . .

ولقد وردت في قصائده أسماء نسائية كثيرة : كتماضر ، وليلى ،
وأم عمرو ، وزينب ، ولميس ، وأميه ، مما يعزز قولنا بأن الشاعر لم
يجب ، ولو حدث له ذلك لأعطانا الكثير الكثير من الأبيات الغزلية
ذات الفيض العاطفي الذي يدخل القلب دون استئذان . . .

وغزليات أوس ، على تقليديتها ، متنوعة ، فهو يصف
خيالها وذكرها :

- ألمّ خيال موهنا من تماضرا هـوآ ولم يطرق من الليل باكر^(١)
 - وكان اذا ما التّم منها بحاجة يراجع هترا من تماضر هاترا^(٢)
 - صحا قلبه عن سكره فتأمتلا وكان بذكري أمّ عمرو موكتلا
 - وكان له الحين المتاح حوملة وكل امرىء رهن بما قد تحمّلا
- أو يصف ميله للنساء :

- وقد أنتحي للجهل يوماً وتنتحي ظعائن لهو ودّهّن مساعف^(٣)
- نواعم ما يضحكن الا تبسّما الى اللهو قد مالت بهنّ السوالف
- أو يصف أجسام معشوقاته :

- إذ تستبيك بمصقول عوارضه حشّ اللثات عذاب غير مملّاح^(٤)
- وقد لهوت بمثل الرثم آنسة تصبي الحليم عروب غير مكلاّح^(٥)

١ - الموهن : نحو من نصف الليل ، الهدو : بعد هدأة من الليل . ٢ - الهتر : السقط من الكلام ، وهتر هاتر : هذيان شديد .

٣ - مساعف : مساعد ومؤات . ٤ - العوارض : ج عارض ، وهو الفم الذي يعرض الاسنان ، وهو ما كان بين الناب والفرس ، لثة حمشة ؛ قليلة اللحم وكانت عند العرب مستحبه . ٥ - الرثم : الظني الخالص البياض ، آنسة : فتاة طيبة النفس ، العروب : الضحوك والمحبة الى زوجها ، مكلاّح : عابسة .

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكُرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ مَاءِ أَصْهَبَ فِي الْخَنَوْتِ نَضَّاحٌ^(١)
أَوْ مِنْ مَعْتَقِهِ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا أَوْ مِنْ أَنْأَبِيبِ رَمَّاتٍ وَتَفْتَاحٍ^(٢)

أَوْ يَصِفُ مَلَابِسَهُنَّ وَأَخْلَاقَهُنَّ :

غُرٌّ ، غُرَائِرٌ ، أَبْكَارٌ ، نَشْأُنٌ مَعًّا حَسَنُ الْخَلَائِقِ عَمَّا تَتَّقَى نُورٌ^(٣)
لِبَسْنِ رِبْطًا وَدِيْبَاجًا وَأَكْسِيَّةً سَتَى بِهَا الصَّوْفُ ، إِلَّا أَنَهَا فُورٌ
لَيْسَ الْحَدِيثُ بِنَهْيٍ يَنْتَهِنُ وَلَا سِرٌّ يَحْدِثُنْهُ فِي الْحَيِّ مَنْشُورٌ^(٤)
أَوْ يَذْكُرُ كِبَرَ سَنِهِ وَقَدْ كَسَا رَأْسَهُ الشَّيْبَ فَيَتَحَسَّرُ عَلَى

شَبَابِهِ :

صَبُوتٌ وَهَلْ تَصْبُورُ أَسْكَ أَشْيَبُ وَخَانَتِكَ بِالرَّهْنِ الْمَفَارِقِ زَيْنَبٌ^(٥)
وغيرها عن وصلها الشيب إنه شَفِيعٌ إِلَى بَيْضِ الْخُدُورِ مَدْرُبٌ
أَوْ يَتَحَسَّرُ عَلَى شَبَابِهِ الَّذِي وَلَّى فَأَصْبَحَ التَّنَكَّرُ دِيدَنُ
الْحَبِيبَةِ :

-
- ١ - الرِيْقَةُ وَالرِيْقُ : الرَضَابُ وَمَاءُ الْفَمِ ، اغْتَبَقَتْ : شَرِبَتْ الْمَبْقُوقَ وَهُوَ شَرَابُ الْعَثِي ، الْخَنَوْتُ : دُكَّانُ الْخَمَارِ ، نَضَّاحٌ : رَاشِحٌ أَوْ الَّذِي يَرُوي الشَّرْبَ .
٢ - الْوَرَهَاءُ : الْحَمَقَاءُ ، الْأَنْأَبِيبُ : الطَّرَائِقُ الَّتِي فِي الرِّمَانِ .
٣ - الْغُرُ : جُ غُرَاءٌ وَهِيَ الْبَيْضَاءُ الشَّرِيفَةُ ، الْغُرَائِرُ : جُ غُرَيْرَةٌ : الشَّابَّةُ الْحَدِيثَةُ السِّنِّ ، النُّورُ : جُ نَوَارٌ ، وَهِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي تَفِرُ مِنَ الرِّيبَةِ .
٤ - الْنَهْيُ : اسْمُ النَّهْبِ وَارَادَ هُنَا كِتْمَانَ الْحَدِيثِ . ٥ - الرَّهْنُ الْمَرَامِقُ : وَهُوَ الرَّهْنُ الَّذِي لَيْسَ بِمَوْثُوقٍ بِهِ ، وَهُوَ قَلْبُ أَوْسٍ ، الْمَرَامِقُ : الْمُدَارِي وَالْمَعَالِيشُ .

ما من شك بأن غزل أوس مغرق في تقليديته (كما لاحظنا لدى
استعراضنا النماذج) كما وأنّ المادية التي لاحظناها في بقية الأغراض
الأخرى لم تختف في هذا الفن الجميل أيضاً فاهيك عن جفاف العاطفة حتى
أنّ القارىء يشعر لدى استعراضه ، انه يقرأ شعراً بما قاله صاحبه
الا لغرض افتتاح القصيدة .. والشاعر في رأينا لم يشد عن طريقته
التي صاغ بها كافة أشعاره وهي اخضاع اشعاره لأفكاره
للعواطفه ..

الحكمة

عرفنا أن أوس بن حجر كان يحتل منزلة رفيعة بين قومه
وأنه عاش أحداث مجتمعه ، فجسد بعضها في أشعاره وبالتالي
استخلص منها بعض النماذج التي جسدها على شكل حكم حملت آراءه
والمدى الذي بلغه تفكيره . . .

وقد برزت في بعض أشعاره آثار تجاربه في الحياة حتى جعلته
يعطي من النصائح والارشادات وضرب الامثال الشيء الكثير . . .
قال يشرح التجارب التي موت به في حياته ويستخلص منها
العبرة التي يجدر بالمرء الاستفادة منها :

فإني رأيت الناس الا أقولهم خفاف العهود يكثرون التنقلا (١)
بني أم ذي المال الكثير يزونه وان كان عبداً سيداً لا مرجحفلاً (٢)

١ - التنقل : التحول عن المودة . ٢ - السيد الجحفل : الكثير الاتباع .

وهم لنقل المال أولاد علّة وان كان محضاً في العمومة مخولاً^(١)
وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي ويرضيك مقبلاً
ولكن أخوك النائي مادمت آمناً وصاحبك الأدنى إذا المرء أعضلاً^(٢)
وقال يضرب الأمثلة المأخوذة من واقع الحياة :

- وما ينهض البازي بغير جناحه ولا يحمل الماشين الا الحوامل
 - ولا سابق الا بساق سليمة ولا باطش ما لم تغنه الأنامل
 - وليس يعاب المرء من جبن يومه وقد عرفت منه الشجاعة بالأمس
 - اذا الحسب الرفيع تواكلته بناء السوء أوشك أن يضيعا
 - اذ الناس ناس والزمان بعزة واذا أم عمار صديق مساعف
- وقال في معرض النصح والارشاد :

- لا تظهرن ذم امرئ قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد
- فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن لهم هرشاً تغابهم وتقاتل^(٣)

ان القارئ لأبيات الحكمة هذه ، لا بد له من الخلوص للنتيجة التالية التي تلخص : بأن اوس بن حجر كان على جانب كبير من رجاحه العقل ، فعلى الرغم من قلة الحكمة في أشعاره نسبياً فقد جاءت الابيات المجسدة لها عميقة الاغراض ، لا تتطرق اليها السطحية من قريب أو بعيد ، اللهم الا من بعض الحكم التي جاءت كتحصيل

١ - المحض : الخالص النسب ، مخول (بفتح الواو) كثير الاخوال .

٢ - أعضل : اشتد . ٣ - الهرش : المائق الجافي .

حاصل لتجاربه وخلاصة آرائه . . . ، والذي يثبت لنا هذه النتيجة
النقاط التالية :

١ - ظهور اثر التجارب الشخصية المستمدة من الحوادث التي
عايشها في مجتمعه .

٢ - الاتسام بالعقلانية التي جسدت بأفكار تحمل في طياتها نفحات
عاطفية بسيطة .

٣ - الاكثار من الامثال واتباع طريقة الارشاد والنصح .

٤ - الانطباع بالعموم ، وعدم الجنوح للخصوص ، بحيث انها تصلح
لكل زمان ومكان وعلى مرور الايام ..

٥ - الاتسام بالسهولة والوضوح والصراحة ، سواء في الالفاظ او
الجلل او التركيب .

٦ - الخلو من الارشاد الديني مع وجود الارشاد الاخلاقي
والانساني العام .

٧ - الخلو من الخيال مع الاستمداد من واقع الحياة ، لا البدوية
فقط وانما العامة ايضا .

وعلى كل الاحوال ، فاننا مهما قلنا في جودة حكمة أوس ، فان
زهير بن ابي سلمى - كما سنرى - قد سبق كافة الشعراء الجاهليين
بالحكمة ، ابداعاً وعمقا وتفناً وابتكاراً حتى استحق على ذلك
لقب الشاعر الحكيم .

الخصائص العامة لشعره

أما وقد انتهت طوافنا مع أغراض أوس الشعرية، فقد آن لنا أن نلقي بمرساتنا، لنأخذ قسطاً من الراحة، نستعرض أثناءه الخصائص العامة لشعره، لنشد الرحال بعده لرحلة أخرى مع الشاعر زهير بن أبي سلمى. أما هذه الخصائص فيمكن إيجازها - بعد أن فصلنا في كافية الأغراض - بما يلي :

١ - اتسام جميع أشعاره - باستثناء المختلط منها مع أشعار غيره - تقريباً بطابع واحد يميز عن بقية الشعراء، حتى لقد عد بسبب ذلك زعيماً لمدرسة شعرية من روادها واتباعها شعراء فحول أمثال زهير بن أبي سلمى (وربما النابغة الذبياني) وكعب بن زهير والخطيئة وسواهم ..

٢ - اتسامها بكل قصائد بالجوادة على وجه العموم وقد أدى لذلك :
آ - حسن المطالع التي عدت من النوع الجيد بالنسبة لباقي الشعراء صفاً قلبه .. ودع لميس .. أيتها النفس .. الخ

- ب - حسن الانتقال من غرض لآخر في أغلب قصائده .
- ج - شدة ارتباط الأبيات بعضها ببعض من جهة وبمحور القصيدة العام من جهة أخرى .
- د - الاستعانة بالأسلوب القصصي ، ولكن على نحو قليل بعكس ما سنراه لدى زهير مثلاً ..
- ٥ - انطباع جميع أشعاره تقريباً بالمادية الشديدة (وحتى في المواضيع التي يشوه جمالها هذا الطابع) مع اتصالها بنحياله في أغلب الأحيان ولدرجة عدم الانفصال عنه .
- ٤ - شيوع الأعراب اللفظي في أكثر قصائده ؛ حتى ليندفع المرء للإقلاع عن متابعة القصيدة باستثناء بعض القصائد في الهجاء والثناء والفخر ... الخ .
- ٥ - تصوير البيئة البدوية من جميع نواحيها بدقة وأمانة تقرب أحياناً من التصوير (الفوتوغرافي) مع عدم التطرق للبيئة الحضرية إلا نادراً ...
- ٦ - اتسام أشعاره بالطابع العقلي البعيد عن النحو العاطفي .
- ٧ - اتسام أشعاره بالروية والصنعة الفنية ، وهذا نتيجة طبيعية للطابع العقلي الذي سيطر على أشعاره وجعله لا يخرجها إلا بعد إخضاعها للمراقبة الذاتية .

٨ - النجاح في اختيار الألفاظ ذات المدلولات الحسية والرونة
الموسيقية (أحياناً) ووضعها في الأماكن الملائمة لها .

٩ انتشار بعض الفنون البلاغية في اشعاره على نطاق واسع
وخاصة الاستعارات والتشبيه ، مع ظهور العناية بجودتها وقربها
من الواقع أمثال :

- يامن لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كمضيء الصبح لمّاح
 - كأنما بين أعلاه وأسفله ريط منشّرة أو ضوء مصباح
 - ينزع جلد الحصى أجش مبتوك كأنه فاحص أو لاعب داحي
 - إذا ما استقبلته الشمس صدم وجهه كما صد عن نار المهوّل حالف
 - لنا صرخة ثم اسكاتة كما طرقت بنفاس بكر
- ١٠ - القوة في الاداء ، والمتانة والرصانة في الجمل

والتراكيب .

١١ - الولع الشديد باحاطة الموصوفات من جميع نواحيها ،
ولدرجة ذكر أدق الجزئيات فيها .

١٢ - العناية باعطاء المواضيع الأجواء الخاصة بها ، مستخدماً
في سبيل ذلك الهدوء حيناً والانفعال والتوفّر لدرجة الصخب الضوضائي
أحياناً أخرى .

مَنْزِلَتُهُ

أشرفنا في أكثر من مناسبة، إلى أن أوس بن حجر يعتبر في نظر بعض النقاد والمهتمين بالأدب صاحب مدرسة شعرية متينة الجذور، كثيرة الأغصان والفروع، اتبعها فحول الشعراء، أمثال زهير بن أبي سلمى، فطوَّروها حتى أصبحت من أهم المدارس الشعرية . .

ورغم قلة النماذج التي بين أيدينا من أشعار أوس، فإنها تتسم بخط واحد، إلا أننا نجد فيها كثيراً من الأبيات التي تنسب له، ولسواء من الشعراء أمثال هذا البيت الذي نجده في ديواني، أوس وزهير بن أبي سلمى :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل
وهذا البيت الذي نجده في ديواني أوس والنابعة :

ولست بخابئٍ أبداً طعاماً حذار غدي لكل غدي طعام

وهذا البيت الذي نجده في ديواني أوس وعبيد الأبرص :
 ودّع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد إصلاح
 وهذه الأبيات التي نجدها في ديواني أوس وبشر بن الخازم :
 ان الذي جمع السباحة والنجدة والبر والتقى جمعاً
 الألمي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
 والحافظ الناس في تحوّل اذا لم يرسلوا تحت عائد ربعا
 فهل نضيفها لأوس ، أم للشعراء الآخرين الذين تنسب إليهم
 أيضاً . . ؟ اننا بلا شك أمام معضلة تدفعنا للاعتقاد بأن أكثر
 اشعار هذا الشاعر قد ضاعت ، وأن الرواة يداً في هذا الأمر . . الا أن
 كل ذلك لا يحول دون اعتبار أوس بن حجر من فحول الشعراء ، بل
 من أوائلهم ، بدليل أن كبار الشعراء أمثال زهير والناطقة . .
 قد تأثروا به وخاصة بقصيدته الميمية ، وبوصفه للصيد والصراع
 بين الكلاب والثور الوحشي ، فقال زهير بيته المشهور في
 معلقته :

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلّم

أخذه عن بيت أوس المعروف :

لعمرك إنا والأحالف هؤلاء لفي حقبة أظفارها لم تقلّم
 وقال النابغة البيت التالي ، آخذاً إياه من نفس بيت أوس

السابق :

وبنو قعين لا محالة انهم آتوك غير مقامي الاظفار
... وبالاختصار ، فاننا نعود فنؤكد أن أوس بن حجر شاعر
فحل ، عرف القدماء قدره فقال فيه ابن العلاء (كان أوس فحل
مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه) كما عدّه ابن سلام الجمحي في
الطبقة الثانية بعد امرئ القيس والنابغة وزهير والاعشى ، كما قدره
المحدثون فقال فيه الدكتور طه حسين انه صاحب مدرسة شعرية ..

عيوب شعره

ما من شاعر الا ويؤخذ عليه وقوعه في بعض الهفوات التي لا يمكن ان يسلم منها أحد.. وفيما يلي استعراض سريع لبعض المآخذ على شعره :

١ - المعاطلة : وهي من عيوب اللفظ ، وتنتج عن مداخله الشيء بالشيء الذي ليس فيه ولا من جنسه ، ولا يليق بنسبته اليه كقوله :

وذات هدمٍ عارٍ نواشرها تصمت بالماء تولباً جدعا

فقد أورد كلمة (تولب) مكان اسم الصبي فعاظل في ذلك لأن كلمة تولب تعني ولد الحمار .

٢ - التصريع : وهو الذي يغيّر العروض زيادة أو نقصاً ليوافق الضرب في الوزن . وقد صرّح أوس في قصيدته الحائية فقال في المطلع :

ودّع ليس وداع الصارم اللاحي اذ فتكت في فساد بعد اصلاح
ثم صرّع بعد ذلك في بيتين متلاحقين :

هبت تلوم وليست ساعة الاحي هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحي
اني ارقّت ولم تأرق معي صاحي لمستكف بعيد النوم لواح
٣ - التكبسب : فقد جاء في هجائه للحكم بن مروان بن زنباع
العبيسي قوله الذي يدل على أنه مامدحه الا لنيل عطائه :

كأنني حلوت الشعر حين مدحته صفا صخرة صمء ييس بلاله
هممت بخير ثم قصرت دونه كما ناءت الرجزاء شدّ عقاله
منعت قليلا نفعه وحرمتني قليلا فهبها بيعة لاتقاله
٤ - التهويل : فقد جاء في رثائه لفضالة بن كلدة :

ألم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب
٥ - الافحاش : وقد ظهر عندما هجا بني سعد بن مالك اذ قاله
فحشاً لا نذكره لخروجه عن جادة الاخلاق والادب .

٦ - الاقواء : الذي ظهر في بيته :

يعلون بالقلع البصري هامهم ويخرج الفسو من تحت الدقارير
باعتبار أن حرف القافية (راء) جاء في القصيدة مضموماً لا كجاء في
هذا البيت .

زهير بن ابي سلمى

حياته

أهميته

لم يحظ شاعر جاهلي بشهرة وتقدير كما حظي زهير بن أبي ساسى ، الذي بلغ من اعجاب البعض وتقديرهم لشعره ان أطلقوا عليه : شاعر الجاهلية أو شاعر الشعراء فيها .

ولادته :

وكبقية الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، وحتى بعض من نشأوا في صدر الاسلام ، لا نجد تاريخاً محددًا لولادة زهير ، ولكن من المعتقد أنها كانت حوالي عام (٥٢٠ - ٥٣٠) ميلادية ، في بيت من مزينة .. ثم شب وقضى بقية حياته في بني غطفان ، أهل أمه ، حتى حضرته الوفاة حوالي ٦١٠ ميلادية .

العوامل التي أثّرت في شخصيته الشعرية :

لقد تكاملت شخصية زهير الشعرية بنتيجة عوامل شتى لعل أهمها :

١ - النفسية المتفتحة الشفافة ؛ والفكر المتقدم ، والملاحظة الدقيقة التي كان يتمتع بها .

٢ - الاخلاق الشخصية : التي تمثلت في أفكاره السلمية ، وعفته الذاتية ، وتحنّفه الشديد ، وحبّه للخير ، والدعوة له ، والثناء على فاعليه .. وبالاختصار تمتعه بشتى الصفات الحميدة .

٣ - البيئة العائلية : التي شبّ في أحضانها العابقة بالأريج الشعاري من كل جانب ، فأبوه - كما يروى - شاعر ، وأخته سلمى والخنساء شاعرتان أيضاً ، وكذلك خاله بشامة بن الغدير شاعر غطفان ومستشارها وكبير حكمائها ، الى جانب زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر الكبير ، الذي تنسب اليه المدرسة الشعرية المعروفة باسمه .

٤ - البيئة القبلية : التي نشأ فيها ، في أواخر العصر الجاهلي ، والتي كانت تمثل انحطاطاً فكرياً ، واضطراباً اجتماعياً وسياسياً ، لعلّ أبرز مظاهرها ، تلك المنازعات القبلية ، والحروب ، والغزوات والثارات ، التي بلغت من الشدة والضراوة حدّ الانجراف بالمجتمع العربي آنذاك الى الدمار والانقراض ، لولا ما برز في تلك الحقبة من أفكار تدعو للسلم والاخاء ، مقترنة لدى البعض بالأفعال ودفع

الاموال ، فوضعوا بذلك حداً فاصلاً لتلك المآسي ، وأثروا بشكل مباشر في شاعرنا زهير ، وأثاروا إعجابه ، فأثنى عليهم بأمداح خلّدتهم وخلدت فعل الخير الى الابد .

أنه لا عجب اذا تكاملت شخصية زهير الشعرية ، وصقلت بفضل تلك المؤثرات ، فالموهبة الشعرية عندما تنهل اصول الشعر والتوجيه من شاعرين كبيرين كأوس بن حجر وبشامة بن الغدير اللذين روى شعرهما على التوالي . ثم تتواجد في مجتمع ملّ وجوهه وحكماؤه انحطاطه وانحداره الشديد نحو الهلاك ، فقاموا بالدعوة للسلم وحقن الدماء ، لا بدّ وأن يكون صاحبها ، ذلك الشاعر الفحل الذي من شأنه اغناء الشعر العربي بقصائد جيدة تضاف الى مثيلاتها من نتاج الشعراء الآخرين .



أغراضه الشعرية

لقد نظم زهير في جميع الأغراض الشعرية تقريباً :

في الوصف : الذي انبث في جميع قصائده تقريباً ، حتى ليعتبر القاسم المشترك الأعظم بين مقاطعها .

وفي المديح : الذي وقف جل حياته الشعرية عليه وأجاد به اجادة تامة ، حتى اعتبر من أوائل المادحين .

وفي الحكمة : التي نجدها تحتل شطراً لا بأس به من أشعاره ، لتجعله من الشعراء الحكماء المعدودين .

وفي الغزل : الذي ربما قاله لضرورة سلم القصيد الجاهلية ، باعتبار انه لم يعرف عنه أنه أحب ، ولو حدث ذلك ، لرأينا انفعالات عاطفية أخاذة ، ولفقدنا تلك السمات العقلية البارزة التي تنطبع بها أكثر قصائده .

أما بقية الأغراض الشعرية ، فقد كان من البديهي ، قلة نظمه فيها :

— فاهجاء ، لم يكن من طبعه الذي تأصل فيه حب
السلام والاخاء ، وكذلك الفخر ، لذلك لا نكاد نعثر في ديوانه
الاعلى عدد قليل من الابيات فيها .

— أما الحمور : فان تعفّفه وبعده عن اللهو ، جعلاه بمنأى عنه
فاذا به يقل من النظم فيه .

أما الرثاء : فانه لم يكثر منه ، اللهم الا من بعض الابيات التي
قالها في رثاء ابنه سالم ، وهرم بن سنان ، وسنان بن حارثة المري .
أي أن شاعونا يمكن اعتباره من الشعراء الذين اختصوا في
بعض الاغراض التي تنسجم مع نفسياتهم وما جبلت عليه من روح
مسالمة ، ميالة للخير ، وشخصية مؤثرة التعفف طريقاً ومنهجاً في
الحياة .

الوصف

يرى قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) ان الوصف انما هو ذكر الشيء بما فيه من الاحوال والهيئات ، ولما كان اكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني ، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مر كُتب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها ، حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته .

المقومات الرئيسية للوصف :

من خلال رأي قدامة بن جعفر ، والواقع الوصفي العام ، يمكننا استنتاج المقومات الرئيسية التي لا ينجح الوصف الا بعد تواجدها وهي :

١ - ذكر الشيء المراد وصفه بدقة ووفقاً للوضعية التي وجد أو يوجد فيها .

٢ - تجسيد المعاني التي يعبر عنها الموصوف ، دون لفّ أو دوران وبصور تقرّبه من الواقع الموجود فيه .

٣ - الاعتماد على الخيال دون اسراف ولا تقتير ، وفي النواحي التي يتطلبها وجوده ، وعن طريق التصوير المادي والمعنوي لا غير .
٤ - اعتماد عنصر الحركة كعامل مساعد في التأثير ، مع مراعاة حسن توزيعها ، وتماوجها بين الهدوء الانسيابي ، والاندفاع العاطفي وفقاً لمدلولات الموصوف وأحواله وهيئاته .

د - ايراد الالفاظ المناسبة السهلة ، ومراعاة حسيتها وملاءمتها للموصوف ، مع ضرورة تعاطفها مع الجمل والتراكيب المؤلفة للأبيات الوصفية .

وعلى العموم فان الوصف الجيد ليس على الدوام من توفرت فيه كل تلك المقومات ، فشخصية الشاعر ، وفيض عاطفته ، وشدة ملاحظته ، ومدى ما ينشعه من تلوينات في موصوفاته ، كفيلة بانتاج وصف جيد ، رائع يضع الموصوف مجسداً ، ناطقاً أمام القارئ أو السامع ، فيثير اعجابه ويجعله وجهاً لوجه تجاه جزئياته .

اهم موصوفاته :

ذكرنا فيما سبق ، ان الوصف قد انبث في شعر زهير ، سواء في معرض المدح ، او الرثاء ، أو الوصف الخالص لبعض الموضوعات كالحرب والأطلال ومشاهد الارتحال ، والحيوان والري عند المزارعين العرب . وفيما يلي سنتعرض لضروب الوصف الخالص ، لنعود لاستعراض الوصف المدحي وسواه في فصوله الخاصة :

وصف الأطلال :

على الرغم من ولع الشعراء الجاهليين بوصف الأطلال ، الا أننا نلاحظ عدم افراط زهير في هذا النوع من الوصف ، الذي ربما لم يأت الا انسجاماً مع سلسلته القصيدة . . .

- أمّ أوفى دمنة لم تكلّم بحومانة الدراج فالمثلثم^(١)
- ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم^(٢)
- بها العين والأرآم يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم^(٣)
- وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهّم
- أثافيّ سفعاً في معرّس رجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلّم^(٤)
- فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

١ - أمّ أوفى : زوجة الشاعر الاولى ، الدمنة : ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما ، حومانة الدراج : ماء بنجد بين البصرة ومكة ، المثلم : موضع قريب منه . ٢ - الرقتان : مكان في نجد ، مراجيع : ج مرجوع ، اراد به الوشم المردد ، المجدد ، نواشر : ج ناشر ، العرق ، المعصم : موضع السوار من الزند . ٣ - العين : ج عيناء ، الواسعة العين وهي صفة لبقر الوحش ، الارآم : ج رثم الظبي الخالص البياض ، خلفه : يخلف بعضها بعضاً ، الاطلاع : ج طلاء : ولد الظبية والبقرة الوحشية . ٤ - الاثافي : ج أثفيه ، حجارة تنصب للقدر ، السفع : السودنة الطها حرة ، المرجل : القدر ، معرّس : الموضع الذي يوضع عليه القدر ، النؤي : نهر يحفر حول المغرب ليجري فيه ماء المطر ويصنع له حاجز لئلا يدخل الماء البيت ، الجذم : الاصل .

● لمن ظل كالوحي عافً منازلَه عفا الرّسّ منه فالرئيس فعاقله^(١)
 فقفّ فصارات فأكفاف منعج فشرقيّ سلمى حوضه فأجاوله^(٢)
 فمضب ، فرقد ، فالطويّ فثادق فوادي القنان حزنه ، فمداخله^(٣)
 لقد حرصنا على ايراد نموذجين مختلفين ، لنبيّن أهم الخصائص التي
 امتاز بها زهير في وصف الأطلال :

في النموذج الاول

١- لقد استطاع زهير بسط افكاره بوضوح ، فاذا به يضعنا
 امام لوحة فنية مليئة بالالوان ، فجسد الموضوعات التي ارادها ، غير
 ناس نقل واقع الحياة البدوية من خلال صور متلاحقة ومكملة بعضها
 البعض .. انه يريد وصف ديار الحبيبة بعد ارتحالها وقومها عنها
 وصيرورتها اطلالا ، فمادا فعل ??

- صور تلك الديار بعد ان اصبحت اطلالا اثر مرور الزمن عليها
 فاذا بها موحشة لا تقربها الا الحيوانات : أمن أم اوفى دمنة ... بها

١ - الوحي : الكتاب ، شبه به آثار الدار ، الرس والرئيس : ماء ان لبني
 اسد ، عاقل : ارض . ٢ - قف : أرض غليظة ، صارات : ج صارة ، جبال ؛
 سلمى : جبل طيب ، أجاول : ج أجاول التي مفردها جول أي ناحية .
 ٣ - مضب ، رقد : الطوي ، ثادق : أماكن ، القنان : جبل لبني أسد ، جزع الوادي
 منعطفه ، مداخله وأفاكه : نواحيه .

العين والأرآم . .

- حدد أماكنها بدقة ، ودون إغفال لاسم هذه الامكنة : حومانة

الدراج ، فالمتسلم ، الرقمتان ...

- حدد عمر الانقطاع عنها وزمان الوقوف عليها : وقفت بهـ

من بعد عشرين حجة . .

- وصف صعوبة تعرفه على مكانها ، نظراً لتغير ملامحها بعد

ارتحال الحبيبة وأهلها عنها : فلأياً عرفت الدار بعد توهم .

- رسم الآثار التي شاهدها في تلك الديار المهجورة :

أثافيّ سفعا في معرس مرجل ونزويّاً كجذم الحوض لم يتلّم

- ترجم أحاسيسه حين اهتدى الى تلك الديار ، فاذا به يتخيلها

شخصاً لا بأس من تحيته في تلك الاماكن المقفرة

فلما عرفت الدار قلت لربعها: ألا نعلم صباحا ايها الربع واسلم

٢ لقد كان زهير في وصفه للاطلال مجيداً ، وصادقاً ؛ لانه

نقل صورة حية لها ، فيها من واقع البيئة البدوية الشيء الكثير ،

اضافة لتلك الالوان التي أضفاها على جزئيات الصورة ، فجاءت ناطقة

على الرغم من أن الموضوع الاساسي لا يعدو كونه وصف أطلال ..

٣ - على أنه وان كان قد نجح في رسم الصورة الا أنه لم يكن

مجداً ، وانما جارى في نتاجه هذا بقية الشعراء الجاهليين الذين

كانت اوصافهم للاطلال من دعائم قصائدهم .

٤ - وعلى الرغم من عدم تجديده في وصف الاطلاع الا ان طريقة التصوير المنطقية، قد برزت في وضوح الافكار (التي وان جافت منطق التسلسل أثناء العرض ، باعتباره قد اتى على وصف الآثار قبل ذكر وقوفه عليها ألا أنها عبرت اجمل تعبير عنها) لدرجة جعلت القارئ أو السامع يتخيل بسهولة الصورة بكل جزئياتها .

٥ - ولقد كان زهير في عباراته ناجحاً ايضاً ، فالالفاظ حلوة ومعبرة ومناسبة لواقع الحال ، كما ان التراكيب قوية ومتميزة ومتعاطفة بشكل موضوعي وشاعري مع ايجاءات الالفاظ والموضوع الوصفي العام .

٦ - والميزة البارزة في هذا الوصف ، كثرة الصور المادية واشتراك الخيال في رسمها والتعبير عنها دون ابتعاد عن البيئة التي استمدت الصور منها ، وتجسيدها بالتشبيهات (دار . . كأنها مراجيع وشم . . ، ونؤيا كجذم الحوض لم يتسلم . .) والصور البيانية المحكمة .

٧ - ولعل نجاح زهير في وصفه لا يعود لتلك المميزات فحسب وانما لعنصر المدوء النفسي الذي ملأ اجواء وصفه ؛ فسيطر عليها وجعلها في تماس مباشر مع خيالات القارئ والصور التي رسمها للاطلاع .

أما في النموذج الثاني

فاننا نكاد لا نجد فيه أي اثر لكل تلك الملاحظات ، بل نكاد

لأنلمح فيه الا تلك الاسماء التي تبدو كالاطلاسم .

وبوجه عام يمكننا بعد ذلك التفصيل ، القول بأن زهير اقد نجح
في وصف الاطال ، وأجاد جمع كل الصفات التي عددناها كمقومات
للو صف الجيد (باستثناء النموذج الثاني) ، اضافة لطبعه بطريقة
الشخصية المعتمدة على :

١ - الوصف الحسي المادي المتصل اتصالا وثيقا بالخيال ٢ - الهدوء
النفسي الذي أعطى للوصف نكهة محبة وشدة على القارئ وقوى لديه
الرغبة الملحة لمتابعة القصيدة للوصول الى الغرض الاساسي منها .

اما ما نود التنويه عنه في هذه المناسبة ، فهو اننا كنا نريد
التعرض لوصف مشاهد الارتحال مع وصف الاطال ، الا اننا
آثرنا تجاوزه الى وصف الحرب ، لنعود اليه عند التعرض
لأسلوبه القصصي .

وصف الحرب :

للحرب صور مرعبة لدى زهير باعتبار انه عاش احوالها ، واصطلى
مع ابناء المجتمع العربي في اواخر العصر الجاهلي بنارها (نارحـرب
داحس والغبراء) ، لذلك لا غرابة اذا رأيناه ينقل جوثا وأهوالها
ومآسيتها ونتائجها اليها لتكون عبرة لكل من يحاول اثارتها على
مرء الاجيال :

- وما الحرب الا ما عرفتم وذقتم^١ وما هو عنها بالحديث المرجم^(١)
 متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة وتضر اذا ضرّ يمتوها فتضر
 فتعرككم عرك الرحى بثقالها وتلقح كشافاً ، ثم تنتج فتنتم^(٢)
 فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فتقطم^(٣)
 فتغلل لكم ما لانغلل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم
 ● اذا لقحت حرب عوان مضرّة ضروس تهرّ الناس أنيابها عصل^(٤)
 قضاعيّة أو أختها مضرية يحرق في حافاتهما الخطب الجزل^(٥)
 لقد استطاع زهير في هذين النموذجين أن يضعنا أمام حرب
 حقيقية :

١ - فنقلنا في النموذج الأول الى الممركة وجعلنا نصطي
 بنارها ، ونتذوق مواردة نتائجها : فتعرككم عرك الرحى بثقالها ..
 وتنتج لكم غلمان اشأم كلهم . . فتغلل لكم ما لانغلل لاهلها . . .
 ٢ - أما في النموذج الثاني فلم يرحمنا لندخل الحرب ، ثم نبقي

١ - المرجم : المظنون . ٢ - ثفال الرحى : جلدة تحت الرحى ليقع عليها الطحين
 الكشاف : ان تلقح النجعة في السنة مرتين . ٣ - أحمر عاد : أراد به عافر الناقة
 وقد خالف الشاعر الحقيقة التاريخية وكان عليه أن يضع كلمة ثمود بدلا عن عاد .
 ٤ - لقحت : في الاصل حملت واراد بها اشتدت ، العوان : الحرب الذي قوتل
 بها مرة بعد مرة ، تهرّ الناس : تجعلهم يكرهونها . ٥ - الجزل : الخطب الغليظ
 وجاء بها للدلالة على شدة اشتعال الحرب .

الرؤية آثارها ، بل وضعنا في حرب لاتبقى ولاتنذر : ضروس نهر
الناس أنيابها عصل ... يحرق في حافاتنا الخطب الجزل . .

وقد ذكرنا في دراستنا لوصف الاطلال ما فيه الكفاية عن مميزات
زهير الوصفية الخاصة بالاطلال ، لذلك لايسعنا هنا الا ان نتجاوز
ما نوهنا عنه أو لمحنا اليه ، لنضيف أشياء أخرى هامة يفترق فيها
بوصفه للحرب عن وصفه للأطلال :

١ - لقد جسّد زهير بواقعية تامة ، الحرب ليس كما يتصورها
الآخرون ، بل كما عرفوها ، وذاقوا مرارتها ، مستخدماً في
سبيل ذلك الافكار التي تومض في خيالاتهم ، والمعاني التي
يعرفونها ، والالفاظ والجميل ، والتراكيب التي ألفوا استعمالها : وما
الحرب الا ما عرفتم وذقتم . . . فتعركم عرك الرحي . . فتلقح
كشافاً . . فتنتج . . فتتم . . فترضع . . فتقطم . . ضروس . . .
أنيابها عصل

٢ - اتسم تجسيده للحرب بالعقلانية التامة ، سواء من حيث
تسلسل الأفكار ، أو في طريقة عرضها :

آ - بالنسبة لتسلسل الافكار ، نجد انه لايمكننا تقديم أو تأخير ،
إنقاص أو اضافة أية فكرة على الموضوع اذ لو فعلنا ذلك لاختل
الموضوع .

بـ بالنسبة لطريقة العرض ، نجده قد استطاع ان يربط
المقدمات بالنتائج وما الحرب الا ما عرفتم وذقتم . . متى تبعثوها ،
تبعثوها . . وتضر . . فتعر ككم . . وتلقح . . ثم تنتج فتتم . . ثم
ترضع فتقطع . . فتغلل . .

٣ - برز عامل الحركة كعنصر فعال في التأثير . . . ابتداء
وصف الحرب بهدوء (وما الحرب الا ما عرفتم . .) ، ثم لم يلبث أن
جعل الانفاس تلهث (متى تبعثوها . . وتضر . . فتضرم . . فتعر ككم . .
وتلقح . .) ، ليعود في ختام الوصف الى الهدوء الموضوعي المنهجي
المتناسب مع واقع الحال .

٤ - ظهر اندماج زهير في الوصف ، واتضح عمق وصدق
عاطفته ، ومدى انفعالاته الشديدة إزاء هذا الموضوع الذي طالما
أثّر عليه باعتباره ضد أفكاره واتجاهاته السامية ★ .

٥ - تميّز في الوصف أسلوب زهير التصويري ، ففي النصين
تتابع الصور مكتملة بعضها البعض بسرعة مذهلة تكاد لاتتمعن فيها
الانظار ، وقد استعمل في سبيل ذلك الواقع والخيال (كل ضمن
المدى والمحور المحدد له) بحسب أدلّة بفيض من التشبيهات التي لا يكاد
يخلو منها أي بيت من الأبيات ، وفي النموذجين معاً .

٦ - تميز الوصف بمادية بحتة من جميع النواحي ، وقد ساهم في

★ هناك رأي مخالف للدكتور احسان النسي في كتابه العصبية القبلية (ص ١٦٥ و ١٦٦)

تجسيدها ، الواقعية التي تحلى بها موضوعه ، والعقلانية التي سادته ،
والصدق الذي نبض به . . ناهيك عن الألفاظ والجمل والتراكيب .
التي كانت ماديتها موافقة ومطابقة ومنسجمة مع موضوع الحرب . .

وصف الحيوان :

في البيئة البدوية يتعايش السكان مع عدد كبير من الحيوانات .
كالخيول والنوق والحمر الوحشية والثيران والكلاب . . الخ ، لذلك .
نجد أكثر الشعراء الجاهليين قد وصفوا هذه الحيوانات . . وقد أتى
زهير في عدد كبير من قصائده على وصف بعض الحيوانات فقال في
وصف الفرس :

- هبطت بمسود النواثر سابح بر أسيل الحدّ نهدي مراكله (١)
- تميم فلوانه ، فأكمل صنعه فتم ، وعزته يداه وكاهله (٢)
- أمين شظاه ، لم يخرق صفاقه بمنقبة ، ولم تقطّع أباجله (٣)
- لقد لحقت بأولى الخيل تحملي لما تذاب للمشوبة الفزع (٤)

١ - المسود : الشديد ، المر : الشديد القتل ، النهدي : الضخم ، المراكل : ج مر كل .
حيث يركله الفارس بعقبه . ٢ - تميم : تام الخلق ، فلوانه : فطمناه ، عزته : غلبته .
٣ - أمين : قوي ، الشظى : عظيم لاصق بالذراع ، الصفاق : الجلد السفلى من
البطن تحت ظاهر الجلد ، المنقبة : حديدة البيطار ، الأباجل : ج أبجل ، عرق
في اليد . ٤ - تذاب : جاء من كل وجه ، المشوبة : الحرب المضرمة .

كبداء مقبلة ، وركاء مدبرة قوداء فيها اذا استضريتها خضع (١)
تردي على مطمئنات مواطئها تكاد من وقعهن الارض تنصدع (٢)

ان زهيراً في وصفه للفرس قد أعطانا صوراً واقعية نلمح فيها ذلك الهدوء يتسلل الى نفوسنا من كل لفظة ، كل جملة ، كل ترتيب ، كل صفة ، لهذا الفرس الذي رافقه وعائشه ... انه لا يمكننا الا الاقرار بأن زهيراً وصّاف ناجح يستخدم كل وسيلة في سبيل تجسيد موصوفه حتى يأتي عمله ناجحاً ، اطاراً ومضموناً :

١ - من حيث الشكل : لقد ادى بخيالية ومادية تعابيرها الى اكساب الموصوف رونقه الخاص به ، يضاف الى ذلك الهدوء التسالي الذي لاحظناه بشكل خاص في النموذج الاول ، والتوثب الظاهر في النموذج الثاني ، اذ استعمل في سبيل ابرازهما بعض المؤثرات كالترصيع والطباق (كبداء مقبلة ، وركاء مدبرة) والاستعارات والتشابه في بعض الابيات الأخرى . . .

٢ - من حيث الموضوع : استطاع بصور جزئية متتابعة ، شرح كل أفكاره التي أراد بها وصف فرسه ، مستعملاً في ذلك الألفاظ

٥ - كبداء : ضخمة الوسط ، وركاء : عظيمة الوركين ، قوداء : طويلة العنق .

٦ - الرديان : ضرب من العدو ، المطمئنات : أراد بها الحوافر .

الموحية ، والتراكيب المتلائمة مع هذه الألفاظ ، والمتعاطفة مع الموصوف .

وصف الخمر وتأثيرها بشاربها :

على الرغم من أن زهيراً لم يعرف عنه الودع بالخمر ، أو بحالسة شاربها ، إلا أننا نجد له وصفاً حياً لها ولآثارها في نفوس معقريها :

وقد أغدو على ثبت كرام نشاوى واجدين لما نشاء^(١)

لهم راح ، وراووق ، ومسك تعلّ به جلودهم ، وماء^(٢)

يجرّون البرود وقد تمشت حميا الكأس فيهم ، والغناء^(٣)

تمشّى بين قتلى قد أصيبت نفوسهم ، ولم تهرق دماء

إننا لانغالي إذا قلنا بأن زهيراً قد بلغ غاية الجودة والنجاح في

وصفه للخمر وشاربها ، حتى أن شاعر الحمريات الحسن بن هانيء

(أبو نواس) قد تأثر بالببيت الذي مطلعته (يجرّون البرود . .)

فقال بيمته المشهور :

فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

وكيف لا يتأثر ، والتصوير ناجح ، والألفاظ والتعابير ملائمة ،

والحركة طربة سكرى تفوح منها رائحة الخمر .

١ - الثبة : الجماعة من الناس ، (في رواية أخرى قوم) نشاوى : ج نشوان ،

سكران . ٢ - تعل : تطيب مرة بعد مرة (في رواية أخرى لهم طاس) . .

٣ - البرود : ج برد ، الثوب الموشى ، حميا الخمر : تأثيرها .

وصف الري عند المزارعين العرب :

كان لابد لزهير وهو ابن بيته البدوية ، من ان يصف لنا مشهداً طالما رآه واعجب به ، ونقصد به ، وصفه لطريقة الري عند المزارعين العرب ، هذا الذي لم يجاره فيه غيره من الشعراء الجاهلين :

كأن عينيّ في غربي مقمّلة من النواضح تسقي جنة سحقا (١)
تمطو الرشاء فتجري في ثنائيتها من المحالة ثقباً رائداً قلّقا (٢)
لها متاع ، وواعوان غدون به قتب وغرب اذا ما افرق انسحقا (٣)
وخلفها مائت يحدوا اذا خشيت منه اللحاق تمد الصلب والعنقا
وقابل يتغنى كلما قدرت على العراقى يداد قائماً دفقا (٤)
يحيل في جدول تحبوض فاداه حبو الجوارى ترى في مائه نطقاً (٥)
يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجدوع يخفن الغم والغرقاً (٦)

لن نكرر ما قلناه بالنسبة لموصوفاته التي أنينا على ذكرها ، وحسبنا ان نقول بأن القناعة قد اصابته هدها منا بحيث جعلتنا نعطي حكمها عاماً على زهير بأنه وصاف ماهر ، يجسّد الموصوف بصور متتابعة

١ - غربي : هثنى غرب : الدلو ، المقمّلة : صفة للناقة المدربة ، سحقا : ج سحوق النخلة العالية . ٢ تمطو الرشاء : تمد الخبل ، الثناية : الخبل الذي اوثق واحد طرفيه بقتب الناقة والآخر بالدلو ، المحالة : البكرة ، رائداً : الذي يذهب ويجي .
٣ - القتب : الناقة التي يستقى عليها ، الغرب : الدلو . ٤ - العراقى : ج عرقوة ، احدى الخشبين اللتين توجدان في فم الدلو يشد فيهما الخبل . ٥ - النطق : الدوائر التي تعلق الماء . ٦ - الشربات : ج شربة : حوض صغير كهية الملعف يحفر حول اصل النخلة ويصب فيه الماء لريها ، طحل : اخضر لكثرة مكوث الماء فيه .

حتى يجعلك امامه وجها لوجه .. مستعملا في سبيل ذلك كل الوسائل المؤثرة التي يستطيعها ، من فنون بلاغية ، الى لفات بارعة الحركات معبرة .. ل .. ل .. لآخر ما هنالك من وسائل لا يكتفي بها في سبيل توضيح موصوفه ، بل يضيف اليها انفاسه الشاعرية الخلاقة فتصبح الموصوف، نكهة محببة تجعله قريبا من النفوس ، يقبل على قراءته المتذوقون اقبال الجائع على الطعام .

هناك ملاحظة لا بد منها بالنسبة للنموذج الاخير تتعلق بنقطتين : اولاهما: تتعلق ببعض الأغراب اللفظي الذي ظهر في الأبيات، والثانية تتعلق بالبيت الاخير منه (يخرجن ..) اذ رغم أن زهيراً وضعنا أمام منظر رائع الا انه قد وقع في خطأ علمي معروف ، فقد قال في بيته بان الضفادع تخرج من الماء خشية الغم والعرق ، والحقيقة ان الضفادع لا تؤثر عليها المياه بل وتستطيع العيش في الراكد منها غير هيباة من غم أو غرق ..

الأسلوب القصصي :

على ان ما يلفت النظر في شعر زهير الوصفي ، اسلوبه القصصي الذي نكاد نرى ملامحه في الغالبية العظمى من قصائده وبانسجام كلاسي بين ادوات التعبير التي تخلق جوا حركياً تتسلسل فيه الصور لتحقق ماهية الموضوعات .

● ففي معلقته يمكننا ان نعيش في جو من الأشرطة المصورة التي عرضها امامنا بشتى جزئياتها (منذ تذكّره ام اوفى ووقوفه

على آثارها .. و .. وحتى بلوغه الحكمه في نهايتها) مكوّن من ذلك قصة تحليلية تمتاز بأنها :

آ - مأخوذة من الواقع . ب - مطعّمة بأثر التجارب الاجتماعية البيئية ، والشخصية الذاتية .

ان قصائده عبارة عن قصص تقليدية تقريباً وتتألف كل واحدة منها (اذا جاز لنا ان نسميها قصة بالمعنى العام) من :

١ - مقدمة : من وقوف على الاطلال ووصف لمشاهد الارتحال .. وحتى الوصول للموضوع (اذا لم يدخل بالموضوع منذ المطلع - كما رأينا في قصائد الرثاء لدى الشاعر اوس بن حجر) .

٢ - عقدة أو شرح صلب الموضوع ومجرباته (الحرب ، الصيد)

٣ - خاتمة ، وتكون في اغلب الاحيان على شكل حكمة اللهم الا اذا اراد الشاعر ان تكون من نوع المديح .. وسواه .

● ولنعُد للمعلقة لنجد ان زهيراً بدأها بالغزل والوقوف على الاطلال : أمن أم أوفى .. ودار لها بالرقمتين ... وقفت بها من بعد عشرين حجة .. الا انعم صباحاً ايها الربع واسلم ..

ولكن ما نفع الديار وهي خالية من الحبيبة .. ?? اذن عليه اللحاق بها ووصف ارتحالها وهي راكبة على هودجها خطوة ، خطوة وبدون ان يدع شاردة ولا واردة الا واحصاها عليها وعلى من ارتحل معها :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن نحمّلن بالعلياء من فوق جرثم (١)
 علون بأنماط عتاق وكلائة وراد حواشيها مشاكهة الدم (٢)
 جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم (٣)
 ووركن في السوبان يعلون متنه عليهن دلّ الناعم المتنعّم (٤)
 فلما وردن الماء زرقا حمامة وضعن عصي الحاضر المتخيم (٥)
 وفيهنّ ملهى للصديق ومنظر انيق لعين الناظر المتوسّم
 وما أن يصل شاعرنا الى هذا الحد ، حتى يكون قد أنهى
 مقدمته ، لينثني بنا الى غرضه الأصلي من القصيدة مستغلاً اندفاع
 شعورنا معه ، واندماجنا في وصفه الموضوعي ذي الأسلوب
 القصصي :

سعى ساعياً غيظ بن مرة بعدما تبزّل مابين العشيّة بالدم (٦)
 فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم (٧)
 يميناً لنعم السيدات وجدتما على كلّ حال من سحيل ومبرم (٨)
 تدار كتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودفّقوا بينهم عطر منشم (٩)

١ - جرثم : ماء لبني أسد . ٢ - الانماط : جنط ، ما يفرش من الثياب ، الكنة :
 الستر وما يعرف بالناموسية ، وراد : ج ورد ، احمر ، مشاكهة : مشابة . ٣ - القنان :
 جبل لبني أسد ، الحزن أرض غليظة .

٤ - ورك : ركب أوراك الدواب ، السوبان : اسم واد ، المتن : المرتفع .

٥ - الجمام : ججة الماء : معظمه . ٦ - غيظ بن مرة : احد بطون ذبيان ،

٧ تبزّل : تشقق . - البيت : الكعبة المشرفة ، جرهم : قبيلة قديمة . ٨ - السحيل :

٩ - تفانوا : اشتركوا في الفناء فأفتوا بعضهم بعضاً ، منشم : اسم امرأة كانت
 تبيع العطر .

وقد قلنا: أن ندرك السلم واسعاً تال ومعروف من الأمر نسلم
فأصبحنا منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم^(١)

لقد أوضح في هذه الأبيات قسماً من الموضوع فيما زاءنا الا
ترقباً وتشوقاً لمعرفة البقية ، وبالتفصيل ، وكأنه بذلك يعلم أثر
التشويق في النفوس فاستعمله ، سواء بجوار أو بقسم ، أو بأية
وسيلة أخرى يمكن ان توصله الى الهدف الذي يريده . . . ويتابع
رسم الصور ليتمم الموضوع ، فاذا به يضعنا في الحرب التي حصلت ؛
والتي صورها أحسن تصوير - كما أوضحنا فيما سبق - مستعملاً الوسائل
العقلانية من ربط للمقدمات بالنتائج ، بالإضافة لجميع الوسائل
التعبيرية الأخرى . . . (وما الحرب الا ما عرفتَم وذقَم . . .)
وحتى (فتغلل لكم ما لاتغلل لأهلها . . .) . . .

وما أن نصل الى الرمق الاخير من جراء اشتراكنا في الحرب
التي صورها ، حتى يكمل الصورة الرئيسية لموضوعه بوصفه مافعله
حصين بن ضمضم من محاولة لنقض الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان :

لعمرى لنعم الحيّ جرّ عليهم بما لا يؤاتهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشعا على مستكنة فلا هو ابداهها ولم يتقدم^(٢)

١ - العقوق : قطيعة الرحم. ٢ - طوى كشعاً : أخفى ، المستكنة : العزبة المعقودة .

موقال: سأقضي حاجتي ثم أنثقي عدوي بألف من ورائي ملجـم
فشد، ولم يفرغ بيوتاً كثيرة لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم^(١)
جريء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعاً وإن لا يبد بالظلم يظلم

وبعد ان وصل زهير الى هذا الحد ، نشعر انه قد استوفى
جزئيات القصة الرئيسية المتمثلة بالمقدمة و صلب الموضوع ولم
يبق عليه الا ايراد النهاية . . فاذا به يقدم العبرة والنصيحة بحكم
رائعة ، خلده أبـد الدهر وجعلت الكثيرين يلقبونه بشاعر الحكماء
وزعيم انصار السلم في العصر الجاهلي ، مما سنوضحه في باب
الحكمة .

وقبل ان نتقل الى استعراض نماذجه الوصفية القصصية الاخرى
المنبثقة في بقية قصائده ، لا بد لنا من القول ، بأن وصف زهير في
المعلقة قد بلغ أرفع المستويات من النواحي : الفكرية واللغوية
والعاطفية والفنية . . حتى انصبّت معظم شروح الباحثين على المعلقة
دون سواها ، مع ان في ديوان زهير قصائد اخرى لا تقل عنها
جودة من جميع النواحي كما سنلاحظ في النموذج التالي الذي كان
الغرض منه مدح حصن بن حذيفة :

١ - المقذف : الغليظ اللحم .

● لقد بدأ كمادته بالغزل والوقوف على الاطلال كمقدمة لما

سيوضحه ، عند الوصول الى غرضه الاساسي :

صح القلب عن سامي وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله
وأقصرت عما تعلمين وسدّدت عليّ سوى قصد السبيل معادله (١)
وقال العذاري : إنما أنت عنما وكان الشباب كالخليط نزايله (٢)
فأصبحن ما يعرفن الا خليقتي والا سواد الرأس والشيب شامله

ما من شك بان هذه المقدمة تختلف عن مثيلتها الواردة بالمعلقة
ويتجلى ذلك في قوة الانفعال النفسي الذي بروز في تحسّر الشاعر
على ايام شبابه ، وكيف اصبح رأسه يشمل له الشيب ، فاضحى
غير مفضل ولا مرغوب فيه لدى النساء.

● وبعد هذه الوجبة من المقبلات ، يأتي شاعرنا على وصف الاطلال
والوديان والجبل والمطر والفرس ، ليمضنا بعدها امام أجمل شريط
مصور للصيد لعل أبرز مظاهره ، بعده عن التكلف وغزارة الألفاظ
الموسيقية الأخاذة التي سبق فيها كل الشعراء الذين أتوا على مثل هذا الوصف :
اذا ما غدونا نبتغي الصيد مرة متى نره فاننا لا نخاتله (٣)
فبينما نبتغي الصيد جاء غلامنا يدبُّ ويخفي شخصه ويضائله

١ - أقصر : كف عن اللهو ، المعادل : ج معدل ، كل ما عدل فيه عن القصد .

٢ - نزايله : نفارقه . ٣ - لا نخاتل الصيد : لا نسارقه ولا نكيدنه ولا نخدعه .

فقال : شياه راتعات بقفـرة بمستأسد القرىان حو مسايـله (١)
 ثلاث كأقواس السراء ومسجل قد اخضر من لس الغمير جحافلـه (٢)
 وقد خرّم الطراد عنه ججاشـه فلم تبقي الا نفسه وحلائـله (٣)

ان القاء نظرة سريعة على الابيات السابقة وخاصة عجز البيت
 الثاني (يدبّ ويخفي شخصه ويضائله) ترينا أية قوة وصفية دقيقة
 قد اودعها شاعرنا في هذه الأبيات حتى أتت على هذا النحو
 القصصي الذي نلمح من خلاله تركيزاً لفظياً ومعنوياً على
 الأبيات كافة .

● على ان جمال الصورة ووضوحها وجودتها لا يقف عند هذا الحد
 بل يستمر مع الاندفاع الوصفي المتتابع بصور يكمل بعضها بعضاً :
 فقال أميري : ماترى رأي مانرى أنختله عن نفسه أم نساوـله (٤)
 فبتنا عراة عند رأس جوادنا يزاولنا عن نفسه ونزاوـله (٥)

-
- ١ - الشياه : الأتـن الوحشية ، المستأسد : ما طال من النبت وقوي . القرىان :
 ج قري : مجرى الماء على الرياض . ٢ - السراء : شجر تتخذ منه القسي ، المسجل
 حمار الوحش ، لس : اخذ بـقدم الفـم ، الغمير : نبات اخضر مغمر بنبات آخر ،
 الجحافل : ج جفلة ، شفة الفرس والحمار . ٣ - الطراد : الصيادون ، خرما
 ججاشـه : أخذوها واحداً واحداً . ٤ - الامير : المؤامر والمستشار ، صاول :
 طارد . ٥ - عراة : ج عرواء الرعدة ، او ج عار : متجرد من ثيابه .

ونضربه حتى اطمأن قزاله ولم يطمئن قلبه وخصائله^(١)
وملجنا ما ان ينال قزاله ولا قدما الأرض الا انامله

وتتتابع الصور .. وتتلاحق .. وتتكامل .. وتظل الحركة
شغل زهير الشاغل .. انه يوزعها - كما اسلفنا - بحسب الحاجة
اليها ، دون اسراف ولا تقتير ، ووفق مقتضى الحال ...

ولا ينسى زهير العامل النفسي الذي يلعب الحوار ، الدور التأثيري
البارز فيه ، فاذا بنا نراه يودعه في المكان المناسب حتى يصبح وحدة
متكاملة عمادها التماسك التام بين جزئيات الصور و كليات الأفكار
العامية للموضوع .

● وهناك عامل آخر لا يغفله زهير في سبيل اكساب أبياته
الجودة واكسائها الحلة الجميلة ، وهو ابراز الانفعالات النفسية .

فلأياً بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوبك ظماء مفاصله^(٢)
وقلت له : سدد وأبصر طريقه وما هو فيه عن وصاتي شاغله
وقلت : تعلم ان للصيد غرة ، والا تضيّعها فانك قاتله^(٣)
● وما أن يصل زهير الى هذه النقطة من تعليم الوليد الصيد ، حتى

١ - قذاله : رأسه ، الخصائل : ج خصية ، كن الحمة في عصبه . ٢ - فلأياً بلأى :
بالجهد والعناء ، المحبوك : الشديد الخلق ، ظماء مفاصله : قليلة اللحم . ٣ - الغرة :
العفلة .

ينقلنا الى صورة أخرى مكملة ومطبقة لما أثاره وأبرزه في
الصورة الماضية :

فتبتّع آثار الشياه وليدنا كشؤبوب غيث يحفش الأكم وابله (١)
نظرت اليه نظرةً فرأيتَه على كل حال مرّة وهو حامله
فردّ علينا العير من دون الفه على رغمه يدمي نساہ وفائله (٢)
يثرن الحصى في وجهه وهو لاحق سراع تواليه صباب اوائله
ورحنا به ينضو الجياد عشية مخضبة ارساغه وعوامله (٣)
بذي ميعة لاموضع الرمح مسلم لبطء ولا ما خلف ذلك خاذله (٤)
وبهذه الصور ينهي زهير موضوعه الوصفي للصيد ، ليمبدأ في

الموضوع الاساسي الذي نظم القصيدة في سبيله وهو المدمح ، متابعاً
ذلك بنفس الروح القصصية التي بدأ فيها :

وأبيض فياض يبداه غمامة على معتقيه ما تغبّ فواضله (٥)
بكرت علي غدوة فرأيتَه قعوداً لديه بالصرير عواذله (٦)
يفدّينه طوراً وطوراً يلمنه وأعياناً يدرين أين مخاتله
فأقصرن منه عن كريم مرزاً عزوم على الامر الذي هو فاعله (٧)

-
- ١ -- يشفها السيل : يكثر عليها حتى يخرج ما فيها ، الشؤبوب : الدفعة من المطر .
٢ - التوالي : الارجل والعجز ، الاوائل . اليدان والصدر . ٣ - ينضو الجياد :
ينسلخ عنها ويتقدمها ، العوامل : القوائم . ٤ - الميعة : الدفعة من السير ، موضع
الرمح : كاتبة الفرس . ٥ - المعتفي : طالب العطاء ، ما تغب : ما تنقطع . ٦ - الصريم
ج صرية ، رملة منقطعة عن معظم الرمل ، المواذل : اللوم . ٧ - المرزأ : المصاب .
بجالة كثيرأ .

أخي ثقة لا تتلف الحُر ماله ولكنّه قد يهلك المال نائله.
تراه إذا ماجئته مهتلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله.

وقبل أن نذكر الخصائص المشتركة لأسلوبه القصصي ، لابد
لنا من إيراد بعض الأبيات المنتقاة ذات الأسلوب القصصي :

قال في معرض مدحه لهزم بن سنان والحارث بن عوف .
إذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم طوال الرماح لضعاف ولا عزل^(١)
نجيلٍ عليها جنةٌ عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا^(٢)
وقال في معرض هجائه لآل حصن بن عليم بن كلب بعد أن
زعم رجل من قومه أغارهم عليه :

وجار سار معتبداً اليكم أجاؤه المخافة والرجاء^(٣)
فجاور مكرماً حتى إذا ما دعاه الصيف وانقطع الشتاء
ضمنتم ماله وغداً جميعاً عليكم نقصه وله النماء

وقال في معرض معاتبة زوجته أم كعب عندما أعرض
عن زيارتها :

وقالت أمّ كعب : لا تزونا فلا والله ما لك من مزار

١ - فزعوا : طلبت معونتهم ، عزل : ج أعزل ، الذي لا سلاح معه .

٢ - جنة : ج جن ، عبقر : موضع كثير الجن . ٣ - أجاؤه : صيرته .

«رأيتك عبتني وصددت عني فكيف رأيت عرضي واصطباري
فلم أفسد بنيك ولم أقرب اليك من الملمات الكبار

وقال يصف بلدة مهجورة :

«وبلدة لاترام خائفة زوراء مغبرة جوانبها^(١)
تسمع للجن عازفين بها تضبح من رهبة ثعالبها^(٢)
يصعد من خوفها الفؤاد ولا يرقد بعض الرقاد صاحبها



١ - زوراء : ليس طريقها بمستقيم ٢٠ - ضبح : صاح .

الخصائص المشتركة للأسلوب القصصي

قد نفتقد في شعر زهير مرتكزات وأسس القصة الحديثة (من أبعاد وأمور جذرية أخرى) ، ولكننا بلا شك نجد عنده ملامح قصصية بدائية ، سواء في الأسلوب ، أو في محاولة التحليل الموضوعي (التي لا يعيبها خلوها من العمق ، وجنوحها الى السطحية والبساطة ، لأن الفن القصصي يختلف عن الفن الشعري) تقودنا للاعجاب بما قدّمه من شعر جيّد وناجح ، لان شاعراً عاش في بيئة جاهلية وقدّم هذا العطاء الجميل ، يستحق التقدير والاعجاب بهذه الموهبة ، لانه ربما لو أتيح له ما يتاح لقصاصينا الآن ، لكان شعره القصصي أروع وأعمق ، ولازداد الاعجاب به وأصبح علماً من أعلامه المعدادين .

وفيا يلي الخصائص المشتركة لوصفه القصصي :

١ - تصوير الافكار وتقديمها بلوحات جميلة تؤدي الغرض

المطلوب منها دون تعقيد ولا تكلف (وصف الصيد) .

٢ - استعمال الالفاظ السهلة الواضحة والتراكيب المتينة المتجانسة مع تلك الالفاظ والمتأسكة مع أوزان الأبيات وقوافيها .

٣ - العناية بالاخراج العام للقصيدة بفضل : أ - الحوار الذي تردد في اكثر من قسم من قصائده فخدم عملية تتابع الصور ، وربط بين الافكار والتراكيب . ب - الحركة : التي برزت جلية في المعلقة (وصف الحرب ووصف العراك) . ج - أسلوب الترقب : اذا ما غدونا .. فيينا نبغي .. د - تتابع الصور بتتابع عرض الافكار : مشاهد الارتحال ، الحرب ؛ الصيد وتصرفات الاطراف الذين اشتركوا فيه (من انسان وحيوان) .

٤ - الاعتماد على التشابه والاستعارات ووضعها بما تتوافق معه من اماكن ، بدقة ودون اسراف ولا تقتير ، وبشكل يلائم المواقف الموضوعة للتعبير عنها .

٥ - تجسيد الصور وتقريبها للواقع المستقاة منه ، حتى ليحسب المرء نفسه في الحرب التي صورها أو في الغبار الذي ثار ابان العراك بين الثور الوحشي وصائديه .

الخصائص العامة لوصف

بعد ان استرسلنا بأسهاب في ذكر موصوفات زهير نرى من الضروري استخلاص الخصائص العامة التي لاحظناها اثناء عرضنا مجملة في البنود التالية :

١ - التوفيق في تصوير المعاني ، وتجسيدها بالأخذ من الواقع والاستمداد من الخيال .

٢ - النجاح في طريقة عرض المواضيع ، وخاصة عند استعمال الوسائل العقلانية المحضة (ربط المقدمات بالنتائج ، تسلسل ايراد الافكار) في سبيل توضيح الافكار والمعاني بما يتلاءم مع واقع الموصوف .

٣ - الملاءمة والتعاطف الكلي بين المواضيع من جهة ، والالفاظ والجل والتراكيب المكونة لها من جهة أخرى ، مع وجود الاغراب اللغوي الذي ربما ورد نتيجة للبيئة القبلية التي كانت كانت تفرض على الشاعر ايراد بعض الالفاظ والتراكيب التي تعرف

عليها في ذلك الحين ، وأصبحت الآن غريبة ومستكرهة على السمع .

٤ - شيوع المادية في الألفاظ والتعابير ، كنتيجة طبيعية لاستمداد الشاعر عناصر قصائده من بيئته من جهة ، ولدقة ملاحظته ، وصدقه الموضوعي والعاطفي من جهة أخرى .

٥ - الدقة في الملاحظة ، والتوفيق الكامل في شمول واحاطة الموصوفات والتعبير عنها ، بالاسهاب حيناً ، وبالايجاز أحياناً ، وبشكل استطاع فيه ايراد صور مسجلة بدقة وواقعية .

٦ - البراعة في ايراد الفنون البلاغية ، كالتشبيه والاستعارات والكنايات والطباق والجناس والمرادفات والمقابلات والالتفاتات .. ووضعها مع ما تتناسب وإياه من مواضع ، دون غلو أو تكلف أو سوء استعمال .

٧ - شيوع الأسلوب القصصي ، المتجسّي بكثرة الصور واللوحات الملونة المؤثرة بدقتها في غالبية قصائده وبشكل يعتد المرء أنه أمام شريط مصوّر .

٨ - استعمال الكثير من المؤثرات التي تؤدي لتجسيد الموصوف وتقريبه من الأذهان ، كاللجوء لذكر الجزئيات ، وذكر الزمان والمكان ، بالإضافة لتصوير المعاناة النفسية ، والانفعالات العاطفية في المواضيع التي تتطلب ذلك ، مع استخدام عنصر التشويق والترغيب وخاصة في الأسلوب القصصي .

٩ - الاعتماد على عنصري الحركة والهدوء وتدرجها وفقاً لطبيعة الموصوف ، لتقريبه من الاذهان ووضعه في اطاره العام .

١٠ - الصدق في التعبير المتمزج بالعاطفة الانسيابية في سائر المواضيع الوصفية تقريباً ، وبشكل لا يدع مجالاً لأي تكلف أو تزويق ، خاصة وان هذه المواضيع تغلب عليها السمات التعبيرية ، التي لاتساهم فيها العاطفة بشكل مباشر . أي أن شاعرنا وقد جسد عن طريق موصوفاته بعض المواضيع الحماسة ، كالحرب مثلاً، كان لابد لعاطفته ان تلعب دورها بشكل بارز وفعال لتعطي للموصوفات رونقها الخاص .



المديح

أهميته :

بعد أن سلطنا الضوء على وصف زهير الذي انبث في أكثر قصائده وكأنه القاسم المشترك الأعظم بين أقسامها ، يمكننا اعتبار المديح من أهم الأغراض الشعرية الأخرى التي نظم فيها ، وذلك للأسباب التالية :

آ - غزارة القصائد التي نظمها فيه .

ب - وضوح صفات الشاعر الذاتية في قصائده .

ج - اهتمام الأدباء والنقاد بقصائده (المدحيه) وتقديدها على أماديح الشعراء الآخرين ، مع الاكثار من الاستشهاد بها في أمهات الكتب الأدبية منذ القديم وحتى الآن .

د - البعد عن التكلف ، أو التكبُّب ، مع التزام الصدق فيها ،
حتى قال عنه الخليفة الذواقفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه :
لا يمدح الرجل الا بما فيه ..

بواعثه :

في أواخر العصر الجاهلي ، عصفت بالمجتمع العربي رياح الغزوات
والثارات والحروب ، كان آخرها حرب داحس والغبراء التي اتصلت
حوادثها ، حتى كادت تؤدي بالقبائل المشتركة فيها الى الانقراض ،
لولا قيام بعض وجوه وسادات العرب (كهرم بن سنان والحارث بن
عوف) بالدعوة لاحتلال السلم بين القبائل ودفع ديّات القتلى .

وقد كان زهير يعيش في تلك الحقبة من الزمن ، فرأى أهوال
تلك الحروب وتشبّع مآسيها ، وما جرّته على مجتمعه من ويلات
ثم شهد أولئك الاشخاص الداعين للسلام والاخاء ، وقد ضحّوا
بأموالهم في سبيل حقن الدماء وبعث الطمأنينة في نفوس أبناء المجتمع
فما كان منه وهو ابن مجتمعه الذي يؤذيه من يؤذيه ، ويسعده من
يفتيده ، الا أن أثنى بقصائد مدحية كثيرة على أولئك الاشخاص ،
فخلدتهم وخلدت أعمالهم وكل عمل خير الى الأبد .

وبالاضافة لذلك الباعث الذي اوضحناه ، يمكننا اجمال البواعث

الرئيسية لمدح زهير في :

- ١ - اعجابه بما قام به بمدوحوه من دعوة لاحتلال السلام والاختاء مع تحقيقهم ذلك بدفع ديئات القتلى من القبائل المتحاربة .
- ٢ - التقاؤه الفكري والوجداني مع بمدوحيه الداعين للسلام كنتيجة حتمية لكرهه للحروب وتواصل الافكار السامية الانسانية لديه .



المقومات الرئيسية للمدح

من المجمع عليه ، أنه ليكون المدح ناجحاً ، لا بد أن تتوفر فيه المقومات الأساسية التالية :

١ - ذكر الصفات الأساسية المتفق عليها للمدوح ، من عقل وشجاعة وعدل وعفة وكافة ما يتفرع عنها مما هو محبب لدى المدوح والبيئة التي يعيش فيها .

ب - التركيز على الصفات الأساسية للمدوح ، باختصار حيناً وبالشرح أحياناً ، مع ضرورة البأس كل منها الحلة الملائمة ، شكلاً وموضوعاً لتحقيق التكامل والتعاطف سواء من حيث الالفاظ ، أو من حيث المعاني .

ج - الصدق في العاطفة المدحية الذي لا يمكن توفره الا اذا كان المدوح قد أتى من الأفعال الحميدة ما أثار إعجاب الشاعر وكهرب عواطفه الشعرية ، فأصبح الاثنان في ارتباط عاطفي واحد

الا أثر فيه للزيف أو الرياء أو التملق .
وفي الابيات المدحية التي سنورها ، سوف نحكم ما اذا كانت
شاعرنا زهير قد استطاع تحقيق هذه المقومات في أماديجه أم لا .

الاشخاص الذين مدحهم :

مدح زهير أشخاصاً عديدين لعل أشهرهم : هرم بن سنان الذي
وقف عليه وأهله جل اماديجه ، ثم الحرث بن عوف وحصن بن
حذيفة ، وسنان بن حارثة المري .

مدحه لهرم بن سنان وأهله :

ان أكثر قصائد زهير المدحية وأجودها تلك التي نظمها في هرم
بن سنان الذي كانت له من الصفات والسجاي ما حُبَّبه به ،
وجعله يعجب بأفعاله وخاصة أثر سعيه للصلح بين عبس وذبيان
ثم دفعه مع الحرث بن عوف ديات قتلى حرب داحس والغبراء . .
وقد روي أن هرمًا أقسم ألا يبلغه مديح زهير الا وصله بما اخجل
شاعرنا فكان اذا لمحه في مجلس قال : « عموا صباحاً غير هرم ،
وخيركم استثنيت » .

وفي السطور التالية سنعالج أبياتاً من قصائد قصرها على مدح
هرم بن سنان وأهله ، لنقوم فيما بعد بمعالجة ابيات مدحية من
قصيدتين (احدهما المعلقة) قالهما زهير في مدح هرم بن سنان

والحرث بن عوف بعد ان قاما بدفع ديات قتلى حرب داحس والغبراء اثر اقرار الصلح بين القبائل المتقاتلة لتكون الخاتمة قصيدة خصّها حصن بن حذيفة :

دع ذا وعدّ القول في هرمٍ خير البداءة ، وسيّد الحضر
 تالله قد علمت سرّاة بني ذبيان ، عام الحبس والاصر^(١)
 ان نعم معترك الجياع اذا خبّ السفير وسابىء الحمر^(٢)
 ولنعم مأوى القوم قد علموا ان عضهم جلّ من الأمر
 ولنعم حشو الدرع أنت اذا دعيت نزال ، وليجّ في الذعر^(٣)
 حامي الذمار على محافظة الجلى ، أمين مغيب الصدر^(٤)
 حذباً على المولى الضريك اذا نابت عليه نواب الدهر^(٥)
 ومرهق النيران يحمّد في الأواء ، غير ملعنّ القدر^(٦)
 واذا برزت له برزت الى ضافي الخليقة ، طيبّ الخبر
 متصرف للمجد معترف للنائبات ، يراح للذكر^(٧)

١ - الحبس : جمع المواشي خشية الاغارة عليها ، الأصر : الضيق وسوء الحال .
 ٢ - معترك الجياع : مجتمهم ، خب : سار سريعاً من الحب ، السفير : الورق الساقط تذروه الرياح (للدلالة على مجيء الشتاء وقلة المرعى) ، سابىء الحمر : مشترها . ٣ - حشو الدرع : لابس الدرع ، دعيت نزال : اشتدت الحرب ودعا كل قرن قرنه للنزال . ٤ - الجلى : النائبة الشديدة (اراد بها جماعة العشيرة) .
 ٥ - حذب : مشفق ، الضريك : المتضرر من الفقر وسواه . ٦ - مرهق النيران : الذي تقصد ناره ويحاط بها ، الأواء : شدة الزمان . ٧ - معترف : صابر .

جلد بحث على الجميع اذا كره الظنون جوامع الامر
فلأنت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري (١)
ولأنت اشجع حين تتجه الأبطال من ليث أبي أجري (٢)
اثني عليك بما علمت وما اسلفت في النجدات والذكر (٣)
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المعمور ليلة البدر

اما القصيدة الثانية التي مدح فيها هو ما أفنقطف منها هذه الايات :

الى هرم تهجيرها ووسيجها تروح من الليل التمام وتغتدي (٤)
سواء عليه أي حين أتته أساة نحس تتقى أم بأسعد
ليس بضراب الكمأة بسيفه وفكتاك أغلال الأسير المقيّد
وثقل على الاعداء لا يضعونه وحمال اثقال ومأوى المطرّد
ليس بفيّاض يداه غمامة ثمال اليتامى في السنين محمد (٥)
تقي ، نقي ، لم يكثر غنيمه بنهكة ذي قربى ولا بجقلد (٦)

اما القصيدة الثالثة فقد خصها بهرم واهله وفيما يلي الأبيات

التي اخترناها منها :

١ - تفرى : تقطع ، خلق الجلد : هياؤه وقدره . ٢ - أجري : ج جرو ، ولد
الأسد . ٣ - النجدات : ج نجدة ، الشدة والبأس . ٤ - التهجير : السير في الهاجرة ،
الوسيج : نوع من السير السريع ، التام : اطول اوقات الليل . ٥ - ثمال اليتامى
مضعهم . ٦ - النهكة : النقص والاضرار ، الحقلد : البخيل السيء الخلق .

يطلب شأو امرأين قدما حسنا نالا الملوكة ، وبزاً هذه السوقاً (١)
هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه ، فمثله لحقاً (٢)
أغر ، أبيض ، فياض يفكك عن أيدي العناة وعن أعناقها الربقة (٣)
وذاك أحزمهم رأياً اذا نبأ من الحوادث غادى الناس أو طرقت (٤)
ان تلق يوماً على علاته هرما تلق السباحة ، منه والندی خلقاً (٥)
وليس مانع ذي قربي وذو رحم يوماً ، ولا معد ما من خابط ورقاً (٦)
ليث بمشتر يصطاد الرجال اذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقاً (٧)
هذا ؛ وليس كمن يعيا بخطته وسط الندي اذا ما ناطق نطقاً (٨)
لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء ، لنالت كفه الأفقاً

لقد حرصنا على ايراد هذه الامثلة الثلاثة لقصائد زهير المدحية
في هرم واهله ، لنبيين الغزارة التي كان عليها شعر زهير في مدح
هذا السيد الكريم ، الذي اصبح مضرب المثل بكرمه وجوده
وحسن اخلاقه وصنيعه ، لا في زمانه فحسب وانما بعد ذلك ، حتى
ان الخليفة عمر بن الخطاب (ر) قال لأحد أولاده هرم : أنشدني

١ - الشأو : الغاية ، بزاً : غصا ، السوق : ج السوقة ، اوساط الناس .

٢ - التكاليف : الجد والمشتة .

٣ - العناة : ج العاني ، الاسير ، الدليل ، الربق : ج الربقة : حبل طويل ،
فيه حلق (للدلالة على الاغلال) . ٤ - غادى : اتى في العداة ، طرقت : جاء في
الليل . ٥ - على علاته : على قلة ماله . ٦ - المعدم : المانع ، الخابط : طالب المعروف
الورق : المعروف . ٧ - عثر : اسم موضع . ٨ - الندي : مجلس القوم .

بعض مدح زهير لأبيك ، فأنشده ، فقال عمر : ان كان ليحسن فيكم القول ، قال : ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء ، فقال عمر : قد ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم . وقال عمرو لابن زهير : ما فعلت الحلل التي كساها هرم اباك ؟ قال : ابلاها الدهر ، قال : لكن الحلل التي كساها ابوك هرما لم يبلها الدهر .

والآن حسبنا ما عرفناه عن صلة هرم بزهير وقيمة اشعاره التي قالها فيه . . ولنستعرض ماهية هذه الاشعار :

الملاحظة الاولى التي تلفت نظرنا ، ان زهيراً قد ملأ غناذجه بكثير من الصفات الحميدة والمحبة لكل نفس ، فمدوحه هرم ، احسن الناس (خير البداة وسيد الحضرة) وكيف لا وهو الذي عرف عند النابيات بتفريج ضيق قومه عند العسر ، وعظم شجاعته عند الحرب ومحافظته على قومه ، وكنتم ما يعرف من اسرارهم . . لا يرد سائلاً ان قصده ، ويفتح بيته للقري . . يجب فعل الخير ويحث عليه في كل مجلس ، يزينه العقل ، ولا يأتيه الباطل من أي جانب . . وبالاختصار فالثناء عليه ليس ضرباً من التماق ولكنه الحقيقة الناصعة التي يجب الجهر بها .

● أثنى عليك بما علمت وما أسلفت في النجيدات والذكر

- تقى نقيّ لم يكثّر غنيمةً بنهكة ذي قربى ولا بجلد.
- لو نال حي من الدنيا بمنزلة أفق السماء لنالت كفه الأفقا

اما الملاحظة الثانية فهي ان أفكاره ومعانيه واضحة ، ولكنها ليست بمستوى واحد ، اذ نلمح المقطوعتين الثانية والثالثة اوضح. وأقرب الى الفهم من الأولى ، الا انها جميعاً تمتاز بصدق العاطفة. وتدفعها ، وهذا ليس بغريب ، باعتبار ان الممدوح يمتاز بكل تلك الصفات التي أوردتها الشاعر .

اما الملاحظة الثالثة فتتعلق بماهية الأفكار :

١ - على الرغم من وضوحها وصدقها ، فاننا نجد لها غير جديدة ، بل هي مطروقة ومعروفة ، ولطالما اوردتها الشعراء الآخرون اللهم الا بعض الابيات الجديدة المبتكرة في شكلها :

- لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر
- لو نال حي من الدنيا بمنزلة أفق السماء لنالت كفه الأفقا

٢ - ورغم ما عرف عن زهير من حسن ايراد الأفكار وعرضها متسلسلة ، الا اننا نراه هنا أثناء عرض الصفات الخاصة بممدوحه. يخل بهذا المبدأ ، فبعد ان يعرض الصفة ويستقصي جوانبها بيت أو

جاءيات (لدرجة اقتناعنا بأنه وفاءها حقاً) اذ به بعد ايراده عدة صور
أخرى لافكار أخرى يعود الى الاولى من جديد مثال : ولنعم حشو
الدرع . . ولأنت اشجع . . وذلك احزمهم رأياً . . وليس كمن
يعيا بخطته . . .

٣ - وكما لم يوفق زهير في ايراد افكاره متسلسلة ، فانه ايضاً
فشل في اكثر قصائده بربط افكاره بعضها ببعض ، وهذا في اعتقادنا
ناتج عن السبب السابق (عدم تسلسل الافكار) .

٤ - على انه وان لم ينجح في ايراد افكاره متسلسلة ، بالاضافة لعدم
ترابطها ، الا انه وفق في عرضها ، فاذا به يستند الى العقلانية التي
تدعمها الأدلة والبراهين ، فعندما يبدأ المديح :

دع ذا وعدّ القول في هرم خير البداة وسيد الحضر

نراه قد وضع ما يمكن تسميته بمبدأ عام عن ممدوحه وهو (خير
البداة ، وسيد الحضر) ثم اردفه بيت آخر فيه البرهنة عليه :

تالله قد علمت سراة بني ذبيان عام الحبس والاصر

أي أن ممدوحه معروف لدى الجميع بأنه خير البداة ؛ لانه عند الشدة
(نعم معترك الجياع . . نعم حشو الدرع . . حامى الذمار . . مرهق
النيران . . متصرف للمجد . . يفري ما خلق . . أي أن شاعرنا لم يعتمد
على ما يثير العاطفة ، وانما اورد المبدأ ، ثم برهن عليه بالأدلة الواقعية

الملوّنة دون تعمد لاثارة القارئ أو التأثير على وجدانه .

أما الملاحظة الرابعة فتتعلق بالألفاظ والجمل والتراكيب :

آ - فالألفاظ التي أوردتها في النماذج الثلاثة بعضها سهلة قريبة للفهم والقلب ، وبعضها لا يمكن فهمها إلا بصعوبة مثال (المولى الضريك اللأواء ، حقلّد ، خابط . .) ولعل عذره في ذلك ، أنها كانت شائعة في عصره ، في حين لا تتلاءم مع عصرنا الحاضر . . مع الإشارة لفصاحة الغالبية العظمى منها رغم عدم جديّة بعضها وانعدام الشاعرية في بعضها الآخر .

ب - وعلى الرغم من أن بعض ألفاظ زهير وتراكيبه يصعب فهمها سريعاً ، إلا أن كثيراً من كلماته تمتاز بالموسيقية والايحاء (حامي الذمار . . خير البداية . . سيّد الحضر . . مرهّق النيران . . ضافي الخليقة . . ليلة البدر . . أبيض فيّاض يداه غمامة . . محمد . . تقي . . نقي . . الخ) ، بل هي كلّها شاعرية ، وقد أسهمت في إعطاء الموضوع المدحي الرونق الخاص والنكهة المحببة ، حتى أن ورودها زاد في تكامل الموضوع وبروز أبعاده الأساسية .

ج - وقد نجح زهير في إيراد جملة ، وتراكيبه ، فإذا هي متينة وقوية وتدل مباشرة على المعنى الذي وضعت للتعبير عنه .

أما الملاحظة الخامسة فتتعلق بتجسيد الأفكار ووضعها في خدمة الموضوع المدحي . . وقد أدى ذلك :

١ - باكتناره من الصور ، وعدم افراطه الزائد بالأخيلة ، مع ما عرف من غزالتها في أكثر قصائده الأخرى .

٢ - باستمداده من البيئة البدوية الملائمة للصفات المدحية التي كانت سائدة في المجتمع العربي في أواخر العصر الجاهلي .

أما الملاحظة السادسة : فتتعلق بالفنون البلاغية التي استخدمها في إبراز تصويراته ، والتي أكثر فيها من الكنايات ؛ (مغيب الصدر . . مرهق النيران . . ملعن القدر . . .) والاستعارات والتشابه والطباق (نابت عليه نواب الدهر . . أليس بفياض يده غمامة . . ؟؟) لنالت كفه الافقا . . البداة . . الحضر ، مرهق النيران . . ملعن القدر ، يفري . . لا يفري . . ، أنحس . . أسعد ، الخ . . وقد جاءت جميعها دون تكلف أو تعمد . . .

أما الملاحظة السابعة : فتتعلق بأسلوبه الذي استطاع بواسطته وبفضل أدائه الحسن ، اشاعة جو انسيابي ، بين أبيات النماذج الثلاثة ، اضافة للجوئه من أجل ذلك الى ضروب من التأثيرات :

آ - كاكثاره من صيغ المبالغة : ضرب . فكثاك . .
حمال . . فياض . . الخ . .

ب - وترديده كلمات معينة للتأكيد على المعنى كنعم . . وأنت . .
وفياض . . الخ . .

أما الملاحظة الأخيرة : فتتعلق بعاطفة شاعرنا التي لاحتاجة
بنا للتدليل على صدقها ووضوحها وتشبّع أبيات الناذج بحوارتها ،
والتي ساهمت مع شاعريه أكثر الالفاظ والجمل والتراكيب ، وجمال
الصور ، في تكوين الصور المجسّدة لشخص الممدوح ، وبما يؤكد
ذلك قول الخليفة الذوّاقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه : لا يمدح
الرجل الا بما فيه . .

مدحه لهرم والحوث بن عوف :

بعد أن استعرضنا نماذج زهير التي نظمها في مدح هرم بن سنان
وأهله ، نجد أن الوقت قد حان للقيام باستعراض سريع لمدحه هرم
بن سنان والحوث بن عوف وحسن بن حذيفة: مبتدئين بمدح الأولين
بنموذجين أولاهما من المعلقة :

- يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم ★
تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما: ان ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من الامر نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن بعيدن فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
فأصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتي من إفال المزنم

أما النموذج الثاني فننقطفه من قصيدته المدحية الطويلة التي
مطالعها :

- صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلم
واقفر من سلمى التعانيق فالثقل
والتي اتبع فيها تارة أسلوب مخاطبة بمدوحه مباشرة وطوراً
الكلام عنهم وعن أفعالهم وصفاتهم كقوله :
● تداركتما الاحلاف قد ثلّ عرشها
وذبيان قد زالت بأقدامها النعل
● فأصبحتما منها على خير موطن
سبيلكما فيه ، وان أحزنوا سهل

★ جميع كلمات هذا النموذج مشروحة في صفحة « ١٩٥ و ١٩٦ » .

● اذا السنة الشهباء في الناس أججفت

ونال كرام المال في الجحرة الاكل^(١)

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم

قطيناً بها حتى اذا نبت البقل^(٢)

هنالك أن يستخبوا المال يخبلوا وان يسألوا يعطوا، وان ييسروا يغفلوا^(٣)

وفيهم مقامات حسان وجوهم وأندية ينتابها القول والفعل^(٤)

على مكثريهم رزق من يعترهم وعند المقلتين السماحة والبذل

سعى بعدهم قوم لكي يدر كورهم فلم يفعلوا، ولم يليموا ولم يألوا^(٥)

فمايك من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل

انما ناهج في هذين النموذجين، اكثر الافكار والمعاني التي وجدناها

في النماذج الثلاثة التي استعرضناها (باستثناء ما يتعلق بالمناسبة

وبعض الاحاح على احسان الممدوحين بسعيهما للصلح بين عبس وذبيان)

مع تغير ملحوظ في شكليات الحلل التي كسي بها الممدوحان

فالكرم والشجاعة والنجدة والفضل والعقل والحلم والى آخر ما هنالك

١ - الشهباء: الشديدة (لونها أشهب من كثرة الصقيع وانعدام النبات) ، الجحرة

الشديدة البرد التي تحجر الناس في بيوتهم .

١ القطين : الرجل وحشمه . ٢ - الاستخبال : استعارة الابل للاستفادة من

البانها وأوبارها . ٣ - المقامات : المجالس « للدلالة على اهلها » . ٤ - لم يليموا ،

لم يقوموا بما يلامون عليه ، لم يألوا : لم يقصروا في السعي .

من الصفات المحبة لكل نفس . ، تمتلئ بها الأبيات ، لذلك لا ضرورة
لتكرار ما سبق وأوضحناه في ملاحظتنا الثمانية ، اللهم الا من التنويه
الى : ١ - الوضوح والشفافية في الالفاظ والمعاني . ٢ - النجاح (نسبيا)
في عرض الافكار وتسلسلها . ٣ - التجديد والابتكار لحد الابداع
في بعض الابيات أمثال :

على مكثريهم رزق من يعتر بهم وعند المقلين الساحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ، ولم يليموا ؛ ولم يألوا
فما يك من خير اتوه فانما توارثه ، آباء ، آبائهم قبل
٤ - الاسلوب القصصي الذي استغله في تحريك جوار القصيدة وتقريبها
للاذهان : اذا السنة الشبهاء . رأيت ذوي الحاجات ... سعى بعدهم ...
٥ - اللجوء للحوار في سبيل التأثير :

وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الامر نسلم
كنا نود الاكتفاء بالنماذج المدحية التي استعرضناها بمناسبة مدح
زهير لهرم وأهله والحرث بن عوف ، الا انه تلفت نظرنا قصيدة
مدحية لعلها أروع ما قال زهير من مديح ونعني بها تلك التي نظمها
في حصن بن حذيفة والتي مطلعها :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعريّ أفراس الصبا ورواحله
لذلك سنستعرضها بسرعة لنخلص الى ذكر الخصائص العامة للمديح :

وَأَبْيَضُ فَيَاضٌ يَدَاهُ غَمَامُهُ عَلَى مَعْتَقِيهِ مَا تَعَبَ فَوَاضِلُهُ
بَكَرَتْ عَلَيْهِ غَدُودَةُ فَرَائِثِهِ قَعُوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
يَفْدِينُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمُنُهُ وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِي أَيْنَ مَخَاتِلُهُ
فَأَقْصَرْنَ مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مَرْزَا عَزُومَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ
أَخِي ثَقَّةٌ لَا تَتَلَفُ الْحُمُرُ مَا لَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلَّلَا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
أَنهَا تَحْكِي بِصُورٍ مَتَلَحِّقَةً عَنِ الْكُورِ بِأَجَلِي مَعَانِيهِ ، وَبِأَسْلُوبِ
قَصْصِي لَعِبِ الْخَيَالِ فِيهِ الدُّورُ الْكَبِيرُ ...

وَيَتَابَعُ زَهِيرٌ عَرْضَ الصِّفَاتِ الْمَدْحِيَةِ بِأَسْلُوبِ تَحْلِيلِ الْمُنْطَقِيَّةِ
وَتَلْعَبُ فِيهِ الْمُؤَثَّرَاتُ كَالْتَفَاتٍ وَالتَّضَادُّ ، الدُّورُ التَّمْبِيرِيُّ الْكَبِيرُ :

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلَتُهُ بِنَالٍ ، وَمَا يَدْرِي بِأَرْكَ وَاصِلِهِ
وَذِي نِعْمَةٍ تَمَتَّتَهَا وَشَكَرَتَهَا وَخَصِمٍ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلِهِ
رَفَعَتْ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ صَائِبَ إِذَا مَا أَضَلَّ النَّاطِقِينَ مَفَاصِلِهِ
وَذِي خُطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ ، فَلَمْ يَلْمَمْ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ (١)
عَبَاتُ لَهُ حَامِئاً ، وَاکْرَمَتْ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلِهِ
حَذِيفَةُ يَنْمِيهِ ، وَبَدَرَ كَلَامُهَا إِلَى بَاذِخٍ يَعْلُو عَلَى مَنْ يَطَاوِلُهُ (٢)
وَمِنْ مِثْلِ حَصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلِهِ لَانْكَارٍ ضِيمٍ ، أَوْ لِأَمْرِ يَحَاوِلُهُ
فِي الْوَاقِعِ لَيْسَ هُنَاكَ مَا نُوْرِدُهُ مِنْ مَلَاخِظَاتٍ بِصَدَدِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ

١ - الخطل : كثرة الكلام وخطؤه . ٢ - حذيفة : والد المددوح ، بدر : جده .

فهي ناجحة من جميع النواحي، الفكرية واللغوية والعاطفية والفنية الا
اننا نود القول بأن زهيراً قد ركز في قصيدته هذه على الصفات الحسنة
وأوردها متسلسلة ضمن عرض منطقي ناجح .

قد يعتقد البعض ، ان زهيراً بالغ في أماديحه (ومن هؤلاء ابن
سلام الجهمي الذي قال عنه في كتابه - طبقات فحول الشعراء - انه
اشدهم مبالغة في المدح ...) ولكن الحقيقة أن زهيراً اعجب
بمدوحيه فأفاض عليهم من الصفات الكريمة الشيء الكثير ، انما
بصدق لا زيف فيه ، باعتبار انه لم يعرف عنه التكسب بشعوره
ولو كان كذلك لما قال بصدق قسم هرم بن سنان ، بالألّا يبلغه مديح
زهير الاّ وصله ، عبارته الشهيرة التي كان يرددها كلما مر بمجلس فيه هرم
(عموا صباحا غير هوم ، وخيوكم استثنيت) ، ولما قال فيه الخليفة
الذوافة عمر بن الخطاب (ر) انه (كان لا يمدح الرجل الا بما فيه)
باعتبار أن عصر الخلفاء الراشدين كان أقرب الى العصر الجاهلي (عصر
زهير) من عصر ابن سلام ، وباعتبار أن اخبار الشاعر وشهرته
وما عرف عنه لم تنس أو تحرف لان وفاة الشاعر حصلت قبيل البعثة
النبوية بقليل ، وعصر الخلفاء الراشدين (عصر عمر) كما هو معلوم
خلف العصر النبوي ، اى أن الفارق الزمني بين عصر الشاعر وعصر عمر
كان من الضآلة بحيث لا يشك بتحريف قول الخليفة ، وبالتالي بما عرف
عن زهير من صدق وعدم تكسب .

الخصائص العامة لمدحه

بعد استعراضنا لعدد من قصائد زهير المدحية يحلو لنا استخلاص الخصائص العامة لمدحه التي يمكننا اجمالها في البنود التالية :

١ - التركيز التام على صفات ممدوحية وعرضها بشكل موضوعي في سبيل تجسيد المعاني العامة للأفكار المدحية .

٢ - الجزالة في الألفاظ ، والمتانة في الجمل والتركيب ، مع عدم خلوها تماماً من الغريب الذي ربما ورد بتأثير البيئة البدوية التي كان يعيش فيها الشاعر .

٣ - الإلحاح على المعاني النبيلة ، باللجوء الى تكرار كثير من الكلمات في اغلب القصائد المدحية (فيأض يداه غمامة) ..

٤ - إيراد الكثير من الصور والتعابير المبتكرة في سبيل تقريب صورة ممدوحه وتجسيدها :

• لو كنت من شيء سوى بشرٍ كنت المنور ليلة البدر

- لو نال حي من الدنيا بمكرمة افق السماء لثالت كفته الأفقا
- سعى بعدهم قوم لكي يدر كوهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
- أخى ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله
- تراه اذا ماجئته مهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

٥ - شيوع الهدوء الانسيابي بين أبيات قصائده المدحية اللهم
الا من بعض الهبات التي تقتضيها دقة التصوير المعاني المدحية كفعله
عند التعرض للشجاعة مثلاً .

٦ - الصدق في العاطفة ، وتعلفها بجزارة في شتى قصائده
كنتيجة حتمية لاجاب الشاعر بمدوحه .

٧ - اخلو من التكسب كنتيجة حتمية لصدق العاطفة
وحرارتها .

٨ - عدم التذلل في أماديحه بعكس النابغة الذبياني الذي وضع
نفسه بمنزلة العبد أمام سيده - كما سنرى - .

٩ - الاعتماد الكلي في تجسيد مدوحه على الصور المتلاحقة
الملونة التي استعمل في سبيل التوصل اليها ضروب البلاغة من تشابه
واستعارات وكنيات وطباق بحيث جاءت ملائمة للمواضيع المدحية التي
استخدمت من أجلها دون امراف ولا تكلف ولا تزويق .

١٠ - ظهور شخصية زهير الشعرية في جميع قصائده المدحية
بالإضافة لبروز المعاني النبيلة والصفات الحميدة التي يؤمن بها ويحبها
والتي أسبغها على ممدوحيه بقناعة تامة ، وبخلوّ ظاهر من الرياء الذي
يلجأ إليه أكثر الشعراء المادحين الذين كان همّهم الأوّل التكبّب
والحصول على الأعطيات ، وبذلك يصدق فيه قول الخليفة العظيم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه : لا يمدح الرجل إلا بما فيه . . .



الحكمة

ينفرد زهير بن أبي سلمى عن الشعراء الفحول في العصر الجاهلي ، بأنه أجاد وابتكر في الحكمة حتى استحق لقب الشاعر الحكيم .

والحكمة في قصائد زهير ، ليست الغرض الأصلي في القصيدة ، ولكنها غالباً ما ترد في نهايتها (بأبيات كاملة حيناً ، أو بأشطار أحياناً). لتعبّر عن وجهة نظر الشاعر ، أو ما استخلصه ، وما يريد من الآخرين تطبيقه في سبيل حياة أفضل ..

عوامل نشوئها وغزارتها :

لقد تضافرت عدة عوامل في نشوء وغزارة وجودة الحكمة في شعر زهير لعل أهمها :

١ - النضوج العقلي : الذي تميّز به ، وخاصة عندما أسنّ -

٢ - الأخلاق الشخصية : التي عرف بها .

٣ - التجارب الذاتية : التي مرّ بها .

٤ - المآسي الكثيرة التي رآها وعاش فصولها في مجتمعه المنحط
فكرياً والمضطرب اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً .

بواعثها :

عندما استعرضنا حياة زهير ذكرنا ان المجتمع العربي في أواخر
العصر الجاهلي كان يعيش تحت وطأة انحطاط فكري واقتصادي
وسياسي ، لذلك كان لابد لشاعرنا من انتقاد مجتمعه ومحاولة توجيهه
الى ما فيه رقيّه واستقراره ، فكان ان طلع عليه بسيل من الحكم
ضمن كثيراً منها معلقة التي نظمها بعد حرب (داحس والغبراء) ،
لذلك فالبواعث الرئيسية التي دفعت شاعرنا لايراد حكمه يمكن
تجسيدها بالنقطتين التاليتين :

١ تألّمه من انحطاط مجتمعه فكورياً ، وعدم استقراره
اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً .

٣ - رغبته الصادقة في رؤية أفراد مجتمعه يعيشون في
أحسن حال ، بعيدين عن المساوىء ، متمسكين بالحُصَال الحميدة ،
منتهجين كل ما من شأنه رفع سويّتهم الأخلاقية ، ليرقوا بالتالي فكورياً

واجتماعياً ، لتكون النتيجة استقرار مجتمعهم وازدهاره ورفقته .

ما هيئتها واشكالها

وحكمة زهير في حقيقتها ، تتمثل بصورتين ، احدهما عميقة (وهي التي تمثل الغالبية العظمى) والاخرى سطحية توهم فيها الحكمة من خلال بعض التعابير التي ربما كانت بعض الفاظها ذات اغراب لفظي ظاهر .

اما الاشكال التي وردت فيها فهي :

١ - الشكل ذو المدلول الديني والتعفيي . ٢ - الشكل ذو المدلول الارشادي ٣ - الشكل ذو المدلول التشريعي . ٤ - الشكل ذو المدلول الواقعي المعبر عنه بالامثلة . ٥ - الشكل ذو المدلولات الانسانية والاجتماعية والتأملية .

وقبل ان نبدأ باستعراض اشكال حكمة زهير ومراميها ، لابد لنا - كما فعلنا في الوصف والمديح - من استعراض المقومات الاساسية التي تقوم عليها ابيات الحكمة الجيدة والتي نجملها في النقاط التالية :

١ - اراد معاني الحكمة ومدلولاتها بأبسط الالفاظ واسهلها وأقوى التراكيب وافخمها واقربها لفهم ادنى الناس حظاً من الثقافة والتفكير .

٢ - الاعتماد على الوسائل العقلانية ، مع اللجوء بشكل محدود الى

الوسائل العاطفية المتكئة على الصور والاخلية .

٣ - الاستمداد الفكري، واللغوي من البيئة التي ستطرح الحكم،
على الساكنين فيها ليستطيعوا فهمها والاستجابة لما فيها من احياءات
تساعدهم على بلوغ المستوى الافضل .

٤ - البعد عن الحشو والثثرة اللغوية والفنون البلاغية التزويقية التي
تضر موضوع الحكمة اكثر من الباسه الحلل الجميلة ، باعتبارها لاتتلاءم
مع مدلولات الحكمة ولا تدعم الاغراض التي من اجلها قيلت .

٥ - الاعتماد على المؤثرات النفسية في كيفية عرض الحكمة :
وذلك باتباع وسائل الترهيب والترهيب ، والتقريب والتبسيط في
سبيل اقناع سامعيها ، لتهتز ضمائرهم تحت تأثيرها فيعملوا بتوجيهاتها .
وعلى العموم ، وكما سبق وذكرنا ، فان لكل شاعر طريقته في
التعبير عن افكاره وعرضها ، فلنر ما فعل زهير بحكمه ، وأية لمسات
سحرية ضمناها حتى اصبحت على كل شفة ولسان ، وعلى مرور الايام
والازمان .

الحكمة الدينية والتعففية

لقد كانت أخلاق زهير وتصرفاته في المجتمع ، المثال الحي للرجل
الفاضل حتى قال ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) : كان
زهير يـتـأله ويتعفف في شعره ، ويـبدل شعره على ايمانه
بالبعث كقوله :

● فلا تكتمنن الله ما في نفوسكم ليخفي ومهما يكتنم الله يعلم
 يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر اليوم الحساب أو يعجل فينقم
 وما يمكن اعتباره كمويد لذلك ، ما قاله زهير في قصيدة ذكر
 الاصمعي انها ليست له ولكن لصرمة بن أنس الانصاري :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الدهر أو يبدو لهم ما بدا لي
 بدا لي ان الناس تقنى نفوسهم واموالهم ، ولا أرى الدهر فانياً
 بدا لي ان الله حـق فزادني الى الحق تقوى الله ما قد بدا لي
 ألم تر ان الله أهلك تبعا وأهلك لقمان بن عاد وعاديا
 وأهلك ذا القرنين من قبل ماترى وفرعون اردى جنده والنجاشيا
 والظاهر من هذه الايات التي اخترناها من القصيدة انها ليست
 لزهير ، اذ يبدو فيها ذلك الاثر الديني القوي المستمد من القرآن
 الكريم ، اضافة لبعده القصيدة عن اسلوب زهير ، اللهم الا اذا
 اعتبرناه نصرانيا (على رأى الأب شيخو) أو عاش ردحا طويلا في
 ظل الاسلام !!..

كما تأيد اتجاه زهير في حكمه شطر الاتجاه الديني والتعففي
 بقوله :

● والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر
 ● اذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنأ أصبت حليما او اصابك جاهل

● والاثم من شر ما يصل به والبر كالغيث لقيته أمر (١)
 من كل هذه الأبيات يمكننا ان نستنتج بأن زهيراً قد وفق فيها
 من جميع النواحي : ١ - الفكرية ، وقد جاءت واضحة جليلة لا
 تلبس فيها ولا غموض ، بحيث نشعر أن زهيراً شخص مؤمن بالله واليوم
 الآخر ، وأنه مطلع على الكتب السماوية وعامل بمقتضاها ، وداع
 الآخرين للعمل بها . ٢ - اللغوية : بحيث أورد الفاظه وجملة وتركيبه
 على نحو من البساطة وقوة التعبير والانسجام مع الموضوع الذي
 وضعت للتعبير عنه . ٣ - العاطفية : بحيث يدخل في روعنا ان زهيراً
 مؤمن شديد الايمان بالله . ٤ - الفنية : وقد كان حسن التعبير ، متين
 الأسلوب ، نلمح من خلال أبياته التقى والورع دون الاعتماد او
 الاستعانة بالفنون البيانية الا قليلا .

الحكمة الارشادية

وقد تضمنت أشعار زهير كثيراً من الارشادات التي حرص فيها
 على اتباع لهجة حازمة في كثير من الاحايين للتدليل على ايمانه بما
 يطلب من الآخرين العمل به وحثهم على التنفيذ :

● ولا تكثر على ذي الضغن عتياً ولا ذكر التجرم للذنوب (٢)
 ولا تسأله عما سوف يبدي ولا عن عيبه لك بالمغيب

١ - أمر : كثير يزداد به . ٢ - الضغن : الحقد .

متى تك في صديق أو عدو
 • فلو كان حمد يخلد الناس لم يمّت
 ولكن فيه باقيات وراثّة
 تزوّد الى يوم الممات فانه
 فلو كان حيّ ناجياً لوجدته
 ألم تر ان الناس تخلص بعدهم
 تخبّر ك الوجوه عن القلوب
 ولكن حمد الناس ليس يخلد
 فأورث بنيك بعضها وتزوّد
 ولو كرهته النفس آخر موعد
 من الموت في أحراسه ربّ مارء
 أحاديثهم ، والمرء ليس بخالد

ان هذه الحكم كسابقاتها ذات المدلول الديني والتعفي ، جيدة
 وقد اكسبتها الجدبة والاهجة الأمرة ، الرونق الخاص بها ، كما ان
 استعمال الاستفهام في سبيل التثبيت قد اعطى التأثير المطلوب وقرب
 الحكم من الاذهان .

الحكمة التشريعية :

ان رجاحة عقل زهير في مجتمع مضطرب اجتماعيا واقتصاديا ، لا بد
 وأن تدفعه لقول بعض الحكم النازمة لامور المجتمع والمحققة لعدالته :
 وان الحق مقطعه ثلاث يمين ، أو نفار ، أو جلاء (١)
 فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء
 فلا مستكروهون لما منعمت ولا معطون إلا ان تشاؤوا

١ - النفار : النفاضي .

جوار شاهد عدل عليه كم وسيان الكفالة والتلاء^(١)
 وجار البيت والرجل المنادي امام الحي عهدهما سواء
 ان ما سبق وذكرناه بصدد الحكم الآنفه الذكر ، ينطبق على
 حكمه التشريعية التي بلغ من دقتها وما نالته من اعجاب ان سمي
 زهير قاضي الشعراء .

الحكم المعبر عنها بالأمثال :

كثرت في حكم زهير الامثال الجيدة التي اصبحت على كل شفة
 ولسان ، وما ذلك الا لما تضمنته من صدق وقوة في التعبير :

- وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتزرع الا في منابتها النخل^(٢)
- وليس لمن لم يركب الهول مغنم وليس لركب حطه الله حامل
- وكائن ترى من حامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكاسم
- لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
- وان سقاء الشيخ لا حلم بعده وان الفتى بعد السفاهة يحلم^(٣)

وهناك بيتان لا بد من ايرادهما لتضمن الشطرين الاخيرين منها
 حكمتين شائعتين وهما :

١ - التلاء : الكفالة . ٢ - الخطي : الرمح وقد نسب لجزيرة في البحرين تدعى
 الخط ، الوشيح : ج وشيجه ، القنا الملتف في منبته . ٣ - السفاه ، السفه : الجهل .

فشدّ ولم تفرع بيوت كثيرة (لدى حيث ألفت رحلها أمّ قشعم)^(١)
 سألنا فأعطيتهم ، وعدنا فعدتهم (ومن أكثر التسأل يوماً سيحرم)

المعاني كلها شفاقة والتعبير واضح بيّن في كل لفظة من الالفاظ
 لذلك لا نرى ضرورة للشرح ، مع التنويه عن العمق الذي تميّزت
 به هذه الامثال ، حتى ليمكننا الاستخلاص بأن زهيراً ما أنى بهاعلى
 هذا النحو الا نتيجة فلسفته في الحياة ونظرته للامور ..

الحكم الانسانية والاجتماعية والتأملية :

ذكرنا أنّ معلّقة زهير قد زحرت بالحكم التي حصّت بمجموعها
 نظرات زهير ، والآراء التي تبلورت لديه نتيجة لحياته الطويلة في
 مجتمعه ذي الطبيعة الخاصة . . وقد ظهر فيها بوضوح أثر التجارب
 التي مرّ بها مع اقتراحه سبل التحسين .

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثانين حولاً لا أبالك يسأم
 وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي^(٢)
 رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمّر فيهرم^(٣)
 ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم
 ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتقّ الشتم يشتم^(٤)

١ - حيث ألفت : (للدلالة على الموت) ٢٠ - العمي : الجاهل . ٢ - الخبط
 تقرب باليد ، العشواء : مؤنث أعشى وهي التي لا تبهر ليلاً . ٤ - وفر : كثر .

ومن يك ذا فضلٍ فيبخل بفضله
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه
ومها تكن عند امرى من خليفة
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه
ولا يغنيا يوماً من الدهر يسأم
على قومه يستغن عنه ويذمم
يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
وإن يرق أسباب السماء بسلم
يطيع العوالي ركبت كل لهزم^(١)
الى مطمئن البر لا يتجمجم^(٢)
وان خالها تخفى على الناس تعلم
ولا يغنيا يوماً من الدهر يسأم

ولا يقتصر زهير على المعلقة في ايراد حكمه الوجدانية
التأملية ، فاذا به ينثرها في مجالات أخرى مبيناً أيضاً نظراته للأمور
في المجتمع :

والمال ما خوّل الآله فلا بدّ له أن يحوزه قدر
والجدّ من خير ما أعانك صلت به والجدود تهتصر
قد يغتني المرء بعد عيلته يعيل بعد الغنى ويحتبر

كما وأنه في مجال آخر يقدم نفسه وسلوكيته في الحياة بأسلوب
تشع منه البساطة والواقعية فيقول في هذه الأبيات التي تنسب اليه
ولابنه كعب :

الزجاج : ج زج ، الحديد المركب في أسفل الرمح ، العوالي : ج عالية ،
طرف الرمح الاعلى ، اللهزم ، السنان الطويل : ج - تجمجم : تردد .

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبيع بعرض أبيه في المعاشر ينفق^(١)
ومن لا يقدم رجلاه مطمئنة فيثبتها في مستوى الأرض تزلق
أكفّ لساني عن صديقي وان أجأ اليه فاني عارق كل معرق^(٢)
وفي الحلم إدهان ، وفي العفود ربة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق^(٣)
ومن يلتمس حسن الثناء بماله يصن عرضه من كل شنعاء موبق^(٤)
ومن لا يصن قبل النوافذ عرضه فيحرزه ، يعرّبه ، ويخرق^(٥)

ان أكثر ما نلاحظه على هذه الأبيات ، السهولة التي تتحلّى بها ،
والوضوح الذي تتسم به لذلك لانستغرب كثرة ترديد هاء على الألسنة ..
الا أننا قبل الانتقال لايراد الخصائص العامة لحكمه لابد لنا من
ذكر ما يلي عن الحكم الواردة في المعلقة :

١ - لقد ظهر فيها بشكل خاص بعض الاغواب اللفظي الذي
لم يؤثر على منحى القصيدة ، باعتباره يتلاءم مع مفهوم العصر الذي
قيلت فيه :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهزم

٢ - اعتمد زهير على العقلانية واستخدم في سبيل ابرازها

١ - ينفق : يجد من يشتمه . ٢ - أجأ : ألجأ اليه . ٣ - الادهان والمداهنة : المضايقة
الدربة : العادة . ٤ - الشنعاء : القبيحة ، الموبق : المهلك . ٥ - العر : الحرب .

أداتي الشرط (من ومهما) فأدّتا المطلوب منهما وأكسبتا أبيات
الحكمة طابعاً خاصاً .

٣ - ظهر كلاً أثر النتائج الشخصية للشاعر واتجاهاته الفكرية
في حياته العامة : سئمت تكاليف الحياة . .

٤ - ساد العقل أكثر الأبيات ، وبدأ بعض السطحية والحشو
في بعضها : واعلم علم اليوم والأمس قبله . . .

٥ - وجدت بعض الأبيات العادية شكلاً ومضموناً اللهم
إلا من بعض الومضات الحكيمة فيها .



الخصائص العامة للحكمة

بعد استعراضنا لصنوف الحكمة التي تضمنتها أكثر قصائد زهير ، أصبح من الضروري استنباط الخصائص العامة لهذا الفن الشعري الهام الذي انفرد بالابداع فيه عن بقية الشعراء الفحول في العصر الجاهلي ، لدرجة أن سمي بالشاعر الحكيم ، والذي استحق بفضل إirاده هذا البيت :

وان الحقّ مقطعه ثلاث يمين ، أو نفاً ، أو جلاء

على لقب قاضي الشعراء ... فما هي هذه الخصائص :

١ - ظهور شخصية زهير كإنسان عاقل حكيم ، يبحث عن عالم أفضل ، ويبحث الآخريين على اتباع مافيه خيرهم ، وتجنّب كل مامن شأنه الانحدار بهم للدرك الأسفل .

٢ - بروز أثر التجارب التي مرّ بها ، والمآسي التي حدثت

مجتمعه ، والأفكار النبيلة التي يحملها والتصرفات الحسنة التي يقوم بها .

٣ - وضوح نضوجه الفكري ، وعدم قبوله الأمور كما هي ، مع تركيزه على فكرة البحث عن الأفضل ، بدليل إيمانه الشديد بالبعث ويوم الحساب ، وتضمن قصائده كثيراً من النصح والارشاد .

٤ - تركيزه الشديد على أمور فاضلة مميّنة يريد من أبناء محيطه الأخذ بها لرقى مجتمعهم واستقراره وازدهاره (المعلقة) .

٥ - تبسيطه للأمور التي يفكر بها ، وتوضيحها بمعان ملموسة ، ومستمدّة من حاجات المجتمع (أثر البيئة والاستمداد من الواقع) .

٦ - اتباعه المعالجة العقلانية في سبيل عرض أفكاره والبرهنة عليها ، مع ابتعاده الظاهر عن كل ما من شأنه اشراك الخيال في تجسيدها .

٧ - ظهور العمق في التفكير والوضوح والاشراق في المعاني مع عدم خلوّ أبياته من السطحيّة حيناً ، والاغراب اللفظي أحياناً .

٨ - اعتماده الكلّي في توضيح أفكاره ومعانيه ، على الألفاظ السهلة المعبّرة ، والتراكم المتينة ذات القوة الذاتية المقنعة التي تقرّب الموضوع من أذهان الجميع وحتى أقل الناس حظاً من الثقافة .

٩ - بروز المادية الشديدة، والروية في أغلب الأبيات وخاصة الواردة في المعلقة .

١٠ - استخدام الوسائل اللغوية المقنعة في سبيل التأكيد على الفكرة ، والتأثير على القارئ أو السامع لتقبّلها والعمل بها ، كاستعماله أدوات الاستفهام والنفي والشرط والنهي ، بالإضافة لاستخدامه وسائل الترويج والترهيب والتقريب والتبديد في سبيل بحث الفكرة التي يريد .

١١ - سيادة الهدوء والانسياب الوجداني ، والتأملي في أغلب الأبيات .

١٢ - بروز الجدية والصدق ، مع اخلو الظاهر من التكلف والتفاهات والحشو والثرثرة اللغوية التي لا طائل منها وتضرّ في موضوع جدي كالحكمة ، باستثناء بعض الأبيات أمثال :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

١٣ - ظهور كثرة التنفن والابتكار في أسلوب عرض أفكار الحكمة ومواميها ، كنتيجة حتمية لقوة الشاعر ونضوج تفكيره وتغرّسه الشعري .

١٤ - شيوع المعاني الانسيابية ، والتأملات الوجدانية

والاجتماعية بشكل لا يدع أي مجال للشك بأن زهيراً لم يكن أنانياً
يؤثر الخير لمجتمعه فقط ، بل كان انسانياً في تفكيره ، بحيث أن
حكمه وارشاداته وأمثاله ، ما زالت حتى الآن تتردد أكثر من
غيرها على الشفاه ، رغم ما حفل به الأدب العربي من حكم وأمثال
وارشادات أخرى جيدة .



الغزل

أهميته :

ما من متذوق للشعر الا ويحس بامتداد عاطفي عند قراءته
النوع الغزلي منه لا شيء الا لما لهذا الشعر من أثر بيّن في النفوس ،
باعتباره يحمل في حناياه انفعالات الشعراء وعواطفهم الذاتية .

وقد كنت نود استعراض الغزل لدى زهير على نحو أسرع مما
انتهجناه في أغراضه الأخرى (الوصف ، المديح ، الحكمة) ،
ولكننا لاحظنا أن شاعرنا ، وان تكن السمات العقلية تطبع الغالبية
العظمى من اشعاره ، قد أصاب جودة وحلاوة ورقة في غزله ، لعل
سببها ما كانت تضطرم به نفسه من عواطف عندما كانت في صدر
شبابه .

على أننا قبل أن نستعرض مع غزل زهير ، نرى من الضروري
وضع بعض الأسس التي اتفق على لزوم توفرها في الأبيات ذات
الطابع الغزلي لتكون جيّدة وتعطي المطلوب منها في إثارة العواطف .

المفومات الرئيسية للغزل

يمكننا اجمال المقومات الرئيسية التي يجب تواجدها ليكون الغزل جيداً بما يلي :

- ١ - أن تتمتع الأبيات الغزلية بالبرقة والطاقة مبنًى ومعنى .
- ٢ - أن تكون الأفكار التي تدور حولها الأبيات، جميلة ، واضحة ، شفافة ، لاتعقيد فيها ، ولا اغراب .
- ٣ أن تكون الأفكار معروضة على نحو من التسلسل المشوب بالانفعال العاطفي الذي يخلو من السخف والبذاءة ، والفحش ، باعتبار أن الابيات الغزلية نحتاج الى عامل الانفعال البريء الصادق ، لتؤدي دورها في اثارة العواطف ، ولتحقق الاتصال بين الشاعر والمتذوق .
- ٤ - أن تكون الالفاظ والتراكيب حلوة ، وفيها من الجزالة والرشاقة والبرقة ما يجعلها تدخل القلب دون استئذان .

٥- أن يسود الأبيات موسيقية تساعد على خلق جوٍ من التلاؤم والتعاطف بين محورها ووزنها وقافيتها .

٦ - أن يسود الأبيات جو من الفنية التصويرية التي يسهم فيها الواقع والتخيل بدور فعال في تحريك العواطف وخلق تيار انفعالي يصل بين الشاعر والمتذوق .

٧ - أن يسود الأبيات هدوء نفسي ، لا بأس من الجنوح به للحركة الانفعالية العاطفية عند اللزوم .

٨ - أن يسود الأبيات صدق تعبيرى عام يمس المتذوق من من خلاله قلب الشاعر فيحس بنبضاته وأعمق عواطفه وانفعالاته .

ولما سبق ونوّهنا ، فانه ليس ضرورياً توفر كل هذه المقومات لتكون الأبيات الغزلية آسرة تهز الشعور ، وتعطي من الانفعالات ما يحقق الرابطة العاطفية بين الشاعر والمتذوق ، فلكل شاعر نفسه الخاص وإيماءاته النفسية ورشاته العطرية التي يضمنها الفاظه وجمله بشكل توصله الى غايته فتَهزّه العواطف وتحقق الاتصال العاطفي والوجداني بين الشاعر والقارئ .

وبعد .. فأين يقف زهير من الغزل ..؟ لنلق نظرة على أشعاره .
ولترمدى نجاحه في هذا المضمار بعد أن لمسننا نجاحه في الوصف والمديح والحكمة .

بواعثه :

لا ريب أن للانفعالات العاطفية أسبابها المحركة للواعج الشاعر والمكهربة لشغاف قلبه ، فما هي هذه الاسباب ، بل ما هي البواعث التي جعلت زهيراً يعطينا آثاراً غزلية ، وهو الذي تميزت أكثر أشعاره بعقلانيته وابتعادها عن الاتجاهات العاطفية ، خصوصاً وان نشأته ومذهبه في الحياة ، أديابه الى نوع من التعفف وتجنب كل ما من شأنه اخراجه عن اتزانه وورعه .

ومع تسليمننا بتعفف زهير وبعده عن الهبات العاطفية ، والهزات الانفعالية الغزلية ، الا اننا - وأشعاره الغزلية ماثلة أمامنا - لا نجد مناصاً من عرض السببين التاليين لوجودها :

١ لقد وردت الأبيات الغزلية في مطالع القصائد ، فالسبب اذن ، مراعاة هيكل القصيدة في العصر الجاهلي (التي غالباً ما تبتدىء بالغزل أو النسب والوقوف على الاطلاع ووصف مشاهد الارتحال ، ثم وصف ألم الفراق لتخلص الى الغرض الاساسي للقصيدة .) ، وهذا ما يخرجها عن دائرة الانفعالات العاطفية ، ليجعلها محصورة بسلم القصيدة التقليدي ، وبالتالي ليجعلها وسيلة للوصول الى غرض القصيدة الاصيلي الذي لا يمكن تحقيقه الا ضمن المنحيين التاليين :

آ- استغلال الغزل والنسب كوسيلة لجذب ساحة شعور

الملتذوق الى الغرض الاصلي للقصيدة ، وهذا على رأي ابن قتيبة في كتابه : (الشعر والشعراء) .

ب - استغلال الغزل والنسيب كوسيلة لتحريك عواطف الشاعر ، فينفع في سبيل الوصول الى الهدف الذي يريده من نظم القصيدة ... وهذا على رأي ابن رشيقي في كتابه (العمدة) .
والذي يؤيد ما ذكرناه ، ورود الغزل لدى زهير في مطالع القصائد والأبيات الاولى منها :

- صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصباور واحله (١)
- صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق ، فالثقل (٢)
- تأوبني ذكر الاحبة بعدما هجعت ودوني قلّة الحزن فالرمل (٣)
- فأقسمت جهداً بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل
- لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجني طفل (٤)
- الى معشر لم يورث اللؤم جدّهم أصاغرهم ، وكل فحل له نجل

٢ - لقد وردت في الأبيات أسماء نسائية كثيرة فالسبب اذن عاطفة قديمة ، لأن كثرة الأسماء التي أوردتها تجعلنا في حيرة ازاء غزله ، سيما وأننا لم نعرف عنه أنه أحب واحدة

١ - أقصر : كف . ٢ - التعانيق والثقل : موضعان . ٣ - تأوب : جاء مع الليل ، هجع : نام . ٤ - يعرجني طفل . أن تجهض ناقتي ، الطفل : الليل ، غيبوبة الشمس .

معروفة ، اللهم الا تزوجه أم أوفى التي طلقها ثم ندم وأتى على ذكرها في مطلع معلقته . . . ومن الاسماء التي تتكرر في قصائده :
سلمى وابنة البكري أسماء وأم أوفى زوجته السابقة .

- أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بمجمانة الدراج ، فالمتشائم
- فلست بتارك ذكرى سليمى وتشببي باخت بني العداني
- ان الحليط أجد البين فانفرقا وعلّق القلب من أسماء ما علقا
- لآل أسماء اذ هام الفؤاد بها حيناً واذا هي لم تظعن ولم تبد

على أننا نرجح أن زهيراً لم يقل الغزل كغرض مقصود ، وإنما كوسيلة للوصول الى غاية ، في نفس الوقت الذي يكون به لم يخرج عما تعورف عليه من منهج القصيدة التقليدي ، مما يجعلنا نستبعد الفكرة القائلة : أن زهيراً أحب ، باعتبار أننا لا نلمح في قصائده تلك العواطف المتأججة ، اللهم الا من بعض الانفعالات التي قد توّمس في بعض الابيات ، ولكنها لا تعدو كونها وسيلة في سبيل تحقيق غايتين :

١ - اثارة المتذوق ، وجذب ساحة شعوره للغرض الاساسي من القصيدة .

٢ - اثارة نفسية الشاعر وعواطفه للوصول الى الغرض الاساسي من القصيدة .

النساء اللواتي ذكرهن أو تغزل بهن :

ان من يطلع على ديوان زهير يجد كثيراً من أسماء النساء ، بعضها يكرره في عدة قصائد ، والبعض الآخر يكتفي بإيراد الاسم وأهم من أورد أسماءهن : زوجته أم أوفى ، سلمى ، اسماء بنت البكري ، اميمة ، فاطمة ، ليلى .. الخ ..

ماهية غزله وصوره :

صحيح ان زهيراً لم يكن من ذوي العواطف المتأججة باعتبار أنه لم يحب ، ولكن أبيات الغزل التي نراها لم تكن جامدة في مدلولاتها أو معانيها ، بل يستطيع الباحث المدقق أن يرى فيها الكثير مما سنأتي على ذكره تباعاً .

وصفه لحالته وانفعالاته :

نكاد لا نجد في أشعار زهير الغزلية أية مواقف يلتقي فيها الحبيب مع محبوبته (على العكس من امرىء القيس) وانما نجده يتحدث عن نفسه وعن حبيبته كفتا مال اليها ، مع وصف لطبيعة العلاقة وما سادها من أجواء وما حدث فيها من تصرفات وانفعالات :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل
وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا على صير أمرٍ ما يمرّ ، وما يحلو

و كنت اذا ما جئت يوماً لحاجة مضت وأجمت حاجة الغد ماتخلو
و كل محبٍ أحدث النأي عنده سلو فؤاد غير حباك ما يسـلو

لقد بدا زهير من خلال أبياته ، وكأن حبه من طرف واحد
باستثناء بعض الومضات التي ذكر فيها أنه مر بأيام حلوة ، وأخرى
مرة ... أما ما تبقى فلم يذكر فيه الا مظاهر النأي والوله .

وعلى العموم ، لم يبد زهير من ذوي العواطف المشبوبة ، الا انه
استطاع تقريب حالته وتجسيدها أمام القارئ ، مستخدماً في سبيل
ذلك الألفاظ الحلوة ، والتراكيب السلسة المتينة التي كانت منسجمة
نسبياً مع الوزن والقافية .

وصفه لمحوباته :

وقد أتى زهير في أبياته الغزلية القليلة على ذكر أوصاف محوباته
الجسدية حيناً ، والجسدية مع مظاهر العيش حيناً آخر . ومن

أوصافه الجسدية :

● قامت تبدي بذي خال لتخزني ولا محالة أن يشق من عشقا
يجيد مغزلة أدماء خاذلة من الظباء تراعى شادناً طرقا
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبتت من طيب الراح لما بعد ان عتقا

- تنازعها المها شهباً ودر ال بحور ، وشا كهت فيها الطباء
فأما فويق العقـد منها فمن ادماء مرتعها خلاء
وأما المقلتان فمن مهاة وللد الملاحـة والنقاء
● اذ تستبـيك بجـيد آدم عاقد يقرو طلوح الانعمين فـهمـد^(١)
ومؤشـر حمـش اللثـات كأنـما شر كت منابته رضيض الاثم^(٢)

أما أوصافه الجسدية والمعيشية فهي :

- خود منعـمة أنيق عيشـها فيها لعينك مكلأ وشجاء^(٣)
وكأنها يوم الرحيل وقد بدت منها البنات بزينة الخناء
بردية في الغيل يغـدو أصلها ظل إذا تلـع النـهار وفاء^(٤)
أو بيضة^١ الادحي^٢ بات شعارها كنف النعامـة جوؤجوؤ وعفاء

يتبين لنا من امعان النظر في أبياته الوصفية لاجساد محبوباته ،
انه لم يتطرق فيها الا للمظهر الخارجي مختاراً منه القسم العلوي .
مع ابتعاد ظاهر عن الفحش الذي رأيناه لدى امريء القيس عندما أتى على

١ - آدم : الظبي ، الابيض البطن ، الاسمر الظهر ، الطويل العنق ، يقرو :
يتتبع ويرعى ، الطلوح : ج طلع : شجر ، الانعمان وثهمد : مكانان . ٢ - مؤشـر
تقر فيه تحزير ، حمـش اللثـات : قليل اللحم ، دقيق ، الاثم : الكحل . ٣ - الخود
الحسنة الخلق . ٤ - تلـع : ضلع .

وصف اجزاء اخرى من أجساد محبوباته ، وماسنراه عند النابغة في وصفه للمتجردة زوج النعمان .

وقد تميز وصفه بالدقة وحسن التصوير اللذين تجليا بسيل من التشبيهات التي يعد أروعها وأجملها ما جاء في هذا البيت :

تنازعها المها شهباً ، ودرّ البحور وشاكت فيها الظباء
كما ونلاحظ ، انه في سبيل تقريب الوصف الى الازدهان وتجسيده
أمام الانظار عمد الى صجرائه فاستحضر منها المهة والظباء ليدل على
حُبوبته وجمالها ، داعماً ذلك بكلمات جميلة ، جاء بعضها على نحو من
الغرباب اللغوي غير المستحب في الوصف الغزلي كقوله : ومؤثر
حمش الثبات . . . الا أنه عمومياً أجاد في وصفه أيّما أجادة ،
واستطاع أن يعطينا أحلى وصف وأدقّه لمحُوبته . . .

وصفه ساعة الفراق :

لم يقف غزل زهير عند الشككين السابقين ، وإنما تعداهما الى ذكر ساعة الفراق فقال :

- لآل أسماء إذ هام الفؤاد بها حيناً ، واذهي لم تظعن ولم تب
واذ كلانا اذا حانت مفارقة من الديار طوى كشحا على حزن
- ان الخليط أجدّ البين فانفرقا وعلّق القلب من أسماء ما علقا
وفارقتك برهن لا فسكك له يوم الوداع فأمسى رهنها غلقا

- فلما أن تحمل أهل ليلي جرت بيني وبينهم الظباء
جرت سنجاً فقلت لها أجيزي نوى مشمولة ، فمتى اللقاء
لقد طالبتها ولكل شيء اذا طالت حاجته انتهـاء

انه لايسعنا الا القول بأن زهيراً قد وفق في هذه الابيات ،
فالتصوير دقيق ، مركز ، والانفعال بيّن ، والشكل الذي احتوى
ذلك المضمون ، جميل ويفري بالتأمل والتصور ، خاصة وانه يؤكد
الحب والهيام عند اللقاء ، وعند النأي والفراق ...

وصفه للنأي والهجران :

لم يغفل زهير تصوير نأي الحبيبة وهجرانها ، فاذا به يذكرها
ويركز عليها في عدة أبيات ، وكيف لا وهو المحب الذي يشعر بالالم
للفراق والهجران :

- وكل حب أحدث النأي عنده سلو فؤاد غير حبك ما يسلو
 - صرمت جديد حبالها أسماء ولقد يكون تواصل واخاء
 - فتبدلت من بعدنا أو بدلت ووشى ، وشاة بيننا أعداء
 - فصحت عنها بعد حب داخل والحب تشربه فؤادك داء
 - شطت أميمة بعدما صقت ونأت وما مني الجنب فيذهب
- ان نفس زهير الشعري واحد كما لاحظنا ، وقد برع بشكل خاص
في التصوير التعبيري الذي تجلّى بوضوح في وصفه للنأي والهجران والذي

لإزداد قرباً من النفوس بفضل الانفعال الذي برز فيه ، والتأكيد
المطلق على حبه وأمله بالوصال من جديد .

تعرفه لذكرياته معهن :

ان أكثر غزل زهير يصور ذكرياته مع محبوباته اللواتي ذكرهن
في قصائده ، وهو هنا كما رأيناه في وصفه لاجسادهن ، لم يفحش ولم
يدكوئنه اختلى أو أتى ما يريب . . .

- فلست بتارك ذكرى سليمى وتشببي بأخت بني العداني
طوال الدهر ما ابتلت لهاقي وما ثبت الخوالد من أبات
- أعن كل إخدان وإلف ولذة سلوت وما تسلو عن ابنة مدلج
وليدن حتى قال من يزع الصبا أجذك لما تستحي ، أو تخرج
أراني متى ماهجتني بعد سلوة على ذكر ليلى مرة أتهيج
وأذكر سامي في الزمان الذي مضى كعيناء ترتاد الاسرة عوج

ما من شك بأن عاطفة زهير قد اشتدت عند التذكر ، وقد أفصح
عنها بمثل هذه الابيات التي تدل على مقدار تشببه واصراره على حبه
الذي لم يخب أواره رغم الهجر والسلوان . . . وكما يلاحظ فالاسلوب جميل
مشرق ، والكلمات سلسلة ، جزلة ، واضحة وموافقة لطبيعة الموضوع .

تحسره وتذكره الأيام الخوالي :

ان أشد ما يؤلم الانسان ، تسلل الشيب الى رأسه ، لأن ذلك ، يذكره بأفول شبابه واقترابه من الموت ، لذلك فان شاعرنا يأتي على ذكر ذلك في معرض غزله مسترجعاً ذكرياته وأيام حبه الماضية .

- صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرّتي أفراس الصبا ورواحله .
وأقصرت عما تعلمين وسددت عليّ سوى قصد السبيل معادله .
وقال العذارى : انما أنت عمنا . وكان الشباب كالحليط نزايله .
فأصبحن ما يعرفن الا خليقتي والاسواد الرأس والشيب شامله .
- هل في تذكر أيام الصبا فند أم هل يلا من باك هاج عبرته .
أوفى على شرف نشز فأزعجه قلب الى آل سلمى تائق كمد .
لهم هوى من هوانا ما يقربنا ماتت على قربه الأحشاء والكبد .
اني لما استودعتني يوم ذي عدم راع اذا طال بالمستودع الاملد .
ان تمس دارهم عنا مباعدة فما الاحبة الا هم وان بعدوا .

ان القاء نظرة واحدة على الابيات تكفي لتخيل الالم الدفين الذي يحز في نفس زهير وقلبه بعد أن وجد نفسه يدخل سن الشيخوخة (في المقطع الاول) ؛ وبعد أن برّح به الهوى والوجد اثر وداع حبيبته وعدم التقائه . انه يتحسر على شبابه ، ويدوب شوقاً الى

العودة لـه بعد أن ودّع محبوبته، وهو في الحالين يبدو وكأنه
يعبر عن عاطفة حارة مشوبة بالألم، وقد أعانه على إبرازها جودة
السبك، وموسيقية الكلمات ورقتها وتناغمها مع الوزن والقافية .

عتابه مع زوجته أم وفي :

وقبل أن نتعرض للخصائص العامة لغزل زهير ، يروق لنا
استعراض أبيات قالها معاتباً امرأته أم أوفى التي قيل أنه أحبها وندم
بعد أن طلقها :

لعمرك والخطوب مغيّرات وفي طول المعاشرة التقالي .
لقد باليت مظعن أم أوفى ولكن أم أوفى لا تبالي
فاما اذ ظننت فلا تقولي اذ صهر أذلت ولم تذالي
أصبت بنيّ منك ونلت مني من اللذات والحلل الغوالي .
قد نجد في هذه الأبيات بعض الوميض العاطفي الذي يعطي
بعض الدلالات على حب زهير الحقيقي لامرأته التي طلقها ثم ندم ،
ولكننا ما زلنا نفتقد لديه التأجج في العاطفة ، فهو هنا لا يتحدث
بدافع مقتضيات سلّم القصيدة التقليدي بل يتحدث عن زوجة
تعاتبه ويعاتبها ، ثم يعود الى واقعه فيختم ذلك بما يشير بانتهاء
هذه العلاقة وأن كل واحد قد اخذ حقه من الآخر .

الابيات بسيطة واضحة وقد استطاع زهير فيها ، تصوير بعض
جوانب الحب الذي ربما لم يدقه في حياته قط .

أخصائص العامة لغزله

بعد أن أثبتنا على غزليات زهير بجميع صورها ، لا نجد مناصاً من استخلاص الخصائص العامة لهذا الفن التي نجملها في النقاط التالية :

١ - الوضوح في الأفكار ، والبساطة في المعاني ، مع العناية التامة بإبراز جمالياتها .

٢ - التعفف والبعد عن الفحش في المعاني والمباني العامة للأبيات (وصف محبوباته) .

٣ - المادية في شكيليات الأبيات ومضموناتها ، مع استمدادها من البيئة الصحراوية حيناً (المها والظباء) ، والبيئة الحضرية حيناً آخر (خود منعمة انيق عيشها) .

٤ - الجزالة في الالفاظ ، والقوة والمتانة في التراكيب ، مع العناية بتعاطفهما مع محور الموضوع الغزلي .

٥ - البعد ما أمكن عن الحوشي والغريب ، مع عدم خلو

بعض الأبيات من الألفاظ الغريبة التي لا يستحسن ورودها في الابيات
الغزلية : صقبت .. حمش ..

٦ - انتقاء الالفاظ والتراكيب ، مع العناية بموسيقيتها ،
وتلاؤمها مع الاوزان والقوافي .

٧ - الاعتماد على ذكر التصرفات في محاولة تصوير الانفعالات
والمواقف .

و كنت اذا ما جئت يوماً لحاجة مضت وأجمت حاجة الغد ما تخلو
٨ - الاعتماد على التصاویر والأخيلة ، وتجسيدها بسيل من الفنون
اليمانية كالتشابة التي تزامت بشكل خاص في هذا البيت :

تنازعها منها شهباً ودرّاً بجور ، وشا كعت فيها الطباء
والطباقي : يمر .. يجلو .. والاستعارات :

أم هل يلامن باكهاج عبرته بالجر اذ شفه الوجد الذي يجد
٩ - الصدق في العاطفة والخلو من تأججها ، مع أن الغزل المفضل
هو الذي ترتفع فيه حرارة العاطفة ..

١٠ - التعدد في مرامي غزله (من وصف حاله مع محبوباته
لوصفهن ؛ لتذكرهن ؛ لتجسره على الايام الخوالي التي قضاها معهن
قبل أن يهجرنه ويشيب ، لعتابه ..) .. التي ان دلّت على شيء فعلى
ان زهيراً تفنن ، ولكنه لم يقل الغزل لذاته وانما لدافع سلم
القصيدة التقليدي .

الرثاء

من المعروف أن الرثاء، كالمديح مع اختلاف في الالفاظ وصرف الزمن للماضي فتقول : كان ، ذهب ، قضى نحبه .. وقد سبق لنا ايضاح ما يتعلق بهذا الفن لدى استعراضنا اياه عند الشاعر أوس ، لذلك لا نرى هنا من ضرورة الا لذكر المرتكز الرئيسي للرثاء الجيد المتجسد بالنقطتين التاليتين :

١ - ذكر الصفات العامة للمرثي والتركيز عليها ، وعلى تفروعاتها .

٢ - الصدق في العاطفة ، لانه اذا لم تهتز أوتار قلب الشاعر للفاجعة ، فلا يمكن أن ينتج أي شعر رثائي جيد وبالتالي يقع تحت تأثير التكلف والتهويل اللذين يعدان من أكبر العيوب الشعرية ، لافي الرثاء فقط ، وانما في جميع الاغراض الشعرية الاخرى .

الاشخاص الذين وثاهم :

من الطبيعي ان من يمدح شخصاً في حياته عن قناعة وصدق

عاطفة ، لابد ان يرثيه عند مماته . . لذلك فان زهيراً رثى هروم بن
سنان، وسانان المروني عند وفاتها وكذلك ابنه سالم عندما لقي حتفه :

قال يرثي هروم بن سنان :

يادهر قد أكثرت فجعتنا	بسرائتنا وقرعت في العظم
وسلبتنا ما لست معقبه	يادهر ما أنصفت في الحكم
اجلت صروفك عن اخي ثقة	حامي الذمار مخالط الحزم
ينمي الى ميراث والده	كل امرئ لأرومة ينمي
خلقني برى جسمي وشيبي	جزعي على ما فات من هروم
ان الرزية ما لها مثل	فقدان من ينمي الى الحزم
حلو أريب في حلاوته	مرّ كريم ثابت الحلم
لا فعله فعل ، وليس كقوله	قول وليس بفحش كزم

وقال يرثي سنان بن حارثة المروني :

ان الرزية لا رزية مثلاً	ما تبغني غطفان حين أضلّت
ان الركاب لتبغني ذا مرّة	بجنوب نخل اذا الشهور أحلّت
ينعين خير الناس عند شديدة	عظمت مصيبته هناك وجلّت
وملعت ذاق الهوان مدفن	راضيت عقدة كبله فأنحلّت
ولنعم حشو الدرع كان لها	نهلت من العلق الرماح وعلّت

وقال يرثي ابنه سالم بن زهير :

لعلك يوماً ان تراعي بفاجع كما راعني يوم التثاءة سالم
يديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم
من خلال أبيات النماذج نستنتج ان زهيراً لم ينجح في الرثاء
كما كان حاله بالنسبة للأغراض التي قدمناها ، فرغم أنه استطاع في
النموذج الأول الاحاطة بأكثر الصفات والحلال التي كان عليها المرثي ، ورغم
تسليمنا بصدق عاطفته تجاه هرم بن سنان ، الا اننا نأخذ عليه ما يلي :
١ - التهويل الذي ظهر بوضوح عندما حاول اظهار
تفجعه لموت هرم : يا دهر قد أكثرت فجعتنا . . . خلقي برى
جسمي وشيئني . . .

٢ - اخضاع الرثاء لسلم القصيدة التقليدي كقوله في مطلع
القصيدة التي رثى بها هرم بن سنان :
هاج الفؤاد معارف الرسم قفر بذى الهضبات كالوشم
ثم استرساله في مثل هذا ، من وصف للأبقار والقفار والدواب
والحمير . . . حتى وصوله الى الرثاء . . .

٣ - تقصيره في رثاء ابنه سالم الذي ربما أعمته المصيبة فلم يرثه ،
على العكس من الشاعرة الخنساء والشاعر ابن الرومي اللذين يعد
النقاد رثاءهما - الخنساء لأخيها صخر ، وابن الرومي لابنه محمد - من
من ابداع قطع المراثي في الادب العربي .

الفخر

ليس الفخر من الاغراض المحببة الى نفس زهير ، لأنه يتنافى مع آرائه الداعية للمسالمة والاخاء، ولأن من شأنه اغاظة الآخرين احياناً ، والايحاء بفرور المفتخر أحياناً اخرى . . وعلى العموم فقد أقل زهير من أبيات الفخر حتى أنها تتضاءل ازاء الاغراض الاخرى التي نظم فيها . .

وقد تجلّى فخر زهير بسمتين : الاولى : قبلية ، والثانية : تتعلق بأخلاقه الشخصية .

قال زهير ينصح ويفتخر لما بلغه ان بني هوزان وبني سليم يريدون الاغارة على غطفان :

رأيت بني آل امرئ القيس اصفقوا علينا ، وقالوا : اننا نحن اكثر سليم بن منصور ، وأفناء عامر وسعد بن بكر ، والنصور وأعصر خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا

أواصرنا والرحم بالغيب تذكر

خذوا حظكم من ودنا ان قربنا اذا ضررنا الحرب ، نار تسعر
 وإنا وإياكم الى ما نسومكم لمثلان ، أو أنتم الى الصلح أفقر
 إذا ماسمعنا صارخاً ، معجت بنا الى صوته ورق المراكل ضمير (١)
 وان شل ريعان الجميع مخافة نقول جهاراً: ويلكم ، لا تنفروا (٢)
 على رسلكم أنا سنعدي وراءكم فتمنعكم أرماحنا أو سنعذر
 والّا ، فانا بالشربة ، فاللوى نعفر أمّات الرباع ونيسر

وقال يفتخر بأخلاقه الشخصية :

غدت عذّ التاي فقلت مهلاً في وجد بسمي تعذلاني
 فقد أبقت صروف الدهر مني عروف العرف تراك الهوان
 محافظتي على الجلي وعرضي وبذلي المال للخل المداني
 وصبري حين جدّ الامر نفسي اذا ما أرعدت رئة الجبان
 وحفظي للأمانة واصطباري على ما كان من ريب الزمان
 وذبّي عن مآثر صالحات بعالي والصوارم من لساني
 وكفّي عن أذى الجيران نفسي واعلاني لمن يبغي علاني
 فاني لا يقول النأي مني ولا ما جاء من حدث الزمان
 واني في الحروب اذا تلظّت اجيب المستغيث اذا دعاني

١ - معجت : مرت مرأ سريعاً في سهولة ، ورق : ج أورق ، أسود .

٢ - شل : طرد ، ريعان كل شيء : أوله .

وجاري ليس يخشى ان أرثي حليته بسرّ أو علاني
 ما من شك أن النموذج الثاني ، أقرب الى نفس زهير باعتباره
 يتحدث عن أمور يؤمن بها ويذتهجها في الحياة، في حين يأتي النموذج
 الاول على نحو من العرض الحالي من أية روح ايجابية ، اللهم الا من
 تلك اللهجة العنيفة التي يخاطب بها اعداء قومه ، والتي نستشف منها
 انه قال هذه القصيدة وهو في صدر حياته ، باعتبارها تخالف الخط السامي
 الذي سار عليه عند ما تقدم به العمر ، والذي اتضح في معلقته التي
 استعرضنا الغالبية العظمى من أبياتها ثم استمر في القصائد الأخرى التي تلتها .



الهجاء

سبق وألعننا بان زهيراً يمكن اعتباره من الشعراء الذين
اختصّوا بفنون معينة من الشعر فأكثرُوا النظم فيها ، ولم يهتموا
كثيراً بالفنون الأخرى ، (وخاصة الفخر والهجاء لبعدهما عن نفسه
وما يؤمن به من مبادئ ومثل) ، فأقلوا فيها . . .

وهجاء زهير لم يكن غزيراً ، وإنما ورد بمناسبة خاصة ،
لعله لو اتمعن التفكير فيما سييجني من جرائه ، لما نظم فيه ولكن الهجاء
وفيق الغضب ، والشاعر عند ما يغضب تنسال منه الالفاظ الهجائية بسرعة
مذهلة تشع منها حرارة الغضب وصخبه ، فيسرع في النظم والنشر ،
وما ان يمر زمن قصير حتى تهدأ نفسه ، ويندم على ما بدر منه .

ولقد أوضحنا عند استعراضنا الهجاء لدى أوس كافة المقومات
التي يقوم عليها الهجاء (وخاصة اضافة السيئات ، والتجريد من الحسنات ،

وتقصي الزلات ، والتعرض للعورات . الخ) ، لذلك ان نذكر شيئاً منها وانما سنقوم باستعراض الشعر الهجائي لزهير .

على الرغم من قلة الهجاء في ديوان زهير ، فاننا نجد له غوذجين أحدهما فاحش لن نتعرض له والآخر عادي لا فحش فيه .

قال ييجو آل حصن بني عليم بن كعب بعد أن زعم رجل من قومه اغارتهم عليه .

ستأتي آل حصن حيث كانوا من المثلثات باقية ثناء
فلم أرمعشراً أسروا هدياً ولم أر جار بيت يستباء
فمها آل عبد الله عدوا مخازي ؛ لا يدب لها الضراء
أرونا سنة لا عيب فيها يسوي بيننا فيها السواء
فان تدعوا السواء فليس بيني وبينكم بني حصن بقاء
ويبقى بيننا قذع ، وتلقوا اذا قوماً بأنفسهم أساءوا
وتوقد ناركم شرراً ، ويرفع لكم ، في كل مجمعة لواء
ان هذا الهجاء رغم خلوه من الفحش قد ألم آل حصن ،
خصوصاً وان زهيراً عندما علم بكذب ادعاء الغطفاني ، ندم وقال :
ما خرجت في ليلة ظلماء ، الا خفت أن يصيبني الله بعقوبة هجائي
قوماً ظلمتهم .

والقصيدة لا بأس بها ، ولكن الهجاء فيها ليس ناضجاً ، ولا مركزاً اللهم الا هذا البيت الذي يعد من أبلغ هجائه .
وما أدري - وسوف اخال ادري - أقوم آل حصن ، أم نساء

الخمر

لقد ورد الخمر في شعر زهير بشكل عرضي ، وفي مناسبتين فقط ، والسبب في عدم تخصيصه بعدد أكبر من الأبيات ، انه كالفخر والهجاء ، بعيد عن نفسه وتعففه ، بالإضافة لمنافاته طريقة معيشته وسلوكيته في المجتمع ، التي حرص فيها على الابتعاد عن اللهو واللذات ما أمكن :

- وقد أغدو على ثبتٍ كرام
لهم راح وراوق ومسك
يجرون البرود وقد تمشت
تمشى بين قتلى قد أصيبت
 - ذاك وقد أصبح الخليل بص
مثل فم الشادن الذبيح اذا
دبت ديبباً حتى تحوته
عما قريب تراه يكف منطقته
 - نشأوا واجدين لما نشاء
تعلّ به جلودهم وماء
حمياً الكأس فيهم ، والغناء
نفوسهم ، ولم تهرق دماء
 - باء كميّ جاف جوانبها
أثاق فيها الراوق شاربها
منها حمياً ، وكفّ صالبا
اجمع في النفس ما يغالبها
 - عما قليل رأيت ربد الما
نطق ، واستعجلت عجائبها
- ما من شك أن أبيات النموذجين حسنة بدليل تأثر شاعر
الخمرات أبو نواس بها كما سبق وأوضحنا .

الخصائص العامة لشعره

بعد استعراضنا لجميع الأغراض الشعرية التي نظم فيها زهير بن أبي سلمى ، لابد لنا من استخلاص الخصائص العامة لشعره التي نجملها في النقاط التالية :

١ - انطباع جميع أشعاره تقريباً بالروية والصنعة الفنية حتى أطلق عليه ، شاعر الحوليات لكثرة تنقيحه لها .

٢ - ظهر ر الطابع البدوي في جميع قصائده ، مع عدم البعد عن الطابع الحضري في بعض الأبيات .

٣ - اتسم أكثر أبياته بالمادية شكلاً وموضوعاً .

٤ - انطباع جميع أشعاره بالصدق حتى قيل فيه أنه : لا يقول

الا ما يعرف ، ولا يمتدح الشخص الا بما فيه

٥ - الاعتماد على التصوير الحسي وتجسيد ذلك بالاكثار من

التشابه والاستعارات والكنائيات والطباق والجناس .

٦ - اتسام قصائده بحسن المطلع ، مع عدم توفقه في الكثير منها بالانتقال من غرض لآخر ، بالإضافة لفشله في ايراد الافكار متسلسلة في بعضها .

٧ - البراعة في استخدام الخيال المتصل اتصالاً وثيقاً بالواقع ؛ ووفقاً لمقتضى الحال .

٨ - اليجاز في التعبير عن الأفكار حتى قال عنه ابن سلام : انه يجمع الكثير من المعاني في القليل من الالفاظ .

٩ - الولع الشديد بأحاطة مواضيعه من جميع جهاتها حتى يجسدها أمام القارئ أو السامع كاملة وضمن الأطر المكانية والزمانية والبيئية .

١٠ - التوفيق بين البساطة في الأداء والروية والصنعة الفنية ، وقد تجلّى ذلك بوضوح ، في البعد عن المعازلة والحوشي والغريب ، مع اتزان ظاهر في شتى جزئيات القصائد ، اضافة لاختيار ما يتوافق معها من فنون بلاغة .

١١ - التوفيق في اختيار الالفاظ والتراكيب ووضعها في الاماكن الملائمة لها ، لا فرق ان كان الموضوع قبيحاً ، أو شبه قبيح ، أو حضري .

١٢ - استخدام الاسلوب القصصي في عرض أكثر افكار

قصائده ، وتقريبها للأذهان بصور متلاحقة ملوثة تشكّل كل واحدة منها جزءاً من القصيدة .

١٣ - الاكثار من الحكم والأمثال كتثبيت لأفكاره التي عرضها خلال قصائده .

١٤ - اكساب مواضيعه الأجواء الخاصة بها ، باستخدام الهدوء حيناً ، والتفنن في الحركة أحياناً .



مَنْزِلَتُهُ

أما وقد انتهينا من استطلاع شعر زهير فقد آن لنا أن نبيِّن ما وصله هذا الشاعر من منزلة رفيعة سواء عند الخلفاء ، والرواة ، والنقاد والشعراء .

١ - منزلة زهير عند الخلفاء : لقد ذكرنا أكثر من مرة أن الخليفة الذوَّاقَ عمر بن الخطاب (ر) كان يعجب بشعر زهير حتى أنه كان يقول : أشعر الشعراء من يقول : من ومن ومن . . . ويعني زهيراً كما أنه قال في مناسبة أخرى : كان لا يعاقل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه . . كما أن الخليفة عثمان بن عفان كان يعجب بصدق زهير حتى أنه أنشده مرة بيته الشهير :

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وأردف قائلاً : أحسن زهير وصدق ، لو أن رجلاً دخل بيتاً في

جوف بيت لتحدث عنه الناس . كما وعرفت منزلته عند معاوية
وعبد الملك ، فكانت تروى في مجالسهما أشعاره وأخباره بكثرة .

٢ - منزلته عند الرواة والنقاد والشعراء : ذلك انه ،

ما من راوية أو ناقد أو شاعر ، الا واعترف بفحولة زهير الشعرية ،
ومن هؤلاء : ابن سلام الجعفي الذي قال عنه في كتابه طبقات فحول
الشعراء : كان أحصفهم (أحكمهم) شعراً ، وأبعدهم من سخف ،
وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من النطق (من الالفاظ) وأشدهم
مبالغة في المدح (وأكثرهم أمثالا في شعره) . كما عدّه من شعراء
الطبقة الاولى بعد امرئ القيس والنابغة الذبياني . وقال حماد الراوية :
لم أدرك أحداً من أهل العلم من قريش يفضل على زهير أحداً من
الناس في الشعر ، وكان زهير يقول : ما أنا بأشعر من النابغة ، والعرب
يفضل كل قوم شاعرهم ، غير أن قريشاً قد اتفقت على تفضيل زهير
والنابغة . . وكان قدامة بن موسى من علماء أهل المدينة الثقات يقدم
زهيراً ويستشهد بهذين البيتين :

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون الى أبوابه طرقا
من يلتق يوماً على علاته هرماً يلتق السباحة والندی خلقا
وقال عنه الخطيئة : ما رأيت مثله في تكفّيه على أكتاف القوافي ،
وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداداً وذمماً . . وقال
عكوة بن جوير : قلت لأبي : يا أبت من أشعر الناس ؟ فقال : أعن
الجاهلية تسألني أم عن الاسلام ؟ قلت : ما أردت الا الاسلام ، فاذا

ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير أشعر أهلها .
من كل هذا يتبين لنا أن زهيراً كان من أوائل الشعراء ، وقد
عرف له الجميع منزلته وقيمته فدعوه بشاعر الشعراء . كما استشهد
الكثيرون في كتب الادب بالعديد من أشعاره .

على أننا قبل أن ننهي الحديث عن منزلة زهير وقيمة شعره ،
لا بد من القول ، بأن أشعار زهير قد أصبحت مجالا خصباً لا غارة
بعض الشعراء والأدباء على معانيه ومبانيه ، من ذلك ما أخذه
الطرماح بن حكيم الطائي الشاعر الخارجي المعروف من قول زهير :
كما استغاث بسبيء فزء عيطلة خاف العيون فلم ينظر به الحشك
بقوله :

بادر بالسبيء ولم ينتظر نبه فيقات العيون لا النيام

وما أخذه الحجاج بن يوسف الثقفي من بيت زهير :
وأراك تفري ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفري

بقوله :

اني والله ما أقول الاوفيت ، ولا أخلق الا فريت .

وما أخذه النابغة الجعدي من بيتي زهير :

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها فلاقت بياناً عند آخر معهد
دماً عند شلوتحجل الطير حوله وبضع لحامٍ في اهاب مقدّد

بقوله :

ولاقت بياناً عند أول معهد اهاباً ومعبوطاً من الخوف أحمر

وما أخذه كثير بن عبد الرحمن (المعروف باسم كثير عزة)
الشاعر الشيعي المعروف من بيت زهير :

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً فيظلم أحياناً فيظلم

بقوله :

وأيت ابن ليلى يعترى صلب ماله مسائل شتى من عني ومصرم

وما أخذه بشار بن برد من بيت زهير :

وليس لمن لم ير كب الهول بغية وليس لركب خطه الله حامل

بقوله

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه

وما أخذه أبو نواس (الحسن بن هانيء) من بيت زهير

يجرّون البرود وقد تمشت حمياً الكأس فيهم والغناء

بقوله :

فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

وفي شعر الحطيئة وسواه من الشعراء ، آثار واضحة تدل على

اغارتهم على شعر زهير بما لا يتسع المجال لذكرها .

عُيُوب شِعْرِهِ

على الرغم من الحسنات الكثيرة لشعر زهير، فاننا نجد بعض المهفوات التي يؤخذ على زهير ايرادها في شعره وهي :

- ١ - سوء التخاص من غرض لآخر ضمن القصيدة الواحدة والاستعانة بأمثال هذه العبارة: دع ذا وعدّ التول .. دع ذا وسل
- ٢ - الجهل العامي الذي ظهر في بيته الذي يصف فيه خروج الضفادع من الماء :

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغمّ والعرقا
فالمعروف ان الضفادع لا تخرج من الماء لحوفها من العرق وانما
لتبيض على الضفاف .

- ٣ - الجهل التاريخي الذي ظهر في بيته عند وصف الحرب :
- فتنتج لكم غلمان أشام كلّهم كأحمر عاد ثم ترضع فتقطم
وكان من المفروض به أن يورد كلمة أحمر ثود بدلاً من أحمر
عاد لأن عاقر الناقة من ثود لا من عاد .

٤ - الاغارة على شعر الآخرين كأمريء القيس ، وأوس بن حجر وطرفة بن العبد .. فقد أخذ بيته :

فلأيا بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوبك ظماء مفاصله

من بيت أمريء القيس :

فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك السراة مجنب

وأخذ بيته :

• لدى أسدشاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

من بيت أوس بن حجر أستاذة :

• لعمرك انا والاحاليف هؤلاء لفي حقبة أظمارها لم تقلم

وأخذ بيته :

• ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

من بيت طرفة بن العبد :

• لحولة أطلال ببرقة ثهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

٥ - التناقض في البيت الواحد مثال :

• حيّ الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

• وكل محب أحدث النأي عنده سلو فؤاد غير حبك ما يسلو

لقد نفى عن الديار التغير بسبب القدم، ثم أثبت لها التحول بالافكار

وكذلك ما فعله في : صحا القلب .. وقد كاد لا يسلو .. وكل

محب أحدث ..

٦ - الزندقة : وقد رمي بها لايراده هذا البيت الذي يناقض
إيمانه .

● رأيت المنايا خبط عشواء من تصب نمته ومن تخطىء يعمّر فيهرم

٧ - الحشو واللغو الذي لا طائل منه : مثل قوله :

● سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

● واعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

ففي الأول أورد المبدأ ، ثم أنهى الفكرة قبل انتهاء البيت ، وفي
الثاني- وضع كلمة قبله بشكل لا يفيد ... وقبله ضعف كلمة رك وجعلها
ركك في بيته :

● ثم استمروا وقالوا : ان مشربكم ماء بشرقي سلمى فيدُ أوركك

٨ - الخطأ في حركة القافية وإيرادها بالجر - بدل الرفع (وهو

ما يسمى بالاقواء) في بيته :

● لعب الرياح بها - وغيرها بعد سوا في الريح والقطر



النا بغة الذبياني

حياته

أسماءه ونسبه :

هو زياد بن معاوية بن ضباب ينتهي نسبه الى ذبيان ،
ثم الى قيس عيلان ، ويكنى بأبي أمامة (أو ثامة) ، وبأبي عقرب ،
وهما ابتناه ، كما يلقب بالنابغة لأسبابٍ اختلف فيها الرواة ، منها :
- لأنه قال :

وحدت في بني القين بن جسرٍ فقد نبغت لهم منا شؤون
- أو لأنه كان ظاهراً متميزاً في قومه .

- أو لأنه كان ذا شاعريةٍ متدفقةٍ ، دون أن يرث هذه الصفة
عن قرابةٍ أو نسب .

وقد اشتهر بالذبياني ، تفرقةً له عن شعراء آخرين سُموا بالنابغة
منهم : النابغة الجعدي ، والنابغة الشيباني ، ونابغة بني الديان .
وأمه عاتكة ، وله أخ اسمه صحر .

حياته :

لا يعرف تاريخ ولادة النابغة ولا مكانها ، وما يذكره الرواة لنا بهذا الصدد محدود مضطرب . وهو من طبقة متميزة في قومه الأمر الذي يناقض قول بعض الرواة : (انه أحد الاشراف الذين غضّ الشعر منهم) ، بل في الواقع أنه ازداد شرفاً ومكانة حين صار شاعراً .

وكان في البداية شاعر قبيلته ، فاهتم بالسياسة القبلية التي كانت متركة حول خصام قبيلتي عبس وذبيان ، بعد سباق داحس والغبراء ، ثم بمحاولة كل من هاتين القبيلتين جمع الانصار ، والتحالف مع القبائل الأخرى ، فتحالف الذبيانون مع بني تميم ، ثم مع بني أسد وغيرهم كما استعانوا بالنعمان . . وتحالف العبسيون مع بني شيبان ثم مع بني سعد ، كما تحالفوا أخيراً مع بني عامر وكانوا سابقاً أعداءهم . ثم انتقل النابغة من بيئته البدوية الى بلاط المناذرة والغساسنة ، وأصبح شاعر ملوك هاتين الدولتين - اضافة الى كونه شاعر قبيلته - ونعم زماناً بالاكرام فيهما . . وقد اختلف الرواة في شأن اتصال النابغة بالمناذرة والغساسنة وأيهما كان أولاً ، بيد أن الاكثرين يرجحون اتصاله بالمناذرة أولاً .

اتصاله بالمناذرة :

وقد اختلف الرواة والمؤرخون أيضاً في اتصال النابغة بالمناذرة

من نواح متعددة، منها سبب هذا الاتصال وبدايته ، ثم مبدته ،
وأخيراً سبب انقطاعه :

- فهناك من يؤكّد اتصال النابغة بالمنذر الثالث بن ماء السماء
(٥٠٥ - ٥٥٤ م) .

- وفي ديوان النابغة قصيدة يمدح بها عمرو بن هند .

- وجاء بعد عمرو بن هند ، قابوس ، ثم المنذر الرابع ،
والمؤرخون لا يذكرون للنابغة اتصالاً ما بهما (لانهما كه كما يرى
بعضهم بالسياسة القبلية) ، ثم يأتي بعد المنذر الرابع ، النعمان الثالث
أبو قابوس (من ٥٨١ م تقريباً) و يقيم النابغة في بلاطه سبع
سنوات لا يمدحه خلالها ، او لا يذكر لنا الرواة أنه مدحه الا
بقصائد باهتة على الرغم من الاكرام الكثير الذي لقيه عنده .

ويقع الخلاف بين النابغة والنعمان ، فيدّعه هذا ويتوعده فيفرّ
الشاعر الى قبيلته ، والى الغساسنة ، أما سبب هذه النعمة عليه فقد
اختلف فيها الرواة كما يلي :

- قال بعضهم بسبب المتجردة ، زوج النعمان ؛ التي أحبها
النابغة وتغزل بها لدرجة التعهر .
- وقال آخرون بسبب أبيات هجاء زُعم للنعمان أن النابغة
قالها فيه .

- كما قيل بسبب وشايات متعددة من دسّاسين كثيرين حسدوا
النابغة ، فأوغروا صدر النعمان عليه وأشهر هؤلاء : مرّة بن سعد بن

قريع ، والمنخّل الشكري ، وعبد القيس بن خفاف التميمي .
- كما قيل بسبب مدح النابغة الغساسنة أعداء النعمان أبي قابوس
وقاتلي أبيه .

اتصاله بالغساسنة :

اتصل النابغة بالغساسنة قبل اتصاله بالنعمان أبي قابوس ؛ ثم في
الفترة التي كان فيها بصحبته ، مما أوغر صدره عليه ، وأحفظه ، ثم بعد
أن فر منه .

وكان الغساسنة يقدّرون النابغة حقّ قدره ، ويتجلى لنا ذلك
أيام يغير الزبديانيون على أطراف دولة الغساسنة للسلب والنهب ، ثم
يُغلبون ، ويأخذ الغساسنة منهم الأسارى ، إذ تقبل شفاعاة النابغة في
قومه فيطلق الاسرى .

وقد مدح النابغة من الغساسنة : عمرو بن الحارث ثم أخاه النعمان
(أبو كرب) الذي قتل فرثاه .. كذلك مدح النعمان بن وائل
بن الجلاح قائد الحارث .

حنينه للمناذرة وعودته اليهم :

عاد بالنابغة الحنين الى النعمان أبي قابوس بعد الجفوة والوعيد ،
واختلف الرواة في سبب هذا الحنين ، وجدّيته ، ومن ثمّ ، في سبب
العودة الى بلاطه .

- قيل ان النابغة كان خائفاً من النعمان الذي هدّده وأوعده ،
ويناقض هذا القول بُعد النابغة عن المناذرة وهو في حمى قومه ، وفي

بلاط الغساسنة .

- وقيل أنه طمع بالنوق العصافيرية التي كانت من أعطيات أبي قابوس الكثيرة .

- وقيل أن النعمان مرض مرضاً شديداً اقعده ، وبلغ ذلك النابغة ، فثار به الحنين للصديق القديم .

في هذه الفترة قال النابغة اعتذارياته المشهورة التي خلّدتة .. ومن ثم فقد عاد النابغة الى النعمان الا أن هذه العودة لم تطل به . اذ هاجم كسرى النعمان فهرب ، ثم لم يلبث أن قبض عليه وتشتت شمل بلاطه . وعاد النابغة الى قبيلته فعاش فيها ، وكان قد أسن ، ثم لم يعرف له بعد ذلك خبر ، ويرجح البعض أنه توفي قبيل مبعث النبي (ص) بقليل ، حوالي ٦٠٤ م .

صفات النابغة و اخلاقه ودينه :

كان النابغة حسن الهيئة ، ذا ضفيرتين على كتفيه ، جميل الطلعة ، حسن الحديث ، جالس الملوك ، وعرف بالتعقّل ، بما أكسبه مكانة عند قومه و غير قومه ، وجعل له فضل الرأي والمشورة ، وكان عفيف النفس واللسان ، لم يعرف بالكرم ، ووصفه بعضهم بالبخل والتطيّر والتشاؤم ، وكان يبتعد عن السوق بشعره ، فلا يمدحهم ولا يمجّوهم الا مضطراً . وكان رجلاً سياسة ، حنّكتة التجارب وصقلته الاسفار ، كما كان حكم الشعر في عكاظ . ويستدلّ من شعره أنه كان مؤمناً بالله ، فليس وراء الله للمرء مذهب ، ويقسم بما يقسم به

العرب من مقدسات : (بالذي مسحت كعبته .. بالدماء المراقبة على الانصاب .. بالذي آمن الطير في الحرم) . كما كان مؤمناً بالجن فيستشهد بهم في شعره ، وبالاساطير الدائرة حولهم :
 وخيِّس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفائح والعمد
 ويعتبر النابغة أول من تكسب بالشعر ، فقد كان طماعاً محباً للمال
 على غنى ، أراق وراءه ماء وجهه وتذلل طالباً الأغطية تصريحاً وتلميحاً
 حتى ولو نعت نفسه بأنه عبدٌ من العبيد (ولا يحول عطاء اليوم
 دون غد - فان ألك مظلوماً فعبد ظلمته) .



مَنْزِلَتُهُ

ان جميع الذين عاصروا النابغة ، وجميع الذين اشتغلوا بالأدب
في العصور التالية قد اعترفوا له بالفضل والتفوق في الشعر ، الا أنهم
اختلفوا في مرتبته بين فحول شعراء عصره ، كزهير وامرئ القيس .
ففي الجاهلية : اعترافاً بمكانته وحسن تذوقه للشعر جعله الشعراء
حكمهم في عكاظ ، ونصبوا له فيها قبة ، ومن الذين أنشدوا أمامه :
الأعشى ، وحسان بن ثابت ، والحُنساء ابنة عمرو ، وفي كتب الادب
قصة تنافس مرثد بن حسان والحُنساء أمام النابغة .

وقد كان النابغة يدرك قيمة شهره ، وجريان قصائده على اللسان
فاستخدم ذلك في التهديد والوعيد :

قوافي كالسلام اذا استعرت فليس يردّ مذهبها التظني (١)
بهنّ أدبن من يبغى أذاتي مداينة المداين فليدنني (٢)
ومما لا خلاف فيه ، ان النابغة من شعراء الطبقة الاولى وقد عدّه ابن
سلام الجمحي بعد امرئ القيس ، وقبل زهير والاعشى .

١ - السلام مفردهما : سلمه : الحجاره ، التظني : اعمال الظن ٢ - أدين : أجزى .

وأورد ابن قتيبة في الشعر والشعراء : ويقال : كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف ؛ ونبغ بالشعر بعد أن احتكك ، وهلك قبل أن يهتر .

وقال الأصمعي : كان أوس بن حجر فحل العرب ، فلما نشأ النابغة طأطأ منه .

وقال أبو عبيدة : أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة .

وسئل يونس بن حبيب النحوي عن أشعر الناس فقال : لا أومىء الى رجل بعينه ، ولكن أقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب .

العوامل التي كوَّنت شخصية النابغة الشعرية

١ - البيئة البدوية :

عاش النابغة فترة شبابه في قبيلة ذبيان ؛ التي اشتهرت بفصاحة اللسان وسلامة السليقة ، وبالنجدة والبأس ، فكان لا بد أن يكتسب عنها هذه الصفات .

وقد ظل شعره مطبوعاً بالطابع البدوي (رغم تأثره بالجو الحضاري في بلاطي المناذرة والغساسنة) ويظهر هذا الطابع البدوي على أشده في الخطوط الرئيسية التالية :

١ - المحافظة على هيكل القصيدة العام وذلك من حيث : عدم

وحدة موضوع القصيدة ، وتعدد أغراضها ، واستهلاكها بالوقوف على الاطلاع والنسب ، ثم استقلال البيت الشعري ، والتقيد بالطرق البدوية في صياغة الشعر ، وفي انشاده .

ـ **الاقتصار على الفنون الشعرية السائدة آنذاك :** من مدح وهجاء ، ووصف ، وغزل .. الخ .

ـ **استعمال الألفاظ البدوية والاكثر من التشبيهات المستمدة من طبيعة البيئة البدوية كقوله :**

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي^٢ به القار أجرب
أو قوله : كذي العر^٣ يكوى غيره وهو راتع^(١)

وان نظرة واحدة يلقيها المرء على دالتيه « يادارمية بالعلباء »
توضح الكثير ، الكثير من أثر البيئة البدوية في شعره .

٢ - البيئة الحضارية :

لم يكن لاتصال النابغة بجضاري المناذرة والفساسنة ، أثر كبير على شعره ، سوى ما نلاحظه من نعومة الالفاظ في بعض النواحي . ونحو الحس الموسيقي في تذوق الكلمات ، ورشاقة البحر الشعري ... وقصيدة النابغة في المتجردة ، هي المثال الحسن لهذا الأثر ، فالمعاني بدوية ، والالفاظ فيها الكثير من ترف الحضارة .

١ - العر : الجرب (المذوق) ، يكوى غيره : يكوى السليم الوقاية .

٣- الأسفار :

حياة النابغة رحلة طويلة بين أضلاع مثلث رؤوسه الخيرة وبصرى
موقلب شبه الجزيرة العربية ، وهذه الاسفار الطويلة ، أوقدت في
نفس النابغة الهادئة الرزينة حس التأمل ، كما أنها هي التي تبرر وصف
الحيوان الكثير في شعره ، وخاصة ناقته ، عدة سفره ، وأنيس
وحده في القفار ، فلا غرو أن يصفها ويكثر من وصف سرعتها
وصبرها وقوتها .



أغراضه الشعرية

للنابغة ديوان شعر اعتني بطبعه وشرحه مرات متعددة، كثير من المشتغلين بالأدب وأشهر شراحه، أبو بكر البطليني، وأفضل قصائده: الاعتذاريات، وداليته في المتجردة، وبأنيته في مدح الغساسنة.

وقد اختلف الرواة فيما إذا كان النابغة من أصحاب المعلقات أم لا، فالزوزني لم يذكره مع أصحاب المعلقات، في حين اعتبره المفضل الضبي وأبو عبيدة وغيرهما، منهم، ويعتبر الجمهور أن معلقته هي قصيدته التي مطلعها:

● يادارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الامد

أو التي مطلعها:

● عوجوافحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحييون من نؤي وأحجار

وشعر النابغة متنوع يشمل أكثر الفنون الشعرية السائدة في عصره وسنتناول فيما يلي كل غرض من شعره على حده.

الاعتذار

لعل أروع أشعار النابغة هي اعتذارياته، لأنها سبب شهرتها وذبوع صيته ، ومن ثم سبب اقبال المشتغلين بالادب على دراسة شعره .. ويعود ارتفاع قيمة هذه الاعتذاريات الى أسباب كثيرة فنية وموضوعية نقتطف منها ما يلي :

١ - أنها فن جديد لم يكن معروفاً من قبل ، ولم تحمل الإنشاء أسفار الادب الجاهلي في الاعتذار أية قصيدة سواها، وذلك على ما يظهر عائد لطبيعة البداوة القاسية والحياة الابية الكريمة التي كان يحياها. عرب الجزيرة بحيث يشكل الاعتذار انتقاصاً منها .

٢ - أن فيها عاطفة فياضة مؤثرة ، اذ تنقل القلب السامع احساسات الشاعر بجرارة وعنف، حتى لقد حارنقاد الادب واختلفوا في صدقها ، فهل هي منبعثة من ضمير الشاعر ؟ أم أن الشاعر يزيّف عاطفته بمهارة طمعاً بكسب مادي أو معنوي ؟.

٣ - أنها تجمع بين أكثر الفنون الشعرية المعروفة : أي أن الفنون الشعرية الاخرى أجزاء في بناء قصيدة الاعتذار : فالمدح

والهجاء والحكمة والوصف ، تتعاون جميعها في خدمة فكرة الاعتذار .
أسباب قصائد الاعتذار .

اختلف رواة الادب قديماً وحديثاً في الاسباب التي حملت النابغة على نظم قصائد اعتذاره ، وقد أوردنا سابقاً لمحة عن حياة النابغة ، وبيننا علاقته بالمناذرة ، ثم خلافة مع أبي قابوس ، وهربه منه ، بعد أن بلغه وعيده... ومن شئ النابغة نستطيع أن نتبين هذه الاسباب التي يمكن إيجازها بما يلي :

أ - خوف النابغة من النعمان : والنعمان لم يواجه النابغة بمكروه ، إنما ورد للنابغة من أصحابه ، أو بمن يظنهم أصحابه أن النعمان يتوعده . ويوشك أن يفتك به فتلقى هذا وعيد النعمان وراح يصف خوفه فقال :

- وعيد أبي قابوس في غير كنهه أنا في ودوني راكس فالضواجع (١)
- أنا في - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب (٢)
- نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الاسد

ب - الرغبة في الاستزادة من عطاء النعمان : ولكن الخوف لم يكن وحده الدافع الى هذه الاعتذاريات بدليل أنه يبدو مصطنعاً مزيفاً لا حقيقة له ، وباعتبار أن النابغة كان منيعاً في قومه ، وعند الغساسنة ، إضافة الى أننا لمج في شعره الطمع بالعطاء تصرحاً وتلميحاً كقوله :

- الواهب المنة المعكاء زيتها سعدان توضح في أوبارها اللبد (٣)

١ - في غير كنهه : في غير موضعه من الحق ، راكس ، الضواجع : مكانان .
٢ - أنصب : أنعب ، أعيا . ٣ - المعكاء : الغلاظ الشداد . سعدان : نبات يسمن الابل توضح : مكان ، تجادع : تشاتم .

- يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد^(١)
- وأنت ربيع ينعش الناس سديه وسيف أعيرته المنية قاطع

ج - الصداقة : لا نريد أن نظلم النابغة في شيء ، فقد تكون
الصداقة هي الدافع الحقيقي ذلك أن النعمان صديق الشاعر ، صاحبه
في مجلسه سنوات سبعاً كان فيها موضع الحفاوة والاكرام ، والنابغة
في اعتذارياته أراد تبرئه نفسه من خيانة هذه الصديقة

لعمرى وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلا علي الاقارع
اقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع
أناك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدو مثل ذلك شافع
أناك بقول هلهل النسيج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع

اسباب خلاف النابغة مع النعمان

ذكر كثير من الرواة ، أن خلاف النابغة والنعمان ، كان بسبب
تعهمّر الاول في وصفه للمتجردة ؛ أو في علاقة مشبوهة معها اكتشفها
يوماً ما زوجها أبو قابوس ... ونحن نعتقد أن الامر ليس كما ذكروا
والا لوجدنا محاولة الشاعر الجدية لتبرئة نفسه من هذه الوصمة الخلقية
التي تؤذي أخلاق النابغة الشخصية المتعفة قبل أن تؤذي صداقته بالنعمان
وقصيدة النابغة الدالية التي قيل أنها في المتجردة نشك في أنها قيلت بها
أو بسببها وذلك :

١ - السيب : العطاء ، النافلة : الزيادة .

- للافحاش الوارد في أبياتها الأخيرة ، وهذا مانجده بعيداً عن
عن طبع النابغة الذي يظهر لنا في باقي غزله عفيفاً .

- لورود أسماء غير المتجردة التي لم يرد اسمها فيها ، كمية ، ومهدد ..
ومن الرجوع الى شعر النابغة الذي بين أيدينا نقع على أسباب
الخلافا التالية :

١ - اتصال النابغة بالفساسنة قاتلي المنذر والد النعمان أبي
قابوس وأعداء المناذرة ، ومدحه اياهم ، بدليل تبرئة النابغة نفسه بقوله :

ملوك واخوان اذا ما أنتيتهم أحكمّ في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك اذنبوا

٢ - وشاية أحد الاقارعة ، وهو مرّة بن سعد بن قريع الذي
زعم أن النابغة قد قال فيه أبيات الهجاء التالية :

حدثوني بني الشقيقة ما يمنع فقماً بقرقر أن يزولا (١)
قبّح الله ثم ثنّى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا (٢)
من يضر الادنى ويعجز عن ضر الاقاصي ومن يخون الحليلا
يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتिला

وينكر النابغة أن يكون قد قال شيئاً من هذا ، ويتهم الاقارعة
بالكذب :

● لعمرى وما عمري علي بهيّن لقد نطقت بطلا عليّ الاقارع

١ - بني الشقيقة : أراد قوم النعمان ، الفقع : الكمأة البيضاء الرديئة ، قرقر :
الارض اللينة المطمئنة . ٢ - الصائغ : أراد به عطية ، أبا سلمى أم النعمان وكان صائغاً -

أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع
• أذاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع

مضمون قصائد الاعتذار :

إذ استثنينا ما ورد في قصائد الاعتذار من مقدمات تقليدية في
وصف الأطلال والغزل ، واستطرادات في وصف الناقة ، فإننا نجد في
قصائد الاعتذار المضمون التالي :

أولاً - يصف النابغة لنا كيف تلقى الوعيد ويحدد المكان :
«وعيد أبي قابوس في غير كنهه أناني ودوني راكس فالضواجع
ثم يذكر كيف بات ليلته قلقاً مضطرباً بعيداً عن الأمن
والهدوء كأنّ فراشه من شوك أو كأن حية لدغته :

- فبتّ كأنني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمّ ناقع^(١)
- فبتّ كأن العائدات فرشنني هراساً به يعلى فراشي ويقشب^(٢)

ثانياً - مدح النعمان: ويختلف هذا المدح في الاعتذاريات بعض الشيء
عن المدح ، في القصائد الأخرى ، إذ أنه واقع هنا بسبب الرهبة والرغبة
معاً ، بينما يرد في القصائد الأخرى بسبب الرغبة في العطاء أو الشكر
عليه .. كما أن المدح هنا يأتي صريحاً أحياناً ومستتراً وراء معان
شعرية أحياناً أخرى ، وقد يكون هذا أبلغ في المدح من التصريح ،

١ - ساورتني : وأثبتني ، الرقش : الحية المنقطة ، ناقع : ثابت دائم .

٢ - العائدات : زائرات المريض ، الهراس : نبات كثير الشوك ، يقشب : يتجدد .

من ذلك ما يذكركه النابغة لدى تلقّيه وعيد النعمان وكيف اضطرب
وفقد الامن والسكينة، وكأنّه يمدحه بالمهابة والقدرة، والتمكن من
تنفيذ الوعد، وهو الامر الذي لا ينكره النابغة، بل نراه يصرح به
بقوله :

مقالة أنّ قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

ويمتاز مدح النابغة في اعتذارياته :

١ - بأنه غير واقعي ففيه كثير من الغلوّ ولكنه غلو مستحب
يجمّله حيويّة التشبيه وروعه .. أي أن جمال الغلو في المدح عائد الى
جمال التشبيه كقوله :

● فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
● فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المنتأى عنك واسع
٢ - ان المدح يجري بأوصاف ترضي الممدوح، ومن هنا اشتهر
النابغة أنه يخاطب الناس كلاماً بما هو أهل له .

٣ المقارنة بين الممدوح والشاعر الذي يتواضع الى الدرك
الاسفل ليظهر بالتالي عظمة النعمان :

مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع
أتوعد عبداً لم يخنك أمانةً وتترك عبداً ظالماً وهو ظالم
وأنت ربيع ينعش الناس سيده وسيف أعيرته المنية قاطع

فالشاعر ليتمكن من اظهار قوة النعمان (أي ليقول له أنه سيف-
أغيرته المنية) مهّد لذلك بتذليله وجعل نفسه عبداً من العبيد .

ثالثاً - الهجاء : يهجو النابغة في اعتذارياته بأبيات متفرقة حارة ،
الاشخاص الذين كادوا له ، ويتهمهم بحب الشر ، وبالغش والخيانة ،
ويطلب من النعمان معاقبتهم وأخذهم بجرمهم :

- لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغشّ وأكذب
- لعمرى وما عمري عليّ بيّين لقد نطق بطلاً عليّ الأقارع
- أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قروء تبغني من تجادع
- لكأنتني ذنب امرئ وتركته كذي العريّ كوى غيره وهوراتع
- أتوعد عبداً لم يخنك أمانة وتترك عبداً ظالماً وهو ظالع

رابعاً - دفاع النابغة عن نفسه :

يدافع النابغة في اعتذارياته عن نفسه دفاعاً مرأً ، محاولاً استرضاء-
النعمان ، وإبعاد التهم الملصقة به ، ويستخدم في دفاعه مجموعة من
التبريرات ، يمكن تصنيفها بما يلي :

١ - التبريرات المنطقية العقلانية : وفيها يدعو النابغة النعمان أن-
يحكم كحكم فتة الحي . . أو حكم سليمان الذي قال الاله له :

..... قم في البرية فاحدها عن الفند^(٢١)

فمن أطاعك فأنفعه بطاعته كما أطاعك وادله على الرشد

كما نرى النابغة هنا يناقش ويستشهد بالأدلة والمنطق كقوله مبرراً
علاقته بالغساسنة :

ولكنني كنت امرأاً لي جانب من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان إذا ما أتيتهم أحكمهم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
ومن ذلك قوله في رد وشاية مرة بن سعد بن قريع :

أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدوٍّ مثل ذلك شافع
فالوشاية من العدو، شهادة بالبراءة...

٢ - التبريرات العاطفية : وهي محاولة التأثير في عواطف النعمان،
واظهار البراءة هنا لا يتم عن طريق الاقناع العقلافي، بل عن طريق
الارضاء العاطفي، وما المدح الذي يكيّله النابغة في شعره للنعمان الا
نوع من التأثير العاطفي .. ومن هذه التبريرات :

أ - النفي المطلق للتهمة مهما كانت الشروط والظروف كقوله :
أتاك بقول لم اكن لاقواه ولو كبتات في ساعديّ الجوامع^(١)
ب - التأكيد بـ مختلف الوسائل على كذب التهمة ، وحقيقة
البراءة ... ومن هذا التأكيد :

- تكرار الكلمات والمعاني كقوله :

أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدوٍّ مثل ذلك شافع
أتاك بقول لهلhel النسج كاذب ولم يأت، بالحق الذي هو ناصع

فعدا تكرار كلمة أتاك، نلاحظ أن صدر البيت الثاني له نفس معنى عجزه ، وان اختلفت الكلمات ، وطريقة الاداء ، أي ان هناك تكراراً لفظياً لكلمة اتاك ، وتكراراً معنوياً لصدر البيت الثاني في عجزه .

- بالدعاء على نفسه كقوله :

ما قلت من سيء مما أتيت به إذن فلا رفعت سوطي الي يدي
إذن فعاقبني ربي معاقبة قرت بها عين من يأتيك بالفند
- بنون التوكيد : لا تقذفني بركن لا كفاء له ... فلا تتركني

بالوعيد كأنني ...

- بالقسم : وهو آخر وسيلة يدافع بها المتهم عن نفسه بعد أن تعيا وسائله فيقسم النابغة بالله ، وبالمقدسات التي تملأ قلب النعمان قناعة بطهارة القسم ، وصدقه ، وبالتالي بالبراءة :

- حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
 - حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
 - بـمصطحيات من لصاف وثيرة
 - عليهن شعث عامدون لحجّهم
 - فلا لعمر الذي مسحت كعبته
 - والمؤمن العائذات الطير تمسحها
 - ما قلت من سيء مما أتيت به
- وإيس وراء الله المرء مذهب
وهل يأتين ذو أمة وهو طائع^(١)
يزرن إلا لآسيرهن^(٢) التدافع^(٣)
فهن كأطراف الخني^(٣) خواضع^(٣)
وما هريق على الانصاب من جسد
ركبان مكة بين الغيل والسعد^(٤)
.....

١ - أمة : دين . ٢ - لصاف وثيرة : موضعان ، الال : جبل بعرفة . ٣ - الخني : القسي . ٤ - الغيل والسعد : أجتان قرب مكة وهن .

المظاهر الفنية الأخرى في قصائد الاعتذار

في قصائد الاعتذار ، نواح فنية كثيرة ، يجدر بنا الوقوف عندها لأنها كبيرة الدلالة على شخصية النابغة ، كما تظهر بوضوح الأسباب التي جعلت الاعتذاريات متروعة بالألوان الجمالية الزاهية ، وبالشحنات العاطفية المؤثرة ومن هذه النواحي :

آ - التركيز والجهد العقلي الذي بذله النابغة : في رسم مخطط قصائده ، وفي صياغة عباراتها ، ثم في زخرفة الصور ووضع اطاراتها ، وبما لا شك فيه أن قصائد الاعتذار ليست بنت ساعتها وهي بعيدة عن الارتجال والعفوية .

فالنابغة حين يرسم لنا لوحة لا يكتفي بضربة ريشة سريعة ، بل نجده يلح على الصورة بألوان كثيرة وانفعالات متنوعة مستكملاً جوانبها بحيث تؤدي مهمتها في القصيدة .

فاذا أراد أن يظهر لنا قلقه من وعيد النعمان ، مثل نفسه كمن لدغته حية ، ثم عمد الى الحية فاستزاد من هولها وشدها ، فاذا صارت مربعة كل الرعب قارنها بالرعب الذي حمه اليه وعيد النعمان :

فبت كآني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التام سليمها حلبي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراؤون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع
ويريد النابغة أن يمدح النعمان بالكرم وأن يشبهه بالفرات (وهل عرف النابغة أكبر من الفرات) فيلح عليه بالالوصاف التي تزيد من

امواجه ، وروافده ، وما يحمله ماؤه ، فاذا بلغ به الحد الكافي ،
قال : ان الفرات دون كرم النعمان :

فما الفرات اذا هب الرياح له ترمي اواذيه العبرين بالزبد (١)
يمده كل واد مترع لجب فيه ركام من الينبوت والحضد (٢)
يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

وفي القسَم تظهر النواحي العقلانية في التركيز على جزئيات
معينة ، وايضاها ، فليس القسم هو المقصود ، بل المقصود تلك
الصور الصغيرة ، ودقائقها وجزئياتها ، هذه الجزئيات هي التي تجعل
الحشوع يتسرب هيئناً ، وببطء متكامل الى قلب النعمان ، فاذا ما
صار اليه ملاء قناعة بطهارة القسم ، وصدق صاحبه :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثن ذو أمة وهو طائع
بمصطحات من لصاص وثبرة يزرن الا لا سيرهن التدافع
سماماً تباري الريح خوصاً عيونها لهن رذايا بالطريق ودائع
عليهن شعث عامدون لمحبهم فهن كأطراف الحني خواضع

ومن النواحي العقلانية الاخرى الظاهرة في الاعتذاريات ، هذه
الحكم المنشورة في لوحات القصائد ، وفي شطور الابيات ، وهي اما
تقريرية كأنها المثل أو تأتي في شكل استفهام عام غير محدود .

١ - العبران : النابتان . ٢ - الينبوت : شجر الحشخاش ، الحضد : ما تكسر
من الاشجار .

وهذه الحكم يكثر فيها التقوى والاعتبار والرغبة ، ثم القناعة
وتسليم الامر الى الله :

- أبى الله الا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
- حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثن ذو أمة وهو خاضع
- حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
- ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أيّ الرجال المذهب

ب - وصفة ثانية تظهر مشرقة في قصائد الاعتذار سوى ما
ذكرنا من تركيز عقلائي فيها وهي غزارة الأخيلة وواقعيتها :

قصائد النابغة عمرماً مليئة بالصور ولكن الاعتذاريات اكثرها
غنى ، وتتصف هذه الصور بالحياة والحركة . كما أنها مستمدة من
الواقع ومن البيئة التي عاش فيها الشاعر فما ان تذكر اولى ملامح
الصورة حتى يستكمل ذهن السامع جميع التفاصيل لانها معروفة
لديه بالمعاناة والتجربة . . وعودة واحدة الى الامثلة التي ذكرناها قبل قليل
توضح هذه الناحية المهمة .

ج - تظهر العاطفة حارة في قصائد الاعتذار عموماً وهي هادئة
في الدالية (يا دار مية) مندفعة في القصيدة العينية (عفاذوحسا) ،
وتميل العاطفة الى اليأس والشعور بالمرارة في الايات الاخيرة من
كل قصيدة بوجه عام ، اذ يتمثل النابغة ابن النعمان كذبه ، وان
حلفه وقسمه لم يفده كقوله :

● فان كنت لا ذو الظعن غني مكذب

ولا حلفي على البراءة نافع

ولا أنا مأمون بشيء أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المنتأى عنك واسع

● فلا تتوكلني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار أجرب

● فان ألك مظلوماً فعبد ظلمته وان تك ذا عتبي فمثلك يعتب

● ها ان ذي عذرة الاتكن نفعت فإن صاحبها مشارك النكد



سمر النابغة السياسي

ونعني به الشعر الذي قاله النابغة بسبب الواقع القبلي المحيط بقبيلته
ذبيان ، فنحن نعلم أن حرب داحس والغبراء اضطرت عبساً وذبيان
الى جمع الحليفات وكسب الانصار ، فتحالفت عبس مع بني شيبان
وبني عامر ، وتحالفت ذبيان مع بني أسد، وشددت على هذا التحالف ،
ثم مع بني تميم ..

فمن علاقات هذه القبائل ، يتكون الجو السياسي العام الذي
خاضه النابغة بشعره متضامناً مع قبيلته ؛ مدافعاً عن مصالحها ، وكان
له فيها مواقف متعددة تبلورت بما يلي :

أ - الهجاء : فقد هجا النابغة كل من حرض على تفتيت أحلاف..
ذبيان ، أو الحط منها ، وخاصة ما يتعلق بأبعاد قبيلة أسد عنها .
فهؤلاء بنو عامر ، يفاوضون حصن بن حذيفة وعيينة بن حصن..
طالبين أبعاد بني أسد عن الحلف ، واعدن بالانضمام اليه ان أبعدت..
ويهم عيينة بذلك ، وتغضب ذبيان ، ويتمثل غضبها في قصيدة شاعرها؛
النابغة مخاطباً زرعة من بني عامر :

«قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوام»^(١)
 يا بؤى البلاء فلا نبغي بهم بدلاً ولا نزيد خلاء بعد احكام
 وهذا عينة يحاول أن يخرج بني أسد من حلف ذبيان فيها جمه
 «النابعة قائلاً :

ألكني يا عيين اليك قـولاً سأهديه اليك ، اليك غني^(٢)
 «قواني كالسلام اذا استمرت فليس يردّ مذهبها التظنّي
 أتخذل ناصري وتعز عبساً أيربوع بن غيظ للمعن»^(٣)
 الى أن يقول :

اذا حاولت في أسد فجوراً فاني لست منك ولست مني
 ب - ويمدح النابعة الحلفاء ذاكراً أسماءهم ، ووقائعهم ،
 «ومفاخرهم ، ابقاء للحلف ، وربطاً للقلوب عليه ، ومن ذلك قوله في
 تعداد الحلفاء بشكل يظهرهم كثيرين :

«رهط ابن كوز محقبي أدراعهم منهم ورهط ربيعة بن حذار»^(٤)
 «ولرهط حرّاب وقدّ سورة في المجد ليس غراهم بمطار»^(٥)
 «وبنو قعين لا محالة أنهم آتوك غير مقلّمي الأظفار
 وقوله في تعداد الأيام والمفاخر في مدح بني اسد :

«فهم درعي التي استلأمت فيها الى يوم النصار وهم مجنّي»^(٦)
 «وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ اني»^(٧)

١ - خالوا : أخذوا من حالكم ٢٠ - ألكني : ابلغ رسالتي . ٣ - المعن : المتدخل فيما لايعنيه .
 ٤ - كوز : من بني مالك بن ثعلبة ، محقبو أدراعهم : جاعلوها كالخقية ، ربيعة بن
 حذار : من بني سعد . ٥ - حراب وقدّ : من بني اسد ، ليس غراهم بمطار :
 كناية عن الحصب . ٦ - استلأمت : جعلتها درعا ، النصار : يوم من أيام العرب ،
 «المجن : الترس . ٧ - الجفار : ماء لبني تميم .

شهدت لهم مواطن صادقات أتينهم بود الصدر مني
 وهم ساروا لحجر في خميس وكانوا يوم ذلك عند ظنتي
 وهم زحفوا لغسان بزحف رهيب السرب أرعن مرجح^(١)

وتبدو أهمية أسلاف ذبيان بالنسبة للشاعر حين يتعرض للغساسنة
 في سبيلهم، أو يخاف عليهم من بطش الغساسنة، اذ كثيراً ما تغير ذبيان
 أو حليفاتها علي أطراف دولة الغساسنة بلاد الخيرات ، وما أخرج
 موقف الشاعر الذبياني وهو في بلاطهم آنذاك ، ولكن النابغة بتعقله
 واتزانه وذكائه استطاع أن يقف الموقف الملائم . فهو مرة ينهى قومه
 عن غزو الغساسنة خوفاً عليهم :

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تربّعهم في كل اصفار^(٢)
 وقلت : يا قوم ان الليث منقبض على برائته لوثة الضاري

ولكن قومه لا يريدون منه أن ينههم ، بل يريدون منه المشاركة
 في الاغارة ، وحين يصصر على نهيمهم ، يعيرونه بالخوف والجبن ، فيجيبهم
 أنه ليس عاراً أن يخاف النعمان الغساني :

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل علي بأن أخشاك من عار
 ولكن نهى النابغة قومه ، وأظهر خوفه من الغساسنة . ان هو
 الا موقف سياسي ، موقف اضطرته اليه مصلحة قبيلته ، هذه المصلحة
 التي قد تضطره الى موقف معاكس آخر ، يناقض تماماً الموقف الاول
 اذ نرى النابغة ينهى الغساسنة عن غزو بني حن أحلاف قومه فيصر

١ - أرعن : له فضول وانفه ، مرجح : متأيل من الثقل ٢ - أقر : اسم وادي .

هؤلاء ، ويسيرون جيشهم ، وينحاز النابغة الى بني حن ، ويرسل
رسوله اليهم لينذرهم .. وهكذا ينتصرون وينكسر الغساسنة فيقف
النابغة شامئاً بهم فرحاً بانتصار الحلفاء بني حن :
لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حن ببرقة صادر^(١)
تجنّب بني حن^٢ فان لقاءهم كربه وان لم تلق الابصار
الآيات ..

ومع ذلك يظل النابغة معزواً مكروماً في بلاط الغساسنة ،
يريدون شعره ، ويريد عطاءهم .

بعد هذا العرض السريع للشعر السياسي للنابغة ، يمكننا أن نصل
الى السمات العامة لهذا الشعر فنقول :

١ - أنه شعر العصبية القبلية التي تتجلى واضحة تمام الوضوح
غاضبة كل الغضب ، لكرامتها ولا ثبات ذاتيتها .

٢ - وهو شعر بريء من الأنانية الفردية ، اذ أن صاحبه لم
يقله طمعاً بكسب ذاتي مادي أو معنوي ، بل قاله باعتباره شاعر القبيلة
الذائد عنها المدافع عن حقوقها .

٣ - وتظهر في هذا الشعر حرارة العاطفة وتعقل الشاعر ، اذ أن
العصبية القبلية جعلت ما يمس القبيلة جملة كأنه يمس قلب الشاعر مفرداً ..
وعلى هذا الاعتبار كانت قوة العاطفة ميزة أساسية لشعر السياسة
القبلية .

١ - برقة : أرض ذات رمل وحصى ، صادر : مكان .

٤ - في هذا الشعر تتجلى مواهب النابغة السياسية حتى ليصح فيه ، تعبير الشاعر الدبلوماسي ، ويمكننا أن نصل الى معنى هذه العبارة ، اذا استعرضنا النواحي التالية :

- لا يكثر النابغة في شعره السياسي من الفخر بقبيلته ذبيان ، بل يعطيها المرتبة الثانية أو الأخيرة من الفخر والمدح ، في حين يظهر كل ما أوتيته من فنّ وبراعة في مدح القبائل الحليفة ، فيعده بطونها ، ويذكر أيامها ، ومفاخرها ، وغزواتها وانتصاراتها ؛ وما ذلك ، الا تأليفاً للتلويح وربطها بالحلف .

- العمل على الاقلال من الخصوم وعدم توسيع شقة الخلاف بينه وبين القبائل الأخرى لعلها تنضم الى حلف ذبيان .. وقد تجلّى ذلك حين هجا عامر بن طغيلة ، ذبيان متحزباً بها .. فانبرى النابغة للرد عليه هاجياً ايده بقوله :

فان يك عامر قد قال جهلاً فان مظنة الجهل الشباب
فكن كأبيك أو كأبي براءٍ توافقك الحكومة والصواب
الأبيات ...

فقارنه بأبيه وعمه ، كأنه مدحهما وأبقاه لوحده مهجوراً .

٥ - اضافة لانخر والمدح والهجاء في الشعر السياسي ، يكثر النابغة من وصف النساء وما يصيبن في الحرب من تشتت وهتك للأعراض ، وهو يقصد بذلك تهويل الأمر على الحلفاء فلا يخرجون من الحلف ، أو تهديد الأعداء بما قد يصيبنهم على أيدي ذبيان وحليفاتها كقوله :

كم غادرت خيلنا منكم بمعتركٍ للخامعات أكفأً بعد اقدام^(١)
ياربّ ذات خليلٍ قد فجعن به وموتين وكلوا غير أيتام^(٢)
أو كقوله :

لا أعرفن ربرباً حوراً مدامعها كأنّ أبكارها نعاج دوّار^(٣)
ينظرون شزراً الى من جاء من عرض بأوجه منكرات الرق أحرار
خلف العضاريط لا يوقين فاحشةً مستمسكات بأقتاب وأكوار^(٤)
٦ - يمتاز الشعر السياسي فيما يمتاز به ؛ بالعفوية ؛ فهو شعر السليقة
الحرّة ، والنفس غير الطامعة بكسب وتقل فيه بالتالي العناية بالخيال ،
حتى أن كثيراً من المعاني ترد مجرّدة من التسميق والتزويق ما دامت
تسعى لغرض حدده الشاعر ، ألا وهو مصلحة القبيلة وشرفها .
على أنّ هناك صوراً وتشبيهات جميلة وردت عفوية في سياق
الشعر فامتازت ، بالواقعية والحياة والحرارة كقوله :

اني لأخشى عليكم أن يكون لكم من أجل بغضائهم يوم كأيّام
تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام
أو تزجروا مكفهرّاً لا كفء له كالليل يخاط اصراماً باصرام
٧ - يمتاز شعر النابغة السياسي أيضاً بقوة الربط بين الابيات ،
وبين الجمل ، فالأبيات متسلسلة كأنها نفّس واحد ، والجمل متدافعة
تتوارد تباعاً دون انقطاع .

١ - الخامعات : الضباع ، أي مرة بعد مرة . ٢ - وموتين ج موتم : فاقد الاب .
٣ - ربرب : قطيع بقر الوحش وقد شبه به النساء . ٤ - الغضاريط : الأتباع والاجراء .
الاقتاب : عيدان الرحل .

٨ - لا يذكر الرواة في مطالع هذه القصائد افتتاحها بالوقوفه على الاطلاع أو الغزل .. وقد يكون السبب ضياع هذه المطالع، أو الدخول في الموضوع رأساً .

٩ - هذا وللشعر السياسي قيمة تاريخية كبرى لانه يحدد الوضع القبلي العام، ويذكر أسماء القبائل والاشخاص، ومفاخر وانتصارات كل قبيلة .



الغزل

الشعر الغزلي هو القاسم المشترك بين شعراء الجاهلية قاطبة ، ولم يشذ النابغة عن أمثاله ، فقد تغزل بالكثيرات وما يهنأ ليس كثرة الغزل وإنما صدقه . . ونحن نعلم أن شعر الشباب لدى النابغة لم يصلنا اذ فقد أكثره رغم قلته ، حتى قيل : ان النابغة لم يقل الشعر الا بعد ما كبر وجاوز مرحلة الشباب ، يضاف الى ذلك ، ان النابغة هادىء الطبع متعقل منهك في السياسة القبلية والاسفار واسترضاء الملوك ، والسعي وراء المال ، لذا فقصائده في الغزل الصحيح محدودة ، خاصة وأنه لم يرد بين ما نقل اليها عن الشاعر أنه أحب واحدة بعينها ، لان عاطفة الحب هي الدافع القوي للغزل الصحيح . . ومن الرجوع الى شعر النابغة الذي بين أيدينا ، نرى انه قيل بنساء عديدات منهن : مية وسعدى ومهدد وثنم وسعاد وغطام وغيرهن . . وكان التغزل بهن يرد في مطلع القصائد ، مراعاة لسلم القصيدة التقليدي ، تمهيداً لغرض شعري آخر من مدح او هجاء او اعتذار وليست هناك سوى قصيدة واحدة غرضها الغزل الخالص مطلعها :

آمن آل مية رائح او مغتدر عجلان ذا زاد وغير مزود
 روي انها قيلت في المتجرّدة زوج النعمان ، الا اننا لانجد فيها
 لاسم المتجرّدة بل اسماء اخريات منهن : مية ومهدد :
 حان الرحيل ولم تودع مهدداً والصبح والامساء منها موعدي
 والاصح انها قيلت في النسوة الثلاث وفي مواعيد مختلفة . . .
 ويلاحظ في غزل النابغة ماييلي :

١ - انه تقليدي مصطنع ، الغاية منه ليست الغزل وانما طرق
 غرض آخر .

٢ - انه لا يصور عاطفة ولا يعبر عن تشوق وحنين الى من
 يحب ، وان ورد ذلك فهو خداع ألفاظ ، اذ الغزل عند النابغة
 مادي يصف به جسم المرأة ولذة المستمتع بها :
 تسقي الضجيع اذا استسقى بذّي أشر

عذب المذاقة بعد النوم بخمار^(١)
 كأن مشمولة صرفاً بريقتها من بعد رقدها أو شهد مشتار^(٢)
 ٣ - المعاني والصفات التي يغدقها النابغة على المرأة تقليدية ،
 سبقه اليها كثيرون ، منها التشبيه بالغزال . . احم ، احوي المقلتين ،
 كالشمس . . لو عرضت لراهب ، ريقها وحلاوته ، تطيبها
 الخ كل هذا مكرر جداً في الأدب الجاهلي :

١ - بذّي أشر : بحسن الثغر ، بخمار : معطر . ٢ - المشمولة : الخمر ، المشتار :
 جامع العسل .

● بيضاء ، كالشمس وافت يوم أسعدها

لم تؤذ أهلاً ولم تفحش على جار

والطيب يزداد طيباً ان يكون بها في جيد واضحة الحدين معطار

● نظرت بمقلة شادن متربب أحوى أحم المقلتين مقلد^(١)

صفراء كالسيرااء أكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأود^(٢)

٤ - في وصف النابغة لجسم المرأة لايراعي ترتيباً معيناً ، إنما

يستترسل ويصف ما يحلوه دون تسلسل منطقي أو عاطفي ففي

وصفه المتجردة : يذكر نظرتها (نظرت بمقلة شادن . . .) ثم نحرها

(والنظم في سلك يزين نحرها) ثم بطنها (والبطن ذو عكن . . .) ،

فروادفها (ريتا الروادف بضة المتجرد) فأصابعها (بمخضب رخص

كأن بنانه) ثم يعود للنظرات (نظرت اليك بجاجة لم تقضها . . .

نظر السقيم . . .)

٥ - ولئن كان غزل النابغة تقليدياً في معانيه ، وفي أوصافه ، وفي

موقعه من القصيدة ، فإن للنابغة منه الذي يسكب به أفكاره في

الغزل والمرأة وأهم ما يتجلى به هذا الفن : لطف الكلمات ، وجرسها

العذب ، فالنابغة يصوغ غزله من كلمات وعبارات ناعمة ، طروبة ،

رشيقة :

رأيت نعباً وأصحابي على عجل والعيس للبين قد شددت باكوار

١ - شادن : ولد الظبي ، أحوى : أحمر مائل للسواد ، أحم المقلتين : شديد

سوادهما . ٢ - السيرااء : ثوب من الحرير .

فريع قلبي وكانت نظرة عرضت حينه وتوفيق أقـدار لأقـدار
بيضاء كالشمس وافت يوم اسعدها لم تؤذ أهلاً ولم تفحش على جار
٦ - ومما يزيد جمال غزله تلك الجوانب العاطفية الرقيقة
والظلال النفسية المختلفة :

- فإذا كان الرحيل : خبره به الغراب الاسود ..
- زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الاسود
- وإذا كان الرحيل غداً فلا مرحباً بالغد...
- لا مرحباً بغد ولا أهلاً به ان كانت تفريق الاحبة في غد
- وهناك العتاب على المجران وهو قليل في الادب الجاهلي .
- نبئت نعماً على المجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري
- وهناك الذكري يهيجها الحمام الورق .
- إذا تغنى الحمام الورق هيئني وان تغربت عنها أم عمار
- وهناك الحوار اللطيف .
- قالت : أراك أخارحل وراحلة تغشى متالف لن ينظرنك الهرما^(١)
- حيّاك ربي فانتا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد حرما^(٢)
- والدلال .

- أتاركة تدلّهما قطام وضناً بالتحية والسلام
- ٧ - وتظهر بين الحين والحين في كلمات النابغة الغزلية وعباراته ،
- سياء الترف والنعيم ، فيذكر كريم الثياب والحلي والطيب :
- والنظم في سلك يزين نحرها ذهب توقد كالشهاب الموقد

١ - الرحل : السرج ، الراحلة : الناقة ، متالف : مخاطر . ٢ - الدين : الحج .

- أخذ العذارى عقدها فنظمته من أولو متتابع متسرّد^(١)
- قامت تراءى بين سجفي كلمة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد أو درة صدفية غواصها بهج متى يرها هل ويسجد أو دمية من مرمر مرفوعة بنيت بأجر تشاد وقرمد فكلما : سجفي كله ، درة صدفية ، دمية من مرمر هي كلمات حضارية ومثل ذلك ذكر الطيب :

والطيب يزاد طيباً أن يكون بها في جيد واضحة الحدين معطار
٨ - في غزل النابغة اهتمام محدود بالخواحي الخلقية للمرأة كقوله :

- بيضاء كالشمس وافت يوم اسعدها لم تؤذ أهلاً ولم تنحش على جار
 - ليست من السود أعقاباً اذا انصرفت ولا تبسج بجنبى نخلة البرما^(٢)
- فهي لم تؤذ أهلاً أو جاراً ، وذات أقدام نظيفة ، ولا تبسج قدور النحاس أي أنها مصونة .

١ -- متسرّد : يتبع بعضه بعضاً . ٢ - نخلة : مكان فيه بستان ، البرم : يدر من نحاس .

المدح

مدح النابغة ملوك الغساسنة والمناذرة ، وترفع عن مدح السوق
من الناس ، كما مدح القبائل التي حالفت ذبيان ضد عبس ، وكل من
يدعم ذلك .

ومن الأشخاص الذين مدحهم عمرو بن الحارث الأصغر ،
وذلك بعد هربه الى الشام بقصيدة مطلعها :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ومدح النعمان بن الحارث الغداني بقصيدة يقول فيها :

قاد الجياد من الجولان قائظمة ما بين منعة تزجي ومجنوب
حتى استغاثت بأهل الملح ما طعمت في منزل طعم نوم غير تأويب

ومدح النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي بقصيدة مطلعها :

أهاجك من سعداك مغنى المعاهد بروضة نعمي فذات الأساود

كما مدح النعمان أبا قابوس ملك الحيرة بقصائد متعددة حتى

اقترن اسم النابغة باسمه من هذه القصائد ، واطافة لما مر معنا في
الاقتدار قصيدته التي مطلعها :

كتمتك ليلا بالجومين ساهراً وهمّين همّاً مستكنّاً وظاهراً
أما دوافع هذا المدح فكثيرة متنوعة ، أهمها التكسب والرغبة
في كرم الملوك ، والنابهة صريح في طلبه الأعطية ، صريح في
الشكر عليها :

● يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد
● علي لعمرو نعمة اثر نعمة لوالده ليست بذات عقارب
ولا تغفل هنا دوافع المدح الاخرى التي لها من الاهمية ما للرغبة
كالخوف من النعمان أبي قابوس بعد أن أوعدده هذا وهددده فكان
النابهة يمدحه ليسترد مودته ، وليحافظ على نفسه منه ، وكالصدقة
والمودة القائمة بينه وبين أمراء غسان . ويلاحظ في مدح النابهة للملوك
الغساسنة والمناذرة ما يلي :

١ - أنه ظل محتفظاً بطابعه البدوي رغم أنه قيل في بيئة حضرية
ولم تظهر المعاني والالفاظ الحضرية الا في نطاق محدود كما في بائيته
في مدح الغساسنة :

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب^(١)
تحيةهم بيض الولا ئد بينهم وأكسية الاضريج فوق المشاجب^(٢)
وقد ظل هيكل قصائد المدح بدوياً ، اذ تبدأ بالغزل وبالوقوف

١ - طيب حجزاتهم : كناية عن عفتهم ، الحجة : موضع التكة من السروال
يوم السباسب : أحد الشعانين .

٢ - الاضريج : الخز الاحمر والاصفر .

على الأطلال كما أن الكلمات والتشابه ومختلف الصور والاختلاف ظلت مستمدة من البيئة البدوية، وقد يكون خير مثال لما ذكرنا الدالية التي مطلعها :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
٢ - يغدق النابغة على بمدوحه الصفات التي ترضيهم ، وهي صفات الرجولة الحقة التي يفتخر بها العربي في كل مكان ، وأهم هذه الصفات : القوة المتمثلة بالشجاعة والاقدام وقادة الجيوش والانتصارات ، ثم الكرم المتمثل بالاعطيات الكثيرة التي لا تعطى على نكد أما الصفات الأخرى كالتعقل والحلم والعدل والصبر... الخ فلا يركز النابغة عليها .

٣ - ويعرض النابغة أفكاره المدحية بأسلوب ذكي ، بارع التصوير فاذا ما أراد أن يصف انتصار المدوح على أعدائه رسم مشهداً حياً ، ملوناً للغنائم موزناً على الجزئيات التي تثير العاطفة كوصف النساء السبايا في الأبيات التالية :

فآب بأبكار وعون عقائل أو انس يحمها امرؤ غير زاهد (١)
يخططن بالعيدان في كل مقعد ويخبأن رمان الثدي النواهد
ويضربن بالأيدي وراء براغز حسان الوجوه كالظباء العواقد (٢)
غرائر لم يلقين بأساء قبلها لدى ابن الجلاح ما يثقن بوافد
٤ - ويحاول النابغة أن يقارن المدوح بغيره ، فيصوره بأنه بذّ

١ - عون : النساء في منتصف العمر . ٢ - البراغز ج برغر : ولد البقرة استعارة لأولاد السبايا .

الجميع كرمًا وشجاعة وأن باقي الناس يحاولون أن يدركوا فعالمه
فلا يقدرّون .

- فهم الطالبون ليدركوه وما راموا بذلك من مرام
 - سبقت الرجال الباهشين الى العلى كسبقت الجواد اصطاد قبل الطوارد
 - ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ولا أحاشي من الاقوام من أحد
 - ٥ - كما يحاول له أن يعرب عن محبته فياجأ لتفديته بماله ونفسه
- كقوله :

- ولكن ما أذاك عن ابن هند من الحزم المبيّن والتمام
- فداء ما تقلّ النعل منه الى أعلى الذؤابة للهمام
- تحبّ الى النعمان حتى تناله فدى لك من ربّ طريفي وتالدي
- ٦ - أو يعرب المدوح عن فضله القديم عليه فيذكر كرمه ،
- وأعطياته السابقة التي كانت عن طيب خاطر وبدون منّة أو أذى حتى
- أن ما لدى النابغة من مال هو من عطائه :

- علي لعمر و نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
- أعطى لفارحة حلوا توابعها من المواهب لا تعطى على نكد
- وان تلادي ان ذكرت وشكّتي ومهري وما ضمت لدي الانامل
- حباؤك والعيس العتاق كأنها هجان المها تحدى عليها الرحائل
- ٧ - وكثيراً ما يتجاوز النابغة في مدحه حدود الواقع ،
- ويطير بمدوحه الى اقصى ما يكون ، غير أن هذه المبالغة تظل
- مستحبة مغطاة بجمال التشبيه وروعه كقوله :

- كأنك شمس والنجوم كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

● ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقسام من أحد
الاسليمان . . .

ويؤخذ على النايغة في مدحه ما يلي :

١ - المبالغة الشديدة الى حد المستحيل ، ومن ذلك حين يصف
بأس الغساسنة وشجاعتهم في قصيدته (كليني لهم) يجعل الطيور مدركة
ذلك ، بل واثقة من نصرهم لانها تعودته منهم .

٢ - وككل مبالغة ترتفع وترتفع حتى تبلغ القمة ثم تهبط
الوادي ، وقد يكون وادياً وعرّاً مغرقاً في الانخفاض يسيء الى تلك
المبالغة في الارتفاع ، من ذلك قوله :

إذا استنزلوا عنهن للعلن أرقلوا الى الموت إرقال الجمال المضاعب
فهم يتساقون المنية بينهم

فبعد أن وصف شدة بأسهم واسراعهم الى عدوهم ومخاطرتهم
مادحاً إياهم ، اذا بهم يتساقون المنية مع أعدائهم على مستوى واحد .
ومن ذلك أيضاً :

تقدّ السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفّاح نار الجباحب
ألفاظ البيت ومعانيه الاولى في قوة تناسب المدح : الكلمات
مشددة : تقدّ ، السلوقي ، الصفّاح ، والسيوف تحتق الدروع المتينة
المضاعفة النسج ، ثم توقد من هذا الاختراق ناراً ، أية نار ؟ نار الجباحب
نار حشرة صغيرة لها ضوء تافه لا يكاد يرى .

٣ - البكاء على الممدوح أو المدح بما يشبه الرثاء من ذلك :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

ونفسك بعده بذئاب عيش أجبّ الظهر ليس له سنام
وهو مدح أسود يتمثل فيه وفاة الممدوح ولا ندري بأي ذوق
كان يستسيغه الشاعر والممدوح معاً .

٤ - الاستطرادات بدون مبرر ، من ذلك ما رأيناه حين أراد
أن يشبه النعمان بسليمان كيف استطرد في وصف سليمان :
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الاقوام من أحد
إلا سليمان اذ قال الاله له

٥ - التكبسب في المدح وبالتالي التناهي في الذلة وراءه :
أتوعد عبداً لم يخنك أمانة وتترك عبداً ظالماً وهو ظالع
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع



الوصف

لم يقصر النابغة في الوصف وان كان لم يشتهر به ، ولا نعثر للنابغة على قصائد مستقلة في هذا الفن ، بل نمر به ونحن في طريقنا - في القصيدة الواحدة - الى أغراض القصيدة الاخرى الرئيسية .

وموصوفات النابغة متعددة وكثيرة ، تجمعها صفة واحدة ، هي أنها محسوسات فالوصف النفسي محدود ، وابداع النابغة هو في : وصف المراثيات التي شاهدها بنفسه كثيراً من جهة ، ووصفها غيره من جهة ثانية ... وهذه الموصوفات هي : الاطلال ، جسم المرأة او الوصف الغزلي ، الحيوان وخاصة وسيلة السفر ومشاهداته ، كالناقاة وبقر الوحش والحية والليل والمطر ... الخ

وصف الاطلال :

لم يخرج النابغة عن الطريق التي سار عليها الاقدمون من افتتاح قصائدهم بالوقوف على الاطلال ، على الرغم من انه عاش فترة لا بأس بها بعيداً عن الاطلال وهو في بلاطي الغساسنة والمناذرة .

وعلى الرغم من ان وصف الاطلال لا يعبر عن رأي الشاعر ولا عن عاطفته الخاصة، باعتباره تقليدياً بحت ، وعلى الرغم من ان الاطلال الموصوفة هي واحدة في قصائد النابغة وقصائد غيره من شعراء العصر الجاهلي ، فقد استطاع النابغة بما اوتي من فن وبراعة في صياغة الكلام ان يحيل المراثيات الجامدة الى مشاهد حية ، ويخلع على الاطلال اثواب الحياة ، ففي دالتيه « يا دار مية بالعلياء فالسند » ما ان يرتفع الستار عن بقايا الديار ، وتغمر الموقف مسحة من الكآبة ، حتى تعود الحياة الى الاطلال، وتظهر الوليدة تلبد النوى وتترك للسيل طريقه :
 ردت عليه افاصيه ولبده ضرب الوليدة بالمسحاة فالتأد (١)
 خللت سبيل آتي كان يحبسه ورقعته الى السجفين فالنضد (٢)

وبما يجعل وصف الاطلال حياً طريقة النابغة في ذكر المسميات والآثار ، تلك الطريقة التي تبرز بين الوصف وعواطف الشاعر ، والذكريات الكثيرة التي تنبعث صاحبة من الطلل الجامد :

فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
 فما وجدت بها شيئاً ألوذ به الا الثام والا موقد النار (٣)

ثم هناك اشياء ذات اهمية ، تتعاون مع بعضها خالقة الحياة والمشاعر في جو الأبيات التي تصف الاطلال نذكر منها :

● نداء الاطلال : هذ النداء الطويل (يا دار مية) مع ذكر

١ - المسحاة : أداة لتسوية التراب ، التأد : البلل والندى . ٢ - الأتي : السيل ، السجفان : ستران رقيقان في مقدم البيت ، النضد : ما نضد من متاع البيت .
 ٣ - الثام : نبت دقيق .

لأسماء الامكنة وارتباطها بالذكريات ثم المرور بفترة صمت لا جواب فيها ، والانتقال بعدها من الخطاب الى الغائب ، فكأن الشاعر يعود الى مخاطبة ذاته ، ويسمع صدى نفسه الهامسة : لقد خلت الدار ومضى على خلائها السنون : (اقوت وطال عليها سالف الاملد) .

● حسن اختيار الوقوف عليها فتتطابق نفسية الشاعر مع الجو العام كقوله : وقفت فيها اصيلاً اسائلها ...

● حسن انتقاء الالفاظ ذات الجرس المعبر كـ : اقوت في الدلالة على الفراغ .. ولبيده ، في الدلالة على تليد التراب .

وصف المرأة :

والنابغة في وصفه المرأة ، كغيره من شعراء عصره ، يقسم جسم المرأة الى اعضاء ، ثم يختار لكل عضو التشبيه الملائم ، وعودة واحدة الى قصيدته في المتجردة توضح لنا هذه الحقيقة وخاصة حين نصل الى قوله :

والبطن ذو عكن لطيف طيّه والاتب تنفجه بشدي مقعد^(١)
مخطوطة المتنين غير مفاضة ربيّ الروادف بضّة المتجرّد^(٢)
يغطي هذه الناحية الضعيفة من شعر النابغة الصفات الجمالية الكثيرة المبثوثة فيه ومنها :

● حسن استخدام التشبيه وجماله ولطفه ودلالته على النعومة والرفاه

١ - عكن : لحم البطن ، تنفجه : ترفعه . ٢ - بضّة : رخصة رطبة :

كقولة في وصف الكف والأصابع : . . .

بمخضّب رخص كأنّ بنانه غم يكاد من اللطافة يعقد^(١)
وفي وصف أسنانها :

كالأقحوان غداة غبّ سمائه جفّت أعاليه وأسفله ندي

● رقة الألفاظ وجوسها العذب ورشاقة البحر :

أخذ العذارى عقدها فنظمه من لؤلؤ متتابع متسرّد

● الظلال النفسية المنتشرة في أبيات الوصف الغزلي كما سبق أن

مرّ معنا في تحدّثنا عن الغزل لدى النابغة .

وصف الحيوان :

وصف النابغة ناقته في مواضع كثيرة من شعره ، ولم لا وهي

أنيسه في الصحراء وحاملته الى مقصده في أسفاره المتعددة .

ويغمر النابغة ناقته بأوصاف القوة ، والشدة ، وسرعة السير ،

والصبر عليه ويشبّها - وأكثر ما يشبّها - بالثور الوحشي ، الذي

يلاحقه البرد والمطر ، والخوف من الصيد والكلاب ، والجوع ،

الثور الوحشي النحيل ، السريع العدو ، ويستطرد النابغة في الوصف

ويظل يزيد الثور سرعة حتى ينسى القارئ أن الشاعر يريد وصف

الناقة ، بل سرعات ما يعقد قصة صراع بين الثور الوحشي

والكلاب فإذا ما انتهت القصة أطلّ علينا النابغة ليقول :

١ - بمخضّب : أي بكف حمراء ، الغم : نبات لين الاغضان .

فذاك شبه قلوصي إذ أضرّ بها

طول السرى والسرى من بعد أسفار^(١)

ووصف النابغة فيما وصفه ، الطير فأغدق عليها صفات التعقل

واليقين بقوله :

إذا ماغزوا بالجيش حذّق فوقهم عصاب طير تهدي بعصاب

جوانح قد أيقنّ أنّ قبيله إذا ما التقى الجيشان أوّل غالب

ووصف الحية بأبيات قليلة معبرة مطلعها :

صلّ صفاً لا تنطوي من القصر^(٢)

بعد كل ما سبق نستطيع أن نوجز الملامح العامة لوصف

النابغة بما يأتي :

١ - يظهر في الوصف بوضوح تام أثر البيئة البدوية ،

باعتبار أن الموصوفات هي موصوفات بدوية (الاطلاع - بقر

الوحش - الناقة - الحية) كما ان الصفات والتشابه والأخيلة كلها مستمدة

من البيئة البدوية .

٢ - لا يظهر أثر حضارتي المناذرة والغساسنة في شعر الوصف

الا ضمن حدود ضيقة .

٣ - يلجأ النابغة لتوضيح جوانب الموصوف الى أساليب

متعددة منها :

أ - الإلحاح على الموصوف الواحد بمجموعة صفات متلاحقة كقوله

١ - القلوص : الناقة . ٢ - الصل : الحية ، الصفا : الصخر .

في وصف بقر الوحش .

كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذلي الجليل على مستأنس وحد (١)
من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد (٢)

ب - عدم ذكر الموصوف والاكتفاء عنه بصفته كقوله :

ألا الأواري لأياً ما أبيتها والنؤي كالحوض بالظلومة الجلد
والظلومة الجلد هي صفة للأرض التي حذفت .

أو قوله :

بمخضب رخص كان بنانه غم يكاد من اللطافة يعقد
فمخضب رخص صفتان للكف المحذوفة .

ج - ايضاح الصفة المطلوبة بالقصة : وفي القصة لنا بعض التفصيل :

فقد مر معنا أن النابغة حين أراد وصف سرعة ناقته المتناهية رسم
لنا قصة الثور الوحشي في صراعه مع الكلاب في جو ماطر عاصف
وكذلك نعثر في داليته (المعلقة) على قصص أخرى متنوعة منها :

قصة سليمان ، وقصة زرقاء اليمامة ، والفرات ، . . . ونعثر
أيضاً كما في باقي شعره على قصص أخرى أشهرها قصة الحية والأخوين
كما لقيت ذات الصفا من حليفها

وما انفكّت الامثال في الناس سائرة (٣)

-
- ١ - زال النهار : انتصف ، المستأنس : الثور الذي أحس بوجود انسان ،
وحد : منفرد . ٢ - موشي أكارعه : أبيض في قوائمه نقط سوداء ، طاوي :
ضامن ، المصير : الامعاء ، السيف الصيقل : اللامع ، الفرد : الذي لا مثيل له .
٣ - ذات الصفا : الحية .

وتختلف هذه القصص جميعها من حيث الطول والقصر فبعضها
تشكل مشهداً عابراً بسيطاً ، وبعضها تشكل وقائع متلاحقة
تطغى على الموضوع الأصلي فينسى قارى الشعر الغرض الصحيح من
القصيدة ، هل هو القصة أم شيء آخر غيرها ، ولكن جميع القصص
تلتقي في الملاحظات التالية :

— أنها ليست من ابتكار النابغة وابداعه بل هي موجودة قبله
وقد استشهد فيها غيره ، خاصة صراع الثور الوحشي مع الكلاب .
— أنها مستمدة من الواقع البدوي بتمامه : من الأساطير
السائدة في العصر الجاهلي ومن الحياة الدينية العامة ومن الحياة
العادية البدوية .

٤ — الاهتمام بالعناصر الحركية للموصوف كقوله في

وصف الفرات :

فما الفرات إذا هبّ الرياح له ترمي أواذيه العبرين بالزبد
يمدّه كلّ واد مترع لجب فيه ركام من الينبوت والحُضد
يظلّ من خوفه الملاح معتصماً بالخيرانة بعد الأين والنجد

٥ — الاهتمام بالألوان : في حدود ضيقة كقوله : في حالك

اللون . . . بخضب رخص . . . من وحش وجرة موشي أكارعه .

٦ — للنابغة خيال خصب يظهر في تشابه واستعارات وكنائيات

جميلة رائعة ، منها قوله في وصف الخيل :

والحيل تمزح غرباً في أعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد^(١)
وفي وصف الليل وهمومه :

كليني لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب^(٢)
تطاول حتى قلت ليس بمنجل وليس الذي يرعى النجوم بآيب
أو قوله في صراع الثور الوحشي والكلب :

شك الفريضة بالمدرى فأنفذها شك الميطر اذ يشفي من العضد^(٣)
كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد^(٤)



١ - تمزح : تمر سريعاً ، غرباً : حدة ونشاطاً . ٢ - ناصب : متعب . ٣ - الفريضة :
من الكنف للخاصرة ، المدرى : القرن . ٤ - مفتأد : موضع النار .

الهجاء

للتأبغة قصائد مستقلة ، أو أبيات في قصائد قالها في الهجاء وتناول فيها : أشخاصاً فرادى ، أو جماعات وقبائل معينة .

والدوافع الى هذا الهجاء على نوعين :

الأولى : دوافع شخصية ، كهجائه بني قريع الذين أوقعوا بينه

وبين النعمان ملك الحيرة ، فقال فيهم :

لعمرى وما عمري على بهيّن لقد نطقت بطلاً على الأقارع
أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قروود تبغى من تجادع
أو كهجائه النعمان في رواية مشكوك فيها بقوله :

حدّثوني بني الشقيقة ما يمنع فقعماً بقرقر أن يزولا

قبّح الله ثم ثنتى بلعن وارث الصائع الجبان الجهولا

الأبيات

الثانية : دوافع قبلية حين يتحدث التأبغة بلسان قبيلته مدافعاً

عن أحلافها مندداً بخصوصها :

من ذلك ما قاله التأبغة في عامر بن طفيل الذي هجا ذبيان فرد

عليه النابغة : قائلاً :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مظنة الجهل الشباب
الآبيات

ومن ذلك قوله في بني عامر :

إذا نزلوا في ضرغد فعائداً يغنيهم فيها نقيق الضفادع^(١)
قعوداً لدى أبياتهم يشمدونها رمى الله في تلك الأنوف الكوانع^(٢)
ومن ذلك أيضاً هجاءه عيمنة صديق عبس ، حين سعى لإخراج
أسد من حلف ذبيان فهجاه النابغة بقصيدة مطلعها :

غشيت منازلًا بعريتنا فأعلى الجذع للحي المين^(٣)
وعلى كل ، ومهما تذوعت الدوافع ، فإننا نلمح في هجاء النابغة
السمات التالية :

١ - قوة العاطفة : وهذا عائد بصورة أساسية للدوافع التي
سبق ذكرها الملتصقة تماماً بواقع الشاعر الشخصي والقبلي ، مما جعل
النابغة يهجو بجرارة وعنف معبراً عن عاطفة جياشة .

٢ - البعد عن الفحش والاسفاف اللفظي : وذلك لان النابغة
رجل متعقل متزن ، يعرف كيف يهجو وكيف يؤلم في هجائه دون
اقداع أو الفاظ بذئية ، اذ لا تنسجم هذه ونفسيته الابية العفيفة
ومكانته في قومه وغير قومه .

٣ - قوة الربط بين أجزاء القصيدة الواحدة وبين عباراتها .

١ - ضرغد وعنايد : مكانان . ٢ - الكوانع : الملتصقة بالوجوه ، رمى الله في
تلك الوجوه : أي جدعها . ٣ - عريتنا وأعلى الجزع : مكانان .
٣ - المين : الساكن في الاماكن المرتفعة ،

٤ - أما طريقة التابغة في الهجاء فيمكن ان نوضح خطوطها الرئيسية فيما يلي :

أ - التهديد بالشعر : فالتابغة يدرك قيمة شعره ، وجربانه في في القبائل ، فيهدد به كقوله :

فحسبك ان تهاض بمحكمت
فقبلك ما هجيت وقاذعوني
يمر بها الروي على لساني^(١)
فما نزر الكلام ولا شجاني^(٢)

أو قوله :

ألكني يا عين اليك قولاً
قواني كالسلام اذا استمرت
سأهديه اليك ، اليك عنى
فليس يرد مذهبها التظني^(٣)
ب - التعبير بالنواحي الخلقية : كالجهل والغش والكذب
وقلة الامانة كقوله :

- فان يك عامر قد قال جهلاً فان مظنة الجهل الشباب
- لئن كنت قد بلغت عنى خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
- وكنت أمينه لو لم تخنه ولكن لا أمانة لليمان^(٤)

ج - التشبيه بالحيوان : كقوله :

- كأنك من جمال بني أفيش يقعقع خلف رجله بشن^(٥)

١ - الهض : الكسر بعد الجبر ٢ - نزر : قل ٣ - السلام : الحجارة

٤ - الياني : نسبة لليمن ٥ - الشن - القرية البالية .

تكون نعامة طوراً وطوراً هويّ الرّيح تنسج كل فن
● أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قروود تبتغي من تجادع

د - التّهم المر كقوله :

فانك سوف تحلم أو تناهي اذا ما ماشبت أو شاب الغراب

هـ - انتهاج اسلوب المقارنة كقوله :

فكن كأبيك أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب



الرثاء

لم يرو للنابغة من المراثي الا القليل الذي لا يكون فكرة صحيحة كاملة عن فن الرثاء لدى النابغة، وكل ما نعثر عليه في ديوانه، قصيدة قالها في رثاء النعمان بن الحارث الغساني، ثم أبيات متفرقة في أخيه صحار، وفي غدر الزمان بأهله... واذعدنا الى قصيدته في رثاء النعمان وجدنا الملاحظات التالية :

١ - بدأت القصيدة بالغزل والوقوف على الأطلال، وهذا قبيح حتى في العصر الجاهلي، اذ جرت العادة أن يدخل الرائي في غرضه الشعري رأساً دون تمهيد من نسيب أو غيره، ذلك لأن حزنه الشديد على المتوفي، لا يترك له مجالاً للحب ولتذكر الحبيبات (ولو كانت سعدى)

دعاك الهوى واستجھلك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها والساريات المواطيل
أنسائل عن سعدى وقد مرّت بعدنا على عرصات الدار سبع كوامل

٢ - فاذا بلغ حزن النابغة على سعدى وعلى أطلال سعدى حدة

سألتى نفسه بوصف ناقته :

فسلّيت ما عندي بروحة عرّمس تحبّ برحلي تارة وتناقله

٣ - بعد هذا التمهيد الطويل بالغزل والوقوف على الاطلال.

وبوصف الناقة، ينتقل النابغة الى غرض قصيدته الاساسي وهو الرثاء، فيذكر الشاعر أولاً أثر المصيبة عليه وفرح الاعداء :

لقد عالني ما سرّها وتقطّعت لزوعاتها مني القوى والوسائل
فلا ينيء الاعداء مصرع ملكهم وما عتقت منه تميم ووائل

ثم يأخذ في مدح المرثي ، ذاكر أشجاعته وعطاياه وفضله على الشاعر :
يسير بها النعمان تغلي قدوره تجيش بأسباب المنايا المراحل
يحثّ الحداة جالزاً بردائه بقي حاجبيه ما تثير القنابل
وبعد أن يمدحه ويذكر حياته من بعده يأخذ في الدعاء أن يسقي
الغيث قبره :

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمي قطر ووايل
ولا زال ريحان ومسك وغنبر على منتهاه ديمة ثم هاطل

ويختتم النابغة قصيدته بنظرة عامة شاملة فاذا الحزن يغم ما حوله :
الجولان ، وحوران وغسان ، والاعجمين ، والترك .

بكى حارث الجولان من فقد ربه

وحوران منه موحش متضائل

قعوداً له غسان يرجون أوبه وترك ، ورهط الاعجمين ، وكابل

بما سبق نستطيع أن نقول :

ان النابغة شاعر لم يردنا من رثائه الا القليل ، ولعل قلة الرثاء
مرجعها عدم تحسس النابغة بالفواجع ، أو لعدم ارتباطه عاطفياً
بالمملوك الذين ماتوا خلال حياته وكان هو موضع كرمهم وعطائهم .
على كل فان رثاء النابغة تقليدي في كلماته وأفكاره ومعانيه .
ويعاب عليه كما سبق أن ذكرنا بدء قصيدة الرثاء بالنسيب والوقوف
على الاطلاق .



الحكمة

قال النابغة الشعر بعد أن جاوز مرحلة الشباب ، أي بعد أن عركته التجارب في عمره المديد ، وكلما مر معنا ، فإن حياته مزيج من البداوة والحضارة ، تجمع بينها الأسفار المتعددة ، الامر الذي وسع من أفق اطلاعه ونمى تجربته ، فاذا أضفنا الى هذا كله ما روي عنه من تعقل ورزانة ، وصلنا الى ما نريد أن نقوله : من أن حياة النابغة التي عاشها ، ونفسيته جعلتانه الشاعر الحكيم .

والحكم التي وردتنا عن النابغة ، يمكن اجمالها بنوعين :
الأول - ما اتخذ سبيل القصة ، أو الأسطورة ، وأراد به العبرة والاعتداء :

من ذلك ضربه المثل بسليمان الذي قاله الاله له :
.....
قم في البرية فاحدها عن الفند
فمن أطاعك فانفعه بطاعته كما أطاعك وادله على الرشـد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
ومن ذلك استشهاده بزرقاء اليمامة :

واحكم كحكم فتاة الحي . اذ نظرت الى حمام شراع وارد الشمـد

الثاني : ما كان حكمة في ثوب مثل سائر ، وقد نكون بيتاً
أو جزءاً من بيت :

كقوله : ولا قرار على زار من الاسد

فان مطيئة الجهل الشباب

فلا يبعدن ان المنية موئل وكل امرئ يوماً به الحال زائل

والدار لو كلمتنا ذات أخبار

والمرء يخلق طوراً بعد أطوار

● وحكمة النابغة مستمدة أكثر ما يكون من البيئة البدوية :

كذي العرّ يكوى غيره وهو رافع

● كذلك فان أكثر أبيات الحكمة ، جاءت في الاعتبار ،

والموت ، وخافة الله ، وعلاقات الأصدقاء :

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه على شعث أيّ الرجال المهذب

وليس وراء الله المرء مذهب

فلا تبعدن ان المنية موعد وكل امرئ يوماً به الحال زائل

تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمر ك في المقال بديع

لو كنت تصدق حبه لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ومن ذلك أيضاً :

من يطلب الدهر تدركه محال به والدهر بالوتر ناج غير مطلوب

الابيات ...

واستبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعرض بغارب ملحاحاً^(١)

فالرفق بمن والأناة سعادة فتان في رفق تنال نجاحاً

١ - القتب : الرجل ، الغارب : سنام البعير .

الخصائص العامة لشعره

بعد أن استعرضنا الأغراض الشعرية للنابغة ، يمكننا أن نقف على الخصائص العامة لشعره كما يلي :

١ - شعر النابغة تعبير صادق عن شخصيته : ففيه تظهر نفسية الشاعر وعواطفه المختلفة ، من حب ، وخوف وفرح ويأس ، وألم ، وهو ترجمان أمين عن حياته في البداوة ، وفي بلاط المناذرة والغساسنة ، ويكفي أن نستعرض شعر الاعتذاريات ، والسياسة القبلية ، والمدح والهجاء ، لندرك هذه الحقيقة .

٢ - وشعر النابغة بالتالي ، تعبير عن البيئة التي عاش فيها الشاعر بدوية كانت أم حضرية :

أ - فهو سجل يؤرخ الحياة البدوية ، فيظهر فيه : العصبية القبلية ، والمجتمع الجاهلي وعاداته .. وفيه تعداد للقبائل ، وأسماء زعمائها ، وخصوماتها ، ووقائعها وأيامها ، وعلاقاتها مع الغساسنة والمناذرة ، الأمر الذي يجعل لشعر النابغة قيمة تاريخية كبرى .

ب - وعلى الرغم من أن النابغة عاش فترة لا بأس بها في بلاطي

الغساسنة والمناذرة ، فان شعره ظل مطبوعاً بالطابع البدوي المتمثل في :
ترتيب القصيدة ، وتعدد أغراضها الشعرية ، واستقلال البيت الشعري
واستهلال القصيدة بالنسيب وبالوقوف على الاطلال ، وبالاكثار من
وصف الحيوانات التي ألفها البدوي كالناقة ، وبقر الوحش .. كذلك
فان الطابع البدوي يظهر في استمداد مختلف الفنون البيانية ، من
تشابه واستعارات وصور ، من الواقع البدوي والمجتمع الرعوي
القبلي .. ورجعة واحدة الى قصيدة النابغة الدالية (يا دار مية) لتبين
حقيقة كل ما ذكرناه ..

ج - أما البيئة الحضرية التي عاشها النابغة في بلاطي الغساسنة
والمناذرة ، فيبدو أنها لم تؤثر في شعره تأثيراً ظاهراً ، الا في نواح
محدودة نذكر منها :

- رقة الألفاظ وحسن اختيارها .

- ظهور بعض كلمات الرفاه والدعة : كالطيب ، والحلي ،
والالبسة المختلفة ، ومن ذلك قوله في مدح الغساسنة :

ورفاق النعال طيب حجزاتهم يحيمون بالريحان يوم السباب
تحيمهم بيض الولائد بينهم وأكسية الاضريج فوق المشاجب
أو قوله متغزلاً في المتجردة :

أخذ العذارى عقدها فنظمه من لؤؤ متتابع متسرّد

٣ - يتجلى في شعر النابغة ، جهد عقلي ، موزع بمهارة ، في متون
القصائد وفي ألفاظها ، بحيث لا يحسه القارئ الا اذا قصده ، ويتجلى

هذا الجهد العقلاني في النواحي التالية :

أ - في أنه شعر مصقول : ، اهتم صاحبه به ، فشذبه ، وهذبه ،
والنابغة وزهير كما يقول الاصمعي : هما من عبيد الشعر ، يشغلان
به حواسهما ، وخواطرها .

ب - في أنه شعر متناسق اجمالاً في تحديد غرضه ، ثم في رسم
مخطط القصيدة للوصول لهذا الغرض ، ثم في عرض الأفكار والمعاني
لتعاون جميعها في بلوغ الغاية الرئيسية من القصيدة ، وان قصائد
الاعتذار وقصائد السياسة القبلية هي أمثال طيبة لهذا التناسق المعبر
عن ذكاء الشاعر في الوصول لأغراضه .

ج - يتجلى في شعر النابغة ، ذكاؤه ودهاؤه : فهو يرضي السامع
قبل أن يرضي عواطفه ، أي أنه يستطيع أن يلون عواطفه وفقاً للجو
السياسي العام باعتبار أنه لسان قبيلته أولاً ؛ ولسان نفسه ثانية ، كما
وأنه يسعى بدهائه للتقرب من الغماسة والمناذرة ، للحصول على
الكسب والعطاء ، ونزداد قناعة بذلك اذا عرفنا أن النابغة ، قد
استطاع بشعره وحسن سياسته ، ان يبقي على أحلاف قومـه ، ثم
استطاع التقرب الى الدولتين العدوتين ، الغماسة والمناذرة في وقت
واحدٍ معاً ، وفي نفس الوقت الذي كانت ذبيان تغير على أطرافهما
للسلب والنهب .

٤ - يمتاز شعر النابغة بحسن التنسيق في مضمون القصيدة
الواحدة ، وبجودة الارتباط بين أبياتها وتعايرها :

أ - وقد اعتبرت المطالع التالية ، من أجمل ما افتتحت به قصائد الشعر الجاهلي :

- كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
- دعاك الهوى واستجملت المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
- كتمتك ليلاً بالجمومين ساهراً وهمين همّاً مستكناً وظاهراً

ب - وفي كثير من القصائد ، اعتبر النابغة من الشعراء الذين وفّقوا في الخروج من غرض الى غرض في القصيدة الواحدة ، ومن يقرأ قصيدته العينية (عفا ذو حسا من فرتنى) ، يشعر بما يشبه وحدة القصيدة ، اذ تتسلسل الأبيات متتقلةً من غرض الى آخر ، بهين وسهولة .

هـ - يحسن النابغة استخدام الألفاظ في مكانها ، لتدل على مدلولاتها ، بمعناها ، وبجوسها الموسيقي أيضاً ، مثال ذلك قوله في الهجاء :

كأنك من جبال بني أقيش يققع خلف رجليه بشنّ
تكون نعمةً طوراً وطوراً هويّ الرياح تندج كل فنّ
فكلمة أقيش توحى بجوسها قبل معناها بالضة ، ويققع ، تخاق من حروفها القعقة المطلوبة ، وهوي الرياح تمثل بجوسها الرياح الهاوية ، ومن ذلك مانجده من كلمات ناعمة طروبة مخمّلة في قصائد الغزل ، ومن كلمات غاضبة في قصائد الهجاء والحرب .
وعلى العموم ، فالنابغة يصيغ قصائده من كلمات مأنوسة سهلة

الفهم ، قريبة المتناول ، قليلة الغريب ، ليس فيها كلمات مستكرهة ،
أو بذئية .

٦ - يمتاز النابغة بخيال خصب مطاوع ، متصف بالنواحي
التالية :

أ - بالغزارة : فكلما ترد المعاني والأفكار مجردة ، بل نجدها
حليئة بالصور والألوان .

ب - بالاستشهاد القصصي : وحسبنا ان نعود الى قصيدته الدالية
(يا درامية) ، لنجد عدداً من القصص : الأسطورية ، والدينية ،
والبدوية كقصة الثور الوحشي والكلاب ، وقصة زرقاء الياقوت ،
وقصة سليمان الحكيم .

ج - بكثرة التشابيه ، والاستعارات ، والكنائيات ، والمجازات ،
وهو يستمد عناصرها من المحسوسات المادية الواقعة تحت بصره
وسمعه ، من حيوانات ، ونباتات ، الأمر الذي يجعلها واضحة مفهومة
لدى السامع ، وأقدر على التعبير والتأثير .

د - بالتلاؤم بين عناصر الصورة الواحدة فهو يحسن اختيار
المشبه به الملائم للمشبه مثلاً ..

هـ - وكثيراً ما يعمد النابغة ويلجأ بمجموعة من التشبيهات على
مشبه واحد ، ليكون أكثر وضوحاً وليحيطه من جميع جوانبه
بألوان تظهره وتكمل الصورة المطلوبة .

ولكنه قد لا يكتفي بذلك ، فنراه يترك المشبه الى المشبه
به ، في استطراد موفق حيناً ، وغير موفق أحياناً ، من ذلك حين

يشبه ناقته في سرعتها بالثور الوحشي ، لا يكتفي بعرض سريع له ، بل يستطرد في وصف الثور بتشبيهات ، وأوصاف كثيرة حتى يكاد المرء ينسى الناقة التي كانت النابغة بصدها ، والتي هي موضوع الأبيات ، والمقصودة فيها :

جاوزته بعلندة مناقلة وعر الطريق على الاحزان مضمار
كاننهم الرّحل منها فوق ذي جدٍ ذبّ الرياح الى الأشباح نظار
الأبيات

و - حركية الصور : تمتاز مشاهد النابغة التي يرسمها لنا بالحيوية والحركة وهي بعيدة عن الجمود ، وحسبنا أن ننظر وصف الفرات حين شبه كرم النعمان به ، لنرى الماء الزاخر ، والجلبة الصوتية ، وبقايا النبات والملاح الخائف :

فما الفرات اذا جاشت غواربه ترمي أواذية العبرين بالزبد
يمدّه كلّ وادٍ مترع لجب فيه ركام من الينبوت والحُضد
يظل من خوفه الملاح معتصماً بالحيزرانة بعد الاين والنجد
ز - ولا ينسى النابغة وهو في عرضه صورته ، الجزئيات ، التي تجعل الصورة غنية بالحياة مليئة بالواقع .

فهناك الهمسات الذاتية ، والحوار النفسي :
قالت له النفس اني لا أرى طمعاً وأنّ مولاك لم يسلم ولم يصد
وهناك الألوان وهي قليلة الظهور في الشعر الجاهلي :
● فظلّ يعجم أعلى الروق منقبضاً في حالك اللون صدق غير ذي أود

● يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب
ح - وقد وفّقت النابغة في كثير من تشبيهاته ، واستعاراته
وكنائياته ، واعتبر من الروائع :

- الاستعارة في قوله :

● تطاول حتى قلت ليس بمنقّض وليس الذي يرعى النجوم بأيّـب

● وصدرٍ أراح الليل عازب همّه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

- والكناية في قوله :

● كليني لهمّ يا أميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

- والتشبيه في قوله :

● والحيل تمزج غرباً في أعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

٧ - وفي الوصف يعتمد النابغة الى إيضاح جوانب الموصوف ،
أو التاميح اليه كأنه معروف واضح .

أ - فهو يلح على الموصوف الواحد بمجموعة صفات ، تجعله
مشبع الجوانب ، كقوله في وصف الثور الوحشي :

من وحش وجرة ، موشيّ أكلّعه ، طاوي المصير كسيف الصقيل الفرد

ب - أن يهمل ذكر الموصوف ويجعل الصفة تقوم مقامه
كقوله في وصف الكفّ المخضب :

بمخضّب رخص كأن بنانه غم يكاد من اللطافة يعقد

٨ - يلاحظ في شعر النابغة تكرار الموضوع الواحد ، والغرض

الواحد ، في أكثر من موضع وأكثر من قصيدة ، ولكنه في كل

مرة يكسو غرضه ثوباً جديداً من المعاني ، فوصف الناقة مكرر ، وكذلك المدح بالكرم والشجاعة ، ومثل ذلك وصف الأطلال ؛ والثور الوحشي ، والنساء .. وان دلّ هـ ذا على شيء فانه يدل على شاعرية أصيلة .

٩ - أما النواحي الفنية الأخرى التي امتاز بها شعر النابغة ، فهي كثيرة نوجز منها ما يلي :

أ - تجاهل العارف في قوله :

ألحمة من سنا برق رأى بصري أم وجه نعم بدا أم من سنا نار

ب - والالتفات من الخطاب للغائب في قوله :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت فطال عليها سالف الامد

ج - وحسن التذييل في قوله :

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه على شعث أيّ الرجال المهذب

د - وتوكيد المدح بما يشبه الذم في قوله :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

هـ - وضرب المثل في قوله : أيّ الرجال المهذب

أو : والمرء يخلق طوراً بعد أطوار

و - والمناقضة التهكمية كقوله :

فانك سوف تحلم أو تناهي اذا ما شبت أو شاب الغراب

ونختم كلمتنا في شعر النابغة فنقول : أنه شعر متناسب ألفاظه

مع موضوعه ، بعيد عن حوشي الكلام ومستتهجنه ، خال من
 المماثلة ، والتعقيد ، والغموض ، طاهر من الألفاظ البذيئة ،
 والكلمات المستكرهة ، واضح المعاني ، في عباراته ايجاز لا يؤدي
 الى الغموض ، وفيه أطناب واستطراء أحياناً لا يؤدي الى الملل ، ثم
 أخيراً ، هو شعر متوسط النفس ، لا نرى فيه قصائد مطولات ، اذ تبلغ
 القصائد حداً معتدلاً من الطول .



عُيوب شعره

أوردنا سابقاً ما امتاز به شعر النابغة من جودة وجمال ، وهو يتعلق بأكثر شعره ... وككل شاعر فان للنابغة سقطات ، عابه عليها الاقدمون ، والحديثون ، نورد منها :

١ - الاقواء وهو اختلاف حركة الروي بين الضم والكسر ، من ذلك في قصيدته :

أمن آل مية رائح أو مغتدِ عجلان ذا زادٍ وغير مزودِ
قوله :

● زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود
● بمخضّب ، رخص كأن بنانه غمّ يكاد من اللطافة يعقدُ
ولم ينتبه النابغة الى هذا العيب ، الا حين دخل المدينة ، وسمع قينة تغني شعره .

٢ - التضمين : وهو تعلق كلمة الروي ببيت بعدها كقوله :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إني
شهدت لهم مواطن صادقات شهدن لهم بحسن الظن مني

٣ - المبالغات وهي أمر شائع في العصر الجاهلي ، فشعراء الجاهلية كلهم ، أو على الأقل معظمهم يبالغون فيما يصفونه ، وقد تقع المبالغة مكروهة كقول النابغة :

جوانح قد أيقن أن قبيله اذا ما التقى الجيشان أوّل غالب
فجعل الطيور موقنة أن الغساسنة هم المنتصرون ، ففيه مبالغة قريبة

من التهمكم بالممدوحين .

٣ - التطيّر والتشاؤم في المدح ، أو المدح بما يشبه الرثاء ، كما مر معنا سابقاً لدى حديثنا عن مآخذ مدحه .

٤ - انتكسب بالشعر والتصريح بطلب الأعطية ، والتذلل الكثير في سبيل ذلك : ولا يحول عطاء اليوم دون غد

٥ - الإيطاء : وهو إعادة كلمة القافية في موضعين من القصيدة الواحدة ، دون فاصل يزيد عن سبعة أبيات من ذلك :

أسألكم وقد سفحت دموعي كأن مفيضنّ غروب شمس
وبعد خمسة أبيات نجد :

كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجله بشنّ

٦ - ضعف التناسق الكلامي ، وثقل الحروف في بعض أبياته

كقوله :

● ألكني يا عين اليك قولاً ستحمله الرواة اليك عني
● واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام شراع وارد الشمد

ما أخذه من شعر غيره

هناك أبيات متعددة قيل أن النابغة أخذ معناها من شعراء عصره
نذكر منها :

١ - قول النابغة :

تراهنّ خلف القوم خزرأعيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
من قول امرئ القيس :

كأن ثبيراً في عراني وبله كبير أناس في بجاد مزمل

٢ - وقول النابغة :

تبدو كواكبها والشمس طالعة لا النور نور، ولا الاظلام اظلام
من قول وهب بن الحرث بن زهرة :

تبدو كواكبها والشمس طالعة يجري على الكأس منه الصاب والمقر
٣ - وقول النابغة :

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
من قول رجل من كندة في عمرو بن هند :

هو الشمس وافت يوم دجن فأفضلت على كل ضوء والملوك كواكب
٤ - وقوله :

تسقي الضجيع اذا استسقى بذى أشر عذب المذاقة بعد النوم نحرار
كأن مشمولة صرفاً بريقتهما من بعد رقدتها أو شهد مشترك
من قول امرئ القيس :

كأن المدام وصب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
تعلّ به برد أنيابها اذا غرّد الطائر المتحر
أو من قول امرئ القيس أيضاً :

اذا ذقت فاهها، قلت : طعم مدامة معتقة بما يجيء به البحر

ما أخذہ الشعراء عن النابغة

ذكر رواة الأدب أبياتاً لشعراء كثيرين مأخوذة من شعر النابغة

نورد منها :

١ - قول الاعشى :

له صدقات ما تغبّ ونائل وائس عطاء اليوم مانعه غدا

من قول النابغة :

يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

٢ - وقول المثقب العبدى :

فلو أني تخالفني شمالي خلافاً ، ما وصلت بها يميني

من قول النابغة :

فلو كفيت اليمين بعتك خوفاً لأفردت اليمين عن الشمال

٣ - وقول الكميث :

ولا أكرى الصالح برائعته بهن العرث قبلي ما كونا

من قول النابغة :

لحملتني ذنب امرئ وتركته كذي العرث يكوى غيره وهوراتع

٤ - وقول الاخطل :

وما الفرات اذا جاشت حوالبه في حافتيه وفي أوساطه العشر

الابيات حتى :

يوماً بأجود منه حين تسأله ولا بأصبر منه حين يجتهر

من قول النابغة :

فما الفرات اذا جاشت غواربه ترمي أواذية العبرين بالزبد

الابيات حتى قوله :

يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

٥ - وقول أبي تمام في عمورية :

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت والشمس واجبة من ذا ولم تجب

من قول النابغة :

تبدو كواكب الشمس طالعة لا النور نور، ولا الاظلام اظلام

المراجع

- ١ - أدباء العرب في الجاهلية و صدر الاسلام لبطرس البستاني
- ٢ - الأغاني لابي الفرج الاصفهاني
- ٣ - الامالي لابي علي القالي
- ٤ - البيان والتبيين لابي عثمان الجاحظ
- ٥ - تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان
- ٦ - تاريخ الشعر السياسي لاحمد الشايب
- ٧ - تطور الغزل للدكتور شكري فيصل
- ٨ - التعازي والمرثي للمبرود
- ٩ - الجواليقي (شرح أدب الكاتب لابي منصور موهوب بن أحمد)
- ١٠ - حديث الاربعاء للدكتور طه حسين
- ١١ - خزانة الادب لعبد القادر البغدادي
- ١٢ - دراسة الشعراء للمرصفي والاباري والشلي
- ١٣ - ديوان النابغة الذبياني تحقيق وشرح كرم بستاني
- ١٤ - ديوان امرئ القيس دار بيروت - دار صادر
- ١٥ - ديوان أوس بن حجر » » - » »
- ١٦ - الروائع لكرم بستاني

- ١٧ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لأبي العباس ثعلب
- ١٨ - الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري
- ١٩ - طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي
- ٢٠ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف
- ٢١ - في الادب الجاهلي للدكتور طه حسين
- ٢٢ - العصبية القبلية للدكتور احسان النص
- ٢٣ - العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين تحقيق الورت
- ٢٤ - العمدة لابن رشيق القيرواني
- ٢٥ - اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبد الله البكري
- ٢٦ - ما بقي من شعر الشاعر المشهور أوس بن حجر التميمي الجاهلي
جمع رودلف جاير
- ٢٧ - مصادر الادب الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد
- ٢٨ - المعلقة السبع لأبي عبد الله الزوزني
- ٢٩ - المفضليات للمفضل الضبي
- ٣٠ - الموشح لأبي عبد الله المرزباني
- ٣١ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر
- ٣٢ - النابغة الذبياني لسليم الجندي
- ٣٣ - النابغة الذبياني للدكتور محمد زكي العشماوي
- ٣٤ - النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب لويس شيخو

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣	أوس بن حجر	٦٩
الملاحم العامة للشعر الجاهلي	٥	حياته	٧١
امروء القيس	٩	أغراضه الشعرية	٧٤
حياته	١١	الوصف	٧٦
العوامل التي أثرت في شخصيته		الهجاء	٩٢
الشعرية	١٥	الرثاء	١١٨
منزلته	١٦	الفخر	١٣٤
أغراضه الشعرية	١٧	أغراضه الشعرية الأخرى	١٥٠
الغزل	١٨	المديح	١٥١
الوصف	٢٦	الغزل	١٥٥
المديح	٣٩	الحكمة	١٥٩
الرثاء	٤١	الخصائص العامة لشعره	١٦٢
الفخر	٤٣	منزلته	١٦٥
الشكوى والوجدان	٤٦	عيوب شعره	٦٨١
الهجاء	٥٢	زهير بن أبي سلمي	١٧١
الحكمة	٥٤	حياته	١٧٣
الخصائص العامة لشعره	٥٧	أغراضه الشعرية	١٧٦
عيوب شعره	٦٤	الوصف	١٧٨

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الأسلوب القصصي	١٩٢	أغراضه الشعرية	٢٩٣
المدح	٢٠٨	الاعتذار	٢٩٤
الحكمة	٢٣٠	شعره السياسي	٣٠٧
الغزل	٢٤٦	الغزل	٣١٤
الثناء	٢٦٢	المدح	٣١٩
الفخر	٢٦٥	الوصف	٣٢٥
الهجاء	٢٦٨	الهجاء	٢٣٣
الخر	٢٧٠	الثناء	٣٣٧
الخصائص العامة لشعره	٢٧١	الحكمة	٣٤٠
منزله	٢٧٤	الخصائص العامة لشعره	٣٤٢
عيوب شعره	٢٧٨	عيوب شعره	٣٥١
النابعة الذبياني	٢٨١	ما أخذه النابعة عن غيره	٣٥٢
حياته	٢٨٣	ما أخذه الشعراء عن النابعة	٣٥٣
منزله	٢٨٩	المراجع	٣٥٥
		الفهرس	٣٥٧

تنويه

وقعت بعض الأخطاء المطبعية التي لا تخفى
على القارئ النبيه فمعدرة

تم بعونه تعالى